المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

تحقيق كتاب شعب الإيمان

تأليف الشيخ الإمام أبي محمد
عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري المتوفى سنة ٦٠٨
"الجزء الأول"

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية لنيل
درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية

للطالب أحمد بن مرعي بن عبد الهادي العمري



إشراف الأستاذ الدكتور
عبد العزيز عبد الله عبيد

المجلد الثاني

للعام الدراسي ١٤٠٣ / ١٤٠٤هـ

الشعبة الرابعة عشر والخامسة عشـــر :

الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكـــر :

وهما شعبتان مرتبطتان كل واحدة بصاحبتها لأن الأمر بالشيء (١) نهـى عن ضده والنهى عن الشيء أمر بفعل (٢) ضده فلذلك جعلتهما فى باب واحد . فأما كونها (٣) من شعب الايمان فجلى فى الأخبار وفى آيات القرآن ، روت عائشة رضى الله عنها فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله خلق كل انسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائه مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا من طريق أو شوكة أو عظما أوأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاث مائة السلامى فانه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار) (٤) فساق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر معدودا فى شعب الايمان لأن التهليل والذكر كلـه واماطـــة الأذى الذى هو الشوك والعظم والحجر من شعب الايمان والأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر أقوى شعب الايمان بوجـه وأضعفه (أيضا) (٥) بوجـه آخر كما روى أبو سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلـم يقول :

((من رأى (منكم) منكرا فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع بلسانه فبقلبه وذلك أضعف الايمان)) (٦)

---

(١) فى خ : لأن الامر بالمعروف لشيء نهى عن ضده

(٢) كلمة " بفعل " لم ترد فى ت

(٣) فى خ ت : كونهما

(٤) صحيح مسلم كتاب الزكاه باب بيان ان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف رقم الحديث "١٠٠٧" .

(٥) كلمة " أيضا " ذكرت فى خ ت

(٦) رواه مسلم فى كتاب الايمان باب ٢٠ رقم الحديث ٤٩

وفي خبر آخــر :

(ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل) (١)

يعنى أن التغيير بالقلب دون اليد واللسان أضعف الايمان فجعلــــه من الايمان فكذلك تغييره باللسان واليد أقوى الايمان .

والأمر بالمعروف هو الحجة كذلك تسميته عند أهل العلم كما قال الله تعالى :

(... لئيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ...) (٢)

لأن الرسل أمرتهم بالمعروف .

والنهى عن المنكر هو الوقاية اى وقاء الناس من العذاب قال الله تعالى :

(واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصه ..) (٣)

يعنى اهل المنكر اذا لم يغير عليهــم

(واعلموا ان الله شديد العقاب) (٤)

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون (٥) على ان يغيــروا ولا يغيروا الا أوشك ان يعمهم الله بعقاب)) (٦)

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الايمان باب ٢٠ رقم (٥٠)

(٢) سورة النساء من آية ١٦٥

(٣) سورة الانفال آية ٢٥

(٤) سورة الانفال من آية ٢٥ السابقه

(٥) فى ظ ت : ما من قوم تعمل فيهم المعاصى ثم يقدرون ...

(٦) اخرجه الترمذى فى أبواب تفسير القرآن تفسير سورة المائدة رقم الحديــث (٣٠٥٧) وأبو داود فى كتاب الملاحم باب الأمر والنهى رقم الحديــث (٤٣٣٨) وابن ماجــه فى الفتن رقم الحديث (٤٠٠٥) .

الا انه شرط فى هذه الأخبار كلها القدرة والاستطاعة وفيها رحمة عظيمة فالأمر بالمعروف هو الأمر بفعل الخيرات كلها التى أمر الله بها ورسوله والنهى عن المنكر هو النهى عن ارتكاب المحرمات كلها وهو على مقامات ثلاث :

مقام فى الظاهر : وهو الأمر بارتكاب أمور المعروف الظاهر ونهى عن ارتكاب المناكر الظاهرة .

ومقام فى الباطن : وهو مقام الايمان وعالم النفس فينهى النفس عن الهوى ويأمرها بالتزام التقوى وامتثال خواطر المعروف واجتناب خواطر المنكر (من العدو) (١)

ومقام باطن فى مقام الاحسان والروح : أمر بالتزام المعروف الحق سبحانه وايثاره والاقبال عليه ونهى عن الاعراض عنه . وايثار سواه ونهى عن توهم الاه سواه فانه انكر المنكرات والنكرات (٢) .

وله مراتب فى نفسه وشروطه :

فقوم يجب عليهم باليد واللسان والقلب

وقوم باللسان والقلب دون اليد

وقوم بالقلب وهو أضعف الايمان وذلك على حسب التمكين فى الأرض قال الله تعالى :

(الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ...) (٣) .

---

(١) الزيادة من أ ، ت

(٢) فى خ : " والمنكر" فالواو للاستئناف والجملة هكذا : والمنكر له مراتب فى نفسه ...

(٣) سورة الحج آية " ٤١ "

فأما تغييره باليد فللأمراء والقضاة وأصحاب الأحكـــام .

وأما تغييره باللسان فلرعيه يأمر بلسانه ويذكر فان قبل منه والا استعـــان بغيره أو رفع أمر ذلك الى الحاكم ان رجا تغييره هذا في المجاهريـــن وأما ان وقعت زلة في أهل الستر وخربة في أهل العفاف ممن يستتـــر فسترها أولى ويأمره في السر وحده ولا يكشفـــه .

وأما تغييره بالقلب فاذا أظهرت الأمراء المناكر وتركت المعروف ووضعت السيف والعذاب لمن تعرض لها في ذلك، فيجب انكاره بالقلب والعقد على ذلـــك فيقول لقلبه (١) : اللهم ان هذا منكر لو قدرت لغيرته وانما انكره وانكـــر أهلـــه ،

ويقول في المعروف أيضا اذا رأى انه لا يقدر ان يأمر به (٢) : لو قدرت لأمرت بفعل هذا الخير الذي قد ضاع العمل به لكن يجب على العلماء الداخلين على الأمراء : التلطف للامراء بالقول ويأمرونهم في السر اذا اشهروا المناكـر فيقولون له : (٣) مثلك لا يليق به الا ما يحمد عليه ويشكر وان هذا الأمـــر الذي احدثته الخلق يكرهونه منك، ويذمونك عليه ونحو هذا مما يظن أنـــه ينفع فهذه مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الكافة لا تسقط عـــن أحد من الخلق بوجـه في حال من الأحوال لأنه ان سقط عن اليد واللسان لم يسقط فرضه عن القلب (٤) ولو سقط عن القلب لكان راضيا به وصار من أهل المنكر وخرج عن أهل المعروف فان المنكر ضد المعروفوأهل المنكر ضد أهـــل المعروف فاذا خرج عن قوم وقع في ضدهم وكتب منهم ولذلك، ورد في الخبـــر (لو قتل رجل رجلا بالمشرق ظلما ورضي به آخر بالمغرب لكان شريكه (٥) في اثمه) (٦)

---

(١) في خ ت : بقلبـــه

(٢) في خ : على أن يأمـــر

(٣) في ظ ،ت : لهم

(٤) كلمة "عن القلب" سقطت من خ

(٥) في ظ : شريكا له

(٦) لم أجده في الصحاح

فأما صورة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فأول ما يجب على الانسان أن ينظر نفسه فيأمرها بأنواع البر والعمل بما ضيعت منها ويرى ما هى عليه من المنكرات ظاهرا وباطنا فينهاها عنه ثم يتعدى الى أهل داره فيأمرهم وينهاهم ، وجيرانه ثم كلما ظهر له شيء لزمه فرضه حيث ما حل أو نزل لان الله يقول فى كتابه :

(أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) (١)

والألف فى (أتأمرون الناس بالبر) للتوبيخ والتقرير (٢) وليست بنهى لانه لو نهاه عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو فى نفسه غير موتمر لادى ذلك الى تضييع فرضين : الفرض الذى لزمه فى نفسه والفرض الذى لزمه فى غيره فيجتمع عليه اثمان وانما الألف على التوبيخ للذى يطمع بصلاح غيره وهو فى نفسه فاسد فلو اجتمع الصلاح فى النفس والأمر للغير كان (٣) الكمال وأفضل الناس فى هذا الشأن منزلة الذى اذا ظهر على المنكر تغير بظهوره عليه كما ورد فى الخبر :

((خياركم الذين اذا رؤوا ذكر الله (٤)))

وذكر الله من اعظم درجات المعروف فلما كان هذا من أمر (٥) الله ذكر الله عند رؤيته . وبهذا تفهم ان المنكر والمعروف ضدان كالليل والنهار (٦)

---

(١) سورة البقره آية ٤٤

(٢) فى ظ ، ت : للتوبيخ والتقريع وهو الأصح .

(٣) فى خ : لكان الكمال

(٤) ورد فى كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى ص ٣٤٠ رقم الحديث ٩٥٨ وقال المحقق أخرجه البزار من حديث ابن عباس والطبرانى من حديث ابن مسعود ، وانظر الزوائد ١٠ / ٧٨

(٥) فى بقية النسخ : فلما كان هذا من " أهل " الله

(٦) فى ت : مثل الليل والنهار .

اذا ظهر هذا غاب هذا وفى هذا حكمة عظيمة لمن تفطن لها فان المعروف مأخوذ من العرف الذى هو العادة الذى عرفه الناس وعلموه ولم يعرف الاهو. والمنكر هو الذى انكرته العقول والقلوب عند رؤيته فالمنكر لا أصل له لأنه مجهول منكور فى أصل الخلقة فان المعروف الحق الذى لم يزل ولا يزال هو الله تعالى ومخلوقاته فى الملك والملكوت والعرش والجبروت ولم تعرف (١) الا اياه ربا ولم تعرف طاعة الا طاعته فكان التعبد له والقيام بحقه هو المعروف فقط فلما خلق ابليس وآدم عليه السلام . وذريتهما وحدثت المعاصى على أيديهما (٢) أعنى الثقلين صار العصيان والمخالفات منكرا اى (٣) انكرته العقول والقلوب لأنه (٤) لم تالفة ولم تعهده ولا كان له أصل فى العرف الذى تقدم عند الخلائق كلها ولهذه العلة اذا كان المنكر مخفيا غير ظاهر لم يضر غير صاحبه الذى ظهر على قلبه وجوارحه فقط لأنه شبيه بأصله لم يعرفه أحد فاذا ظهر وفشا وجب تغييره ورده أيضا الى أصله بانكار النفوس والألسن والأيدى له حتى لا يبقى الا المعروف الذى لم يزل معروفا قديما وحديثا وكذلك اذا قامت القيامه وفنيت الدنيا التى ظهرت فيها المناكر لم يكن للمنكر وجود ولا للعصيان أثر بوجه ولا حال ولم يبق الا طاعة الطايعين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وانقاد وطاع اهل المنكر كلهم حين يرون ان القوة لله جميعا ولم يبق فى الوجود مقدار (٥) ذرة من العصيان (٦) لان الهوى المعبود الذى اتخذ

---

(١) فى بقية النسخ لم تذكر الواو فى " ولم "

(٢) فى ت : على أيديهم

(٣) كلمة " أى " لم تذكر فى ت

(٤) فى ظ ، ت بخ : لانها

(٥) فى أ مت : مثقال ذرة

(٦) فى ظ : من عصيان

الها من دون الله وحسب الذين يتبعون الظن أنه يضر أو ينفع فأطاعوه واتبعوه اذا ظهر الاله الحق فى الآخرة للجميع فنى وجوده اعنى الهوى وفنيت طاعته التى هى (١) المنكر، فاعرف العلة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فان البارى تعالى لا يعلم فى ملكه معبودا سواه ولا من يضر ولا ينفع (٢) سواه وما لا يعلمه الله فهو انكر (٣) المنكرات فطاعته (٤) اذا هى المنكرات :

(قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ..) (٥)

الهوى اله معبود :

(ان يتبعون الا الظن ... الاية) (٦)

(... وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ...) (٧)

وكذلك شاهدته العقول والأرواح فى مقام الاحسان وانكرت يقينا أن يكون عند غيره معنى من الألوهيته لانها لم تعلم وقامت لها (٨) البراهين على ذلك، فكما (٩) لم يعلمه الله تبارك وتعالى وشاهدت المعروف الذى لم يزل

---

(١) فى ت : أعنى التى هى المنكر

(٢) فى ظ ،ت : ولا من يضر وينفع وفى خ : ولا من ينفع

(٣) فى ظ ،ت : فهو اذا انكر

(٤) فى خ : انكر المنكرات فطاعة الهوى اذا ، وهو أوضح .

(٥) سورة يونس آية ١٨

(٦) سورة الانعام آية ١١٦ ، ويونس (٦٦) والنجم (٢٣)

(٧) سورة الحج من آية ٦٢

(٨) فى ت : له

(٩) فى ظ ح ت : كما

وأمرت ذواتها وغيرها بالانقياد له . وما كانت قط معصية الا بشرك خفي أو جلي واقبال على غيرالله أو حب غير الله أو مشاهدة شيء يضر او ينفع غير الله او غفلة عن الله فافهم . وقد حصل في هذا المقام المتقدم مقامات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مقام الاسلام والجسد ومقام الايمان والنفس ، ومقام الاحسان والروح . مجملا فأغنى عن تفسيره .

فأما اعتبار الأمر بالمعروف في الوجود كله فانك، اذا نظرت الأشياء كلها من سماء وأرض وحيوان ونبات وأي موجود كان رأيته مصليا راكعا وساجدا ومسبحا ومعظما ومنزها لباريه ومتعبدا له بجميع أنواع المعروف كلها فيقول لك، بلسان الحال : كن مثلي فاني ما عصيت قط طرفة عين وكذلك اذا صرفت بصرك، الى أهل العقوبات فرأيت مطرودا ملعونا أو محبوسا مسجونا أو مضروبا معذبا (١) او أي نوع من العقاب رأيته .هل بمن حل يقوم لك بلسان الحال لا تكن مثلي فيحل بك، ما حل بي عاجلا أو آجلا . وذلك نهي عن المنكر فان الوجود لا يخلوا عن خير (٢) وشر الشرجزاء على المنكر والخير جزاء على المعروف . فالشر الذي هو العقاب كله يخاطب (٣) — العقول حيث ما كانت ويقول من عمل بمقتضى ما خلقت من أجله (٤) حللت به . والثواب كله والخير أجمعه يقول : من عمل بمقتضى ما خلقت من أجله اكرمته وكنت ثوابا له بكلام دائم متصل غير منفصل مع الأنفاس والساعات يسمعه كل من فتح الله بصيرته والقى السمع وهو شهيد .

---

(١) في ط : أو معذبا

(٢) في ط : من خير

(٣) في ت : يخاطب أهل العقول

(٤) في ت : لأجله

الشعبة السادسة عشر (١) : العـــدل

قال الله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان . .) (٢)

(. . واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل . .) (٣)

وقـــال : (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط . .) (٤)وهوالعد

وقـــال : (وزنوا بالقسطاس المستقيم) (٥) وهو العـــدل

وأما كونه من شعب الايمان فبين فان العدل هو اعطاء كل ذى حق حقـــه والله على الخلـــق حق ، ولرسوله حق ، ولملئكته حق ولجميع الخلق حـــق فقد عم العدل المقامات كلها : مقام الاسلام والايمان والاحسان . والذوات الثلاث الجسد والنفس والروح وكلف العبد اعطاء كل ذى حق حقه وقد جعله على بن ابى طالب رضي الله عنه فى حديثه الطويل دعامة من دعايم الايمان فقال :

(الايمان على أربع دعايم على الصبر واليقين والعدل والجهاد) (٦)فمـا كان دعامة الايمان (٧) كيـف لا يكون منه فان الأساس من البنيان .

فأما تفسير معنى العدل فهو :

الحكم بالحق ووضع الحقوق فى مواضعها (٨)

---

(١) فى ظ : السادس عشرة وهو الأصح السادسه عشـــر .

(٢) سورة النحل آية ٩٠

(٣) سورة النساء من آية ٥٨

(٤) سورة النساء آيه ١٣٥

(٥) سورة الشعراء ١٨٢

(٦) تقدم تخريجه فى أول الشعبة التاسعة :الجهاد

(٧) فى ظ :فما كان دعامة من دعائم الايمان . .

(٨) فى ظ خ : ووضع الحقوق مواضعها

وهو معنى شايع عام فى جميع الأشياء فلله حق ،ولكتابه حق ، ولملئكته (١) حق ، ولرسله حق ، (وللنفس حق) (٢) ،وللوالدين حق ، وللقرابة حق ، وللمسلمين حق ، (وللأموال حق) (٣) ، وللفقراء حق ، وللزوجات حق ، وللأولاد حق ، ولملك اليمين حق ، وللجوار حق ، وللأصحاب حق ، ولابن السبيل حق ، وللعلماء حق ، وللمتعلمين حق ، وللبيع والشراء حق ، (وللامراء حق وللرعيه حق وعلى الجملة : ففى كل شئ حق) (٤) وقد قال النبى عليه السلام :

((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) (٥)

فالعدل ان لا يبخس أحدا من حقه شيئا على قدر طاقة الانسان ووسعه

فأما حق الله على خلقه فقد ورد فى الخبر :

((حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)) (٦)

والعدل هو : الوسط بين الزيادة والنقصان فالعدل فى ذلك أن لا ينقص من حقه شئ (٧) على حسب ما أمر

وأما الزيادة على الحق فى حق الله تعالى فمحال لأن حقه لا يقام به حقيقة فكيف بالزيادة عليه ولذلك تقول الملئكة (٨) يوم القيامة :

((سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)) (٩)

---

(١) فى ظ : وللملئكة

(٢) ما بين القوسين ذكر فى بقية النسخ

(٣) ما بين القوسين ذكر فى بقية النسخ

(٤) ما بين القوسين ورد فى بقية النسخ وفى أ بدل " وللأمراء" قال : " وللأعراض "

(٥) رواه البخارى وغيره ،فتح البارى كتاب الأحكام الباب الأول رقم الحديث ٧١٣٨

(٦) اخرجه البخارى ومسلم :
البخارى :كتاب الجهاد رقم الحديث ٢٨٥٦ وفى كتاب اللباس رقم الحديث ٥٩٦٧
وفى كتاب : التوحيد رقم ٧٣٧٣
مسلم : كتاب الايمان رقم الحديث العام ٣٠

(٧) فى ظ ، ت : شيئا

(٨) فى ظ : الأملاك

(٩) تقدم فى الشعبة الخامسه

لأنها شاهدت التقصير على صفاء عبادتها واخلاص توحيدها لكن البـارى تعالى لم يكلف أحدا الا ما يطيق ، فعلى العبد أن يفعل ما أمر بـه على غاية جهده فان ضيـع شيئا مما أمر به فقد جار ولم يعدل فيه كما ورد فى السارق الذى يسرق صلاته أى نقص من كمال ركوعها وسجودها فان العدل الواجـب على المصلى أن يعتدل فى الركوع والسجود والجلوس والقيـام والعدل فى القرآة أن يعطى كل حرف حقه ولا يبخسه خطه من النطـق ويتفهم معانى الآيات ويخشع فى مواضـع (١) الخشوع ويحضر قلبه فى مواضع الحضور الى غير ذلك من حقوق الصلاة على قدر طاقته فان ضيع شيئا مـن ذلك، فهى خداج اى ناقصة على قدر ما يكون النقصان وسيجبر من النفـل ان كان له نفل أو يفعل الله فى حقه ما يشاء وهكذا جميع ما فرض الله تعالى من حقوقه على عباده (٢) ويجرى هذا المجرى أى فرض كان فاعتبر بهـذا غيره من الفرايض لأنى لو تتبعت ذلك لطال به الكلام وخرج عن حد الاختصار الذى قصدت له فى تأليف هذه **العقيدة**، وحد الاختصار فى ذلك ماورد فى تفسير قوله :

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاتـه)) (٣)

قيل فى التفسير :

((حقه ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر)) (٤)

---

(١) فى ظ : مواطن الخشوع

(٢) فى ظ ، خ ، ت : لم تذكر الواو

(٣) سورة ال عمران من آية ١٠٢

(٤) كذا ورد فى تفسير ابن كثير الجزء الاول ص ٣٨٧ فى تفسير الآية المذكورة وقال ابن كثير : هذا اسناد صحيح موقوف .

فهذه الستة أشياء جامعة لما اردنا بيانه وهى الطاعة وترك العصيان والذكر الدايم الكثير وترك النسيان والشكر لجميع النعم وترك التبديل لها (كفرا) (١) فانك اذا أطعته وعصيته فقد بخسته حقه (فوجب عليك التوبه فى الفور واذا ذكرته ونسيته فقد بخسته حقه) (٢) ووجب عليك التوبة من النسيان والغفلات واذا شكرته وقصرت فى الشكر أو وضعت النعم فى غيرموضعها فقد كفرتها ووجب عليك التوبة والاقلاع والاستبدال لحالك ، وهذا اذا نظرته بحقيقة النظر لا تمر عليك ساعة من ليل أو نهار الا وتجد فيه التوبة والاستغفار مما أنت عليه الا ترى الى سيد المرسلين كيف كان يتوب ويستغفر فى اليوم مائة (٣) مرة فكيف بأمثالنا ، والتائب بصدق من الذنب كمن لا ذنب له والحمد لله فاجعل هذا من بالك واعمل عليه ولا تقل هذا لا أقدر (٤)عليه ولا أقوم بحق الله فان فعلت ذلك كنت من المتهاونين بحق الله ويخشى على المتهاون الهوان فى دار الهوان فان الحجة تقوم على الخلق يوم القيامه بطلب معاشهم وتجاراتهم فانهم لم يقصروا فى طلبها وافرغوا غاية الجهد فى ذكرها والشغل بها وطاعتها وعصيان من خالفهم فيها وهى أتعب وأشق من طاعة الله أضعافا مضاعفة فان كان يقول الانسان : لا أقدر على قضاء حقوق الله قيل له : فكيف (٥) قدرت على قضاء حقوق أغراضك وأهوائك وهى أكثر مشقة وتعبا فلا يكون لاحد حجة والحمد لله . الذى لم يكلف المؤمنين مالا طاقة لهم به ولو كلف لكان له ذلك وقد دعى النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فى آخر سورة البقره : (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) (٦)

---

(١) ورد كلمة " كفرا " فى ظ ، خ ، ت

(٢) ما بين القوسين سقط من ع وورد فى ظ خ

(٣) فى ظ : سبعين مرة

(٤) فى ت : ما أقدر

(٥) فى خ : فكيف تقدر

(٦) سورة البقره من آية ٢٨٦

((فقال له بكرمه قد فعلت)) (١) ونسأل الله تبارك وتعالى أن يضع لنا (٢) البركة فيما وهبنا من نعم الدين والدنيا والآخرة وأن يسمح لنا وأن يحبب لنا نفسه وطاعته حتى يكون أحب الينا من كل شيء آمين .

واعلم أن الشهادة لا تكون الا بالعدالة والعدل من الشهداء الذى لا يميل في شهادته الى أحد من المشهودين له ، وضده شاهد الزوروهو ميل (٣) عن الوسط لأنه مأخوذ من الأزورار وهو الميل والميزان العدل هو الذى يكون لسانه في وسط القبة لا يميل الى أحد الجانبين فكذلك، ينبغى أن يكون الشاهد لا يميل الى أحد الجانبين فيبخس حق الآخر كما أن الكفة اذا مالت فى الميزان بخست الأخرى من حقها والخلق كلهم استعبدوا بهذه العدالة وان يكونوا قائمين بين الله ومخلوقاته فى شهادتهم لله ولمخلوقاته بالقسط فيعطوا الله حقه وهو معنى الربوبية ،وللخلق حقهم وهو العبودية (٤) فمن أضاف الى المخلوقات شيئا من معانى الربوبية وان دق فقد بخس الربوبية حقها وبخس العبودية حقها وسقط عنه اسم العدالة وسمى باسم الظلم (٥) لانه وضع الشيء فى غير موضعه

قال الله تعالى : (ان الشرك لظلم "عظيم") (٦)

---

(١) صحيح مسلم كتاب الايمان باب ٥٧ رقم الحديث ١٢٦ والترمذى رقم ٢٩٩٢

(٢) فى ت : لم ترد كلمة "أن يضع" ويستقيم المعنى بدونها .

(٣) فى بقية النسخ : وهو الذى يميل عن الوسط

(٤) فى ظ : وهو معنى العبودية

(٥) فى خ : الظالم

(٦) سورة لقمان من آية ١٣

ومن فهم هذا المعنى اتضح له وجه الحكمة في مظلمة الشرك التي لا تغفر

قال الله تعالى :

(ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (١)

وسيأتي الكلام عليه في مواضعه ان شاء الله .

واما حق الرسول عليه السلام فعظيم لا يقدر أحد قدره أيضا فان كل نعمة أسدى الله الى الأمة من نعم الدين كلها انما كانت على يديه فمن كان سبب الهداية الى رب العالمين والمعرفة به وسبب العبادة له وسبب النجاة من الضلال وسبب تنوير القلب (٢) وشرح الصدور وتنبيه العقول وسلامة النفس (٣) من وحشة الكفر وضيق الصدور وظلمة الحمق ومن العذاب الدنياوي وسبب الراحة بعد الموت وسبب النجاة من الخلود في النار (وسبب الخلود في الجنه) (٤) وسبب النظر الى وجه الله الكريم وسبب النجاة من غضب الله (٥) وسبب نيل الرضوان من الله وسببا لان ينعم الله على عبيده أبد الآبدين بنعم لا تحصى كيف يقدر قدر هذا الشخص أو يؤدا شكره (٦) أبدا فالعدل في حقه : أن تلحظه بعين التعزيز والتوقير وتراه في المرتبة التي جعله الله فيها وتقدره قدره الذي هو عليه وهيهات أنى لك بذلك وقد قرن الله اسمه مع اسمه الذي سما على العرش بعظمته وجلاله ورفعته وكبريائه وذل لاسمه كل شيء بالتعبد والخضوع والاقرار كيف يقدر

---

(١) سورة النساء آية ٤٨ وآية ١١٦

(٢) في أ ط : القلوب

(٣) في أ ط : النفوس

(٤) الزيادة من ط ، خ ، ت

(٥) في ت : من عقاب الله

(٦) في أ ، ط ، ت : أو يؤدى أحد شكره

قدره أو يؤدا شكره ، وقد أمر الله بتعزيزه وتوقيره في آيات كثيرة من كتابه فقال :

(يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) (١)

(.. لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه .....) (٢)

وقال للصحابة :

(يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله الى قولـــه (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) (٣)

فشخص وصل قدره عند الله حبط (٤) أعمال الاسلام من أجل رفع الصوت عنده لقد جل قدره وعظم خطره ، وكذلك رفع الصوت بالآراء على سنته وتقديم الرأى عليها والتهاون بكلامه من ذلك المعنى بل تلحظ سنته وكلامه كما يلحظ شخصه .

واختصار القول في هذا المعنى أن البارى تبارك وتعالى جعل الخيـــر والهداية والنعيم الذى في يده جل جلاله في خزانة ملكه وجعل الشـــر والضلال والعذاب وانواع الخزى كلها الذى في يده الأخرى في خزانة ملكه ثم خاطب الخلايق كلهم وقال لا ينال أحد من الخير الذى في يدي ذرة الا على يدى هذا الشخص الذى أرسلته اليكم ولا ينال شيئا من الشر الذى لا يقوم له شيء وهو بيدى الا من أغضب هذا الشخص ولم يطعه فهكذا ينبغي أن تفهم بعض درجات النبي ومراتبه صلى الله عليه وسلم ومن العدل في حقه كثرة الصلاة عليه والدعاء له والايثار له على كل شيء دون الله . وهذا الذى ذكرت قطرة من بحر .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٥

(٢) سورة الفتح من آية ٩

(٣) سورة الحجرات الآيتين ١ — ٢

(٤) في ظ : أن أحبـط

فنسأل الله الكريم ان يجعلنا من امته ويمتنا على سنته وطريقته آميـــن وصلى الله على محمد والــه .

وأما حق الدين الذى جاء به هذا النبى فانه دين الله الذى فرضه علـى حملة عرشه وعلى خدمة ملكه وملكوته وعلى جميع مخلوقاته وارتضاه لنفسه ولـم يقبل من أحد غيره وليس فى ملكـه دين سواه وفيه غاية رضوانه فشيء بلـغ رضوان (١) الله ولم يرض غيره فمن العدل فى حقه ان تعظم أركانه فـى القلوب وترفع درجاته وتؤثر على النفوس وتلحظ حدوده بعين الوقـار ويغتبط به ويسأل الله العبد أن لا يحول بينه وبينه فى حال ولا يتهاون بشيء من فرائضه فانه من تهاون بشيء بلغ رضا نفس الله تعالى . فقد تعـرض لعظيم من الهوان . وبالجملة فلا يقدر الخلائق كلهم قدر شيء افترضه (٢) الله على جميع مخلوقاته وفيه رضى نفسـه

نسأل الله الكريم أن يرزقنا تعظيمه ومحبته والموت عليه . آميـن .

وأما حق الخلق بعضهم مع بعض (والقول) (٣) فى ذلك فكثيـر (٤) جدا لو تتبعناه لكان فيه اطالة كثيرة جدا وغرضنـا الاختصار . فانظـر الحقوق التى أوجب الله ، لكل خلق عليه من نفسك ظاهرا أو باطنا وأهلك وجميع الخلق فاعط كل ذى حق حقه على غاية ما تقدر عليه (٥) والذى يجمع لك ذلك أن تعلم أن المقامات ثلاثـة مقام الاحسان والســروح وفيـه

---

(١) فى ظ خ ت : رضى الله

(٢) فى خ : لم يذكر كلمة" كلهم" وفى ت : فلا يقدر الخلائق كلهم على قدر شيء

(٣) كذا وردت فى أ ظ ت وهو الصواب وفى : ع ، خ : والعدل فى ذلك .

(٤) فى ظ يكثـر

(٥) فى أ ، خ ، ت : ورد هنا قوله : (وأعلم ان من عدل وأعطى كل ذى حق حقـه دخل الجنة بغير حساب) وسيذكر هذه الجملة بعد قليل فتكون متكرره فى أ ، خ وتكرارها لا يخل .

حقوق الربوبية . ومقام الايمان والنفس فى عالم الآخرة والأملاك وموجودات الآخرة ومقام الاسلام والجسد فى عالم الحس وللكل عليك حقوق والعدل فى ذلك اعطاء كل ذى حق حقه ، (واعلم أن من عدل وأعطى كل ذى حق حقه دخل الجنة بغير حساب) (١) ومن بخس حقوق ذوى الحقوق وظلمهم طالبه كل أحد بحقه ومن أجل ذلك طال الحساب ودخلت النار وبخس الخلق أنفسهم فى ارتفاع درجات الجنان فان لله حقا وللآخرة حقا وهو العمل لها والايثار لها على الدنيا وللرسالة حق وللملائكة حق وللدين على اختلاف ضروبه حقوق وللخلق حقوق وأمر الله بالعدل فى جميع ذلك .

واعتبر امر العدل بقصة المواريث وترى كيف أعطى الله الذكر مثل حظ الأنثيين واعطى لواحد الكل فى موضع ولأخر النصف ولآخر الربع ولآخر السدس ولآخر الثمن ولآخر ما بقى وكيف اشترك اخوة الام الذكر والانثى (٢) على السواء بلا تفضيل فانه انما اعطى لكل شخص من الميراث على قدر ما له من القرب فى النسب من الميت وكذلك يحجب الأقرب من الميت الابعد منه يتبين لك العدل من الله تعالى (٣) فى جميع خليقته . وكذلك أمرك ان تستن بسنته فى العدل فى نفسك فتعطيها حقها من أكل ومشرب وما تحتاج اليه كما امرت وتأخذ منها حق الله فانك راع على نفسك وجوارحك وصفاتك ومسؤل عن العدل فيها . وكذلك فى صحبتك مع الخلق العدل فى ذلك ان تكون انت وهم كأسنان المشط كما ورد فى الخبر : (٤)

---

(١) تكرر ما بين القوسين فى أ ، خ كما تقدم ذكره

(٢) فى خ : الذكور والاناث

(٣) فى ط ، ت : يتبين لك عدل الله تعالى

(٤) فى ت ، خ : ورد فى الحديث .

((الناس كاسنان المشــــط)) (١)

اى معتدلين لا يبخس أحد من حقه شيئا لأن أسنان المشط مستوية لا يترجح واحد على آخر .

واعتبر كيف أهلك الله امة شعيب عليه السلام بترك العدل والقسط .

واما اعتبار العدل فى جميع الوجود فمن نظر الوجود رآه كله قائما بالقسط كما قال (تعالى)

(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شئ موزون) (٢)

وكذلك كل شئ كما نبه عليه فى قوله :

(شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط) (٣)

اى يعطى كل شئ قسطه

من الله علينا برحمته وفضله ورضى عنا خصماءنا بكرمه وسمح لنا فى حقوقه آمين

وصلى الله على محمد وآله وسلم .

---

(١) استشهد به الطوسى فى اللمع وخرجه المحقق فقال : أخرجه الديلمى عن سهل ابن سعد وله عن أنس :

الناس مستوون كأسنان المشط ليس لاحد على أحد فضل الا بتقوى الله .

انظر اللمع تحقيق د /عبد الحليم محمود ص ٥٥٩

وانظر الفوائد للشوكانى ص ٢٢٧ رقم الحديث ٢٧

فقد نقل عن ابن عدى انه قال : وضعه سليمان بن عمر

(٢) سورة الحجر آية ١٩

(٣) سورة آل عمران آية ١٨

الشعبة السابعة عشر (١) : الأمانـــة

وهى من اعظم (٢) شعب الايمان لان النبى عليه السلام قد نفى الايمـان عمن ليس بأمين فقال :

((لا ايمان لمن لا أمانة لـه)) (٣)

وروى أبو هريره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)) (٤)

وفى حديث حذيفه الذى رواه فى رفع الأمانة قال فى آخـره :

((فيصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحدهم يؤدى الأمانة فيقال ان فى بنى فلان رجلا أمينا ويقال للرجل ما اعقله وما أظرفه وما أجلده وما فى قلبـه مثقال حبة خردل من ايمان)) (٥)

---

(١) فى ظ : السابعة عشرة وهو الأصح

(٢) فى ت : وهي أعظم

(٣) خرجه الألبانى فى تخريجه لأحاديث كتاب الايمان لابن أبى شيبه فقال : حديث صحيح واسناده حسن أخرجه احمد من طرق اخرى عن أبى هـلال بمسه وله عنده ٣ / ٢٥١ طريق ثانية عن أنس وعند ابن حبان طريق ثالثـه عنه وفى كلها زياده (لادين لمن لاعهد له) انظر " من كنوز السنه رسائـل أربع تحقيق الألبانى ص (٥) حديث (٧)

(٤) اخرجه البخارى فى كتاب العلم رقم الحديث (٥٩) باب من سئل علما وهـو مشتغل فى حديثه ، وفى كتاب الرقاق باب رفع الأمانة : رقم الحديث ٦٤٩٦

(٥) بعض حديث أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق باب رفع الأمانه رقم الحديـث ٦٤٩٧ وفى كتاب الفتن باب اذا بقى فى حثالة من الناس رقم الحديـــث ٧٠٨٦

وأخرجه مسلم فى كتاب الايمان باب رفع الأمانه . . . رقم الحديث ١٤٣

فانظـر هذه الشعبة ما أعظم قدرها التي يذهب الايمان بذهابها
واعلم يا أخي أن الأمانة قدرها عظيم لأن الله عرضها على السموات والأرض
والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها .

وهي صفة باطنة نزلت في جذر قلوب الرجال يؤدي العبد المتصف بها
الشيء الذي أوتمن عليه واستودع (١) الى من ائتمنه واستودعه (٢) كما
استودعه ويحق لكل عبد أن يبكي القيح والدم ان قدر على ذلك من أجل
حمله الأمانة (٣) فان قدرها عظيم وحملها الانسان بجهله وظلمه ، واعلم
يا أخي وفقنا الله واياك أن الأمانة على ضروب فمنها امانة الله وأمانة
الرسول وأمانة فيما بين الخلق .

قال الله تعالى :

((يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم
وأنتم تعلمون)) (٤)

ومعناه : لا تخونوا الله فيما أئتمنكم عليه (ولا تخونوا الرسول فيما ائتمنكم عليه (٥)
ولا تخونوا بعضكم لبعض فيما أوتمنتم عليه) .

فأما أمانة الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه فهي الوديعة التي استودع الله
آدم وولده وأمنهم عليها وهي تمليكه اياهم الأشياء (٦) وجعله اياهم خلفاء
في ملكه لانه لولا الغيبة لما سميت الأمانة أمانة ولا الخيانة خيانة فبغيبتهم

---

(١) في ظ مت : واستودعه
(٢) في خ : او استودعه
(٣) في خ : من أجل حمل
(٤) سورة الأنفال آية ٢٧
(٥) ما بين القوسين سقط من ظ ، خ
(٦) في ظ : للأشياء

عن المستخلف ظهر الأمين منهم والخاين ، فأول ما ملكهم نفوسهم وأمنهم (١) عليها وأمرهم بحفظها وان يلقوه طاهرين من معانى الخيانه كما خلقهم طاهرين ثم ملكهم بعد نفوسهم ملكه واستخلفهم فيه ليكونوا فيه قائمين بحقوق الأمانه لأن من ملكك شيئا واستخلفك عليه فقد أمنك عليه (٢) فحقيقة الأمانه اذا أن يحكم الأمين فى نفسه وفيما ملك (٣) بحكم من أمنه واستخلفه وكما أمره فيكون بدلا من الذى أمنه على نفسه وعلى ملكه فلذلك عظم أمر الأمانة والخيانه لأنه كلف ان يحكم فى نفسه وغيره كحكم الله تعالى فيه وفى غيره فان قلت كيف يقدر أحد على هذا فاعلم ان حكم الله هو الشرع الذى شرع والحد الذى حد وقد كلف العبد القيام بما شرع الله له وحكم عليه فى نفسه وغيره وكذلك ورد فى تفسير صحيح البخارى فى قوله تعالى :

(انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال ...) (٤)

قال فى تفسير الأمانة (٥) : ما امر به الشرع والشرع أمر بالتوحيد والايمان بالمؤمنات والقيام بفروع الاسلام وجميع المشروعات) (٦)

فقد عمت الامانة مقام الاحسان والايمان والاسلام ظاهرا وباطنا فقد أمنه الله على مقام الاسلام وفروعه وعالم الحس وأمنه على مقام الايمان [illegible]

---

(١) فى ظ واتمنهم

(٢) فى خ ،ت : لم ترد كلمة" عليه"

(٣) فى ث : ملكه

(٤) سورة الاحزاب آية ٧٢

(٥) فى ظ ،خ : قال فى التفسير ـ الأمانه ..

(٦) لم أجد ما اشار اليه المؤلف فى كتاب التفسير فى صحيح البخارى ، وما اشار اليه المؤلف فى تفسير الأمانه قد ذكره النووى فى شرحه لصحيح مسلم فى أقوال العلماء فى معنى الأمانه قال : قال الواحدى : وهذا قول اكثر المفسرين قال : فالأمانه فى قول جميعهم الطاعة والفرائض التى يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب .... الخ

صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ٣٥١ باب رفع الامانه .

وعلى نفسه فى عالم النفس وأمنه على مقام الاحسان فى مقام (١) الروح والعقل لان ذلك هو الشرع كله أمنه عليه ليرى أيكون أمينا فى ذلك كله ام لا فقد عمت الأمانة المقامات كلها فافهم ولكن انما تفهم حقيقة المعنى منها أعنى الأمانة بفهم الخلافة فالأمين هو الذى يكون اذا غاب بالذى أمنه كما كان معـــه فى حال (٢) حضوره .

والبارى جل جلاله خلق الخلق طاهرين واستخلفهم فى دار الدنيا ثم أمرهم بالايمان به والعمل بمقتضى الايمان بالغيب فمن حفظ نفسه فى دار الدنيا وحفظ ما أمن عليه كما كان يحفظ ذلك فى حال حضوره بين يدى الله عـــز وجل فهو الأمين وقد نبه الله على هذا المعنى فى مواضع كثيرة فقال تعالى :

(يعلم خاينة الأعين وما تخفى الصدور) (٣)

فنبـــه الناظر على أن الله يعلم خائنة الأعين (٤) وما تخفى الصدور (٥) فلو أن الناظـــر يعلم ويتحقق أن الله يراه فى حال النظر لما نظر الى مـــا حظر عليه ـ وقالت امرأة العزيز (٦) (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) (٧)

فالأمانة : أن يستوى من الأمين سره وعلانيتـــه .

---

(١) فى ظ خ : فى عالم الروح

(٢) فى خ : لم ترد كلمة معـــه

(٣) سورة غافر آية ١٩

(٤) فى ظ خ ت : خائنة نظره

(٥) جملة " وما تخفى الصدور لم ترد فى ت

(٦) فى ظ : وقال يوسف عليه السلام فى قصة امرأة العزيز وهو خطأ

(٧) سورة يوسف آية ٥٢

ولا يبالى على أى حال اطلع عليه الا ما امر الشرع بستره من نكاح أو غيره وهذه المسألة تستدعى فهم معنى الخلافة وكيف استحق ابن ادم (١) ذلك دون (٢) ساير الخلق فاعلم ان الملائكة المكرمين خلقوا على مراتب لا يتعدى أحد مرتبته التى جعل فيها كما قالوا صلوات الله عليهم

(وما منا الا له مقام معلوم) (٣)

وقد عمروا العالم كله حتى انه ليس فيه موضع شبر الا معمور بهم فالملائكة المخلوقون (٤) بالأرضين الموكلون بها لا يتصرفون الا فى معنى ما خلقوا له (٥) وصرفوا فيه والملائكة المخلوقون (٦) بالبحر الموكلون به كذلك والموكلون بالرياح أيضا كذلك لا يتصرفون الا فى المقام الذى هم فيه وفى الأمر الذى وكلوا به وكذلك الموكلون بعالم الأفلاك والشمس (٧) والقمر والنجوم وأجرام السموات وحملة الكرسى والعرش وملائكة الجنان وملائكة النار والحجب (٨) وغير ذلك مما لا يحصى كل منهم مخلوق من نوع مقامه الذى وكل به وعامل بالعمل الذى استعمل فيه لا يتعداه وكذلك الشياطين والجن (٩) مقصورون على نوع ما خلقوا منه وكذلك الحيوانات والنبات والأفلاك الدايرات كل شىء

---

(١) فى ع : ابراهيم بدل من : ابن آدم وهو خطأ

(٢) فى ظ : بدل "دون" "بين"

(٣) سورة الصافات آية ١٦٤

(٤) فى خ : المخلوفون وهو الاصح .

(٥) فى ظ خ ت : منه

(٦) فى خ : المخلوفون وكذا : "ما خلفوا قبله . وهو الاصح .

(٧) فى ت : بالشمس

(٨) فى خ : وملئكة الحجب

(٩) فى خ : وكذلك الشيطان والجان .

من ذلك، قاصر على (١) الشيء الذى استعمل به غيره (٢) فكل واحد منهم أمن (٣) فى نفسه على الشيء الذى اختص به وهذه الأمانة المعرفة بالألف واللام فى قوله :

(انا عرضنا الأمانة ......)) (٤)

مخصوصة لأدم وولده لأن الله خلق آدم وولده من جميع المخلوقات وركب بنيته من جملة (٥) الموجودات وعلمه الأسماء كلها فلذلك كان خليفة لأنه صالح لان يفهم جميع معانى الموجودات كلها . وفى بعض الكتب المنزلة : (ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى) (٦)

ويصدقه من القرآن قوله عز وجل :

(هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا .) (٧)

وقوله :

(وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه) (٨)

فهذا هو عالم الملك الظاهر كله مخلوق من أجله .

وأما عالم الملكوت فان الله تعالى يقول :

(واتقوا النار التى اعدت للكافرين) (٩)

والجنة التى اعدت للمتقين (١٠) . فهذا عالم الملكوت مخلوق من أجله وابليس انما

---

(١) فى خ : عن الشيء وهو أصح

(٢) فى ط : الذى استعمل فيه غيره

(٣) فى ط خ : أمين فى نفسه

(٤) سورة الاحزاب آية : ٧٢

(٥) فى ط ت : من جميع بدل " من جملة "

(٦) أورده ابن كثير فى آخر تفسير سورة الذاريات .

(٧) سورة البقره اية : ٢٩

(٨) سورة الجاثية آية : ١٣

(٩) سورة آل عمران آية : ١٣١

(١٠) يشير بقوله : (والجنة التى اعدت للمتقين) الى قوله تعالى فى سورة آل عمران آيه ١٣٣ (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين) .

ابلس من أجلـه لما لم يقر بخلافته والملائكة مصرفون فى حوايج بنى آدم فاسرافيل مشغول بالصور الذى فيه أرواح بنى آدم . ، وجبريل مصــرف فى الوحى الذى فيه هداية بنى آدم . وميكائيل وكل بارزاق بنى آدم وملك الموت مسخر فى (١) قبض ارواحهــم . والبهائم مخلوقة لهم (والعــرش سقف الجنه) (٢) والجنة مخلوقة لهم فكل شيء من أجله خلق ولذلك خلق فى آخر الموجودات كلها فخلق الله تبارك وتعالى العرش والكرسى والجنة والنار والسموات والأرض والنبات وجميع الحيوانات ثم خلق بعد ذلك آدم حين كملت الموجودات ليكون خليفة فيها لأن آدم (٣) فيه من الأرض جــزء ومن الجبال جزء ومن الماء جزء ومن الهواء جزء ومن الريح جزء ومن النــار جزء ومن السحاب جزء (ومن معاني النبات جزء ومن أخلاق الحيوانــات جزء) (٤) ومن أخلاق الشياطين جزء ومن أخلاق الملئكة جزء ومن جميــع الموجودات جزء فمن التراب لحمه ومن الجبال عظمه ومن الماء دمه ومــن الهواء نفسه ومن الريح قوته ومن النار حرارتــه . وجعل فى باطن جســده القلب وهو مثال للشمس (٥) فى الفلك منه تنتشر الحرارة فى الجسد كالشمس فى العالم وجعل فيه الـرية لتبريد الحرارة عن باطن جسده (٦) وهــى مثال للقمر فى العالم الفلكي وجعل فيه المعدة المشتهية للطعام وهى مثال

---

(١) فى ت : مصــرف

(٢) ما بين القوسين هو الصواب وقد ورد فى ع هكذا : (والسقف عرش الجنــة) وهو خطأ

(٣) فى ظ خ ت : لأن ابن آدم

(٤) ما بين القوسين ورد فى بقية النسخ ولم يذكر فى : ع

(٥) فى ت خ : مثال الشمس

(٦) فى ظ خ ت : عن باطن الجسد وهو مثال .

للزهرة (١) فى الفلك ، وجعل فيه المرار المهيج للغضب والحقد وغير ذلك من الأفعال التى تحمد مرة وتذم أخرى وهو مثال للمريخ (٢) فى العالم الفلكي وجعل فيه الكبد المصفى للدم المعدل للمزاج وهو مثال للمشترى فى العالم الفلكى (٣) وجعل فيه الطحال الزام بهوده ويبسه ما صرفه الله فيه من باطن الانسان وجعل مثاله فى الفلك زحل وجعل فيه الدماغ المهيج للأفكار وغير ذلك، مما صرف فيه وهو مثال لعطارد فهذه مثالات فى جسد الانسان لاشخاص الأفلاك التى اقسم الله بها وهي الجوار الكنس والشمس والقمر وجعل فى هذه الأعضاء الرئيسية قوى أفعاله (٤) بأذن الله تعالى فمنها مغذ ومنها جاذب وماسك، ودافع ومصور ومعدل ومقسم للغذاء وغير ذلك من القوى المركبة فى باطن الانسان ، وهى مثال للأملاك المصرفه للفلك والكواكب الخدمه لهذا العالم باذن الله تعالى وركب أيضا فى الانسان طبايع النبات وطبايع الحيوانات (٥) من الاكل والشرب والمرارة والحلاوة والخشونه والبلادة والحقد والشجاعة والجبن وجميع صفات البهايم والنبات المحمودة والمذمومة ليفهم المعانى كلها لكنه كلف ان يصير المذموم محمودا ، وكذلك جعل (٦) فيه الهمم العالية الرفيعة مثال السموات العاليات والهمم الدنية السافلة مثال للادراك السافلة (٧) وجعل له نفسا حاملة لجسدة

---

(١) فى خ : مثال الزهره .

(٢) فى خ : مثال المريخ

(٣) كلمه " الفلكى لم ترد فى ع ،خ

(٤) فى ظ خ ت : قوى فعاله وهو الصواب

(٥) فى ت : الحيوان .

(٦) فى ظ ت " جعل فيها " وهو خطأ

(٧) فى ظ ،ت : لادراك السافلات وفى خ : للادراكات السافلات .

وهى مثال لعالم الكرسى الذى وسع السموات والأرض وجعل له روحا وعقلا ، وهو مثال للعرش (١) الحامل للكل ، وصفات محمودات واخلاق مذمومات وهى مثال للملائكة (٢) والشياطين فصفات اللين والرحمة والرضوان مثال للملئكة (٣) السماوية المقربين الروحانيين وصفات الشدة والغلظة والقوة مثال الملئكة (٣) الأرضية أهل قبضة الشمال ، ومثال أخلاقه المذمومة مثال الشياطين . وجعل الله له سمعا وبصرا وارادة وكلاما وحياة وعلما وقدرة ليفهم بها صفات باريه فالانسان اذا تفكر فى جسده ونفسه وروحه وعرفها عرف منها جملة الموجودات فلهذه العلة تكلف الأمانة وصار خليفة الا أنه كلف أن يجرى أخلاقه وأعماله وأحكامه كلها على الشرع فيكون كل ما فيه محمودا فائتمنه الله على نفسه وعلى مخلوقاته وأمره أن يكون فيها بدلا منه (٤) وأن لا يخون ولا يغير الأمانة فمن أيده الله بالتوفيق وأجرى أموره على الشرع وبقى على صورة الأمانة وصل فى الآخرة الى معنى قوله تعالى :

(واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) (٥)

ومن خان الله تعالى وادعى الربوبية لغير الله أو لنفسه او لفعل من أفعال

---

(١) فى خ : العرش الحامل

(٢) فى خ : "الملئكة" فى الموضعين

(٣) فى ت : للملئكه

(٤) تكررت عبارة المؤلف هذه . وقد علقت عليها فى أول الكتاب ص ٦٦ وانظر معنى الخليفة فى تفسيرى : ابن جرير الجزء الاول ص ١٥٦ وابن كثير ج ١ ص ٧٠ قال ابن كثير : قال ابن جرير : وانما معنى الخلافة التى ذكرها الله انما هى خلافة قرن منهم قرنا ..... الخ .

(٥) سورة الانسان آية ٢٠

الله فقد خان الله فيما أمنه عليه وغير الأمانة وحجدها وأراد قلب الملك وقام على الملك فى ملكه وأفسده . ولذلك قيل من الذنوب ذنوب لا يصلح للملك ان يعفو عنها (١) وليس من الحكمة العفو منها (٢) : خليفة استخلفه (٣) ملك فاراد قلب دولته عليه فانها خيانه (٤) عظيمة لا يصلح العفو عنها اذا عثر عليه قبل توبته ورجوعه الى الحق . فلذلك انقسم الخلفاء الى أمناء وخونة وما بين ذلك فقسم لهم (٥) داران : دار الكرامة ودار الهوان نسأل الله الكريم أن يلهمنا رشدنا ويتوب علينا من دقائق الآفات وجليلها (٦) انه كريم منان .

واما أمانة الرسل عليهم السلام فانهم استودعوا الناس الشرائع التى جاؤا بها وهى العلوم والأعمال كما ورد فى الحديث :

(العلماء امناء الرسل) (٧)

وكلف الخلق كلهم طلب العلم وفرض (٨) عليهم فهم امناء عليه وعلى العمل به فهم امناء على الوضوء والصلاة والغسل والصوم والزكاة والحج .

---

(١) فى ظ ، ت : لا يصلح للملوك أن تعفو عنها

(٢) فى ظ ، خ ت : العفو عنها

(٣) فى خ : العفو عنها ، فمنها خليفة

(٤) فى ت ، خ : جناية

(٥) فى ت : فقسم له

(٦) فى ظ ت : وجليها

(٧) ذكره السيوطي فى الجامع الصغير ورمز له بالحسن وقال ابن الجوزى موضوع ولكن المناوى فى فيض القدير استدرك على ابن الجوزى بقوله : قوله موضوع : ممنوع ، وله شواهد فوق الأربعين فنحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحسن .

فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٤ ص ٣٨٢

(٨) فى ت : وفرضه عليهم وهو الأصح

وعلى الاعتقادات كلها وكل (١) ما يلزمهم التصديق به والعلم والعمل فمن وافق علمه عمله وستره علنه وكان جاريا على سنة الأنبياء فهو الأمين ومن كان بضد ذلك، فهو الخاين وبين ذلك، درجات ولذلك تقول الأنبياء : اذا سئلت يوم القيامه : لا علم لنا ، قال الله تعالى :

(يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم لنا انك، أنت علام الغيوب) (٢)

اى انت العالم ببواطنهم وما كانوا عليه فحينئذ تظهر الأمانة والخيانة تاب الله علينا من جليل الخيانة ودقيقها آمين .

وأما أمانة الناس بعضهم مع بعض ، فهى الودايع فى الأموال والأهلين وهى التى عبر عنها (فى) (٣) قوله تعالى :

(... وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون) (٤)

والأمانه صفه كريمة من علامة السعادة فمن أخذ درهما او أقل من ذلك أو اكثر من مال غيره فهو خاين لا يبريه الا رده .

---

(١) فى خ : وعلى كل ما يلزمهم .

(٢) سورة المائدة آية ١٠٩

(٣) حرف " فى " ذكر فى ت

(٤) سورة الأنفال من آية ٢٧

وكذلك، من نظر نظرة الى غير أهله بسوء كما قال تعالى :

(يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) (١)

وكذلك، جميع الجوارح اذا تعدت الى متاع الغير قد خان غيره فى ذلك والخيانة كلها مذمومة مجانبة للايمان فقد عمت الأمانة جميع المقامات الاسلامية والايمانية والاحسانية كلها ليرى ايكون (٢) خائنا نفسه أم لا .

ونسأل الله التوبة من جميعها آمين وصلى الله على محمد وآله .

---

(١) سورة غافر آية ١٩

(٢) فى خ : أيكون العبد خائنا

الشعبة الثامنة عشر(١): الصدق :

فأما كون الصدق من شعب الايمان فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وأن البر يهدى الى الجنة ومازال (٢) الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا)) (٣)

فشىء يبلغ الى الصديقية التى هى ارفع درجات الايمان كيف لا يكون من الايمان ، ولان لفظ الصدق من لفظ التصديق والتصديق هو الايمان فهو منه الا أن الصدق يجرى من الايمان مجرى القوة من الأبدان فاذا لم تكن القوة فى البدن كان ضعيفا بقدر ما نقصه من القوة وكذلك الصدق من الايمان بقدر صدق العبد تكون قوة ايمانه ولان الكذب الذى هو ضد الصدق مجانب للايمان كما ورد عن النبى عليه السلام حين سئيل ((فقيل له يارسول الله أيكون المؤمن بخيلا قال نعم قيل أيكون المؤمن جبانا قال نعم قيل (أيكون) (٤) كذوبا قال لا)) (٥) .

---

(١) فى ظ : الثامنة عشرة وهو الأصح

(٢) فى خ ،ط : وما يزال وهو الأصح كما فى رواية مسلم

(٣) رواه البخارى كتاب الأدب باب ٦٩ رقم الحديث ٦٠٩٤ رواه مسلم فى كتاب البر والصلة باب قبح الكذب رقم الحديث ٢٦٠٧

(٤) كلمة (أيكون) من ظ وهو الصحيح كما ورد

(٥) أخرجه الموطأ فى كتاب الكلام باب ما جاء فى الصدق والكذب ،ونقل الزرقانى أن حكمه الرفع على الصحيح لأنه مما لا مجال للرأى فيه
شرح الزرقانى على موطأ مالك ج ٤ ص ٤١٠

وأعلم أن الصدق هو : التحقق والتحقيق (١) بصفات الصادقين ، لأن الصدق هو الحق والكذب هو الباطل .

فحد الصدق هو : التحقيق في الأقوال والأعمال وأحوال القلوب .

وحال القلب هي حقيقة الصدق وصدق الأقوال والأفعال (فروع عنهـا تصدر الأقوال الصادقة والأفعال) (٢) الناطقة بلسان الحال التي هي أصدق من لسان المقال ولذلك قال الأشياخ من العلماء :

(ليس في المؤمنين أقل من الصادقين)

وقالوا أيضـا :

(الصدق سيف الله في الأرض ما وضع على شيء الا قطعه)

فالصادق في ايمانه من صدرت أقواله وأفعاله عن حال (٣) اتصف بها قلبه وهي التي سأل الخليل ربه فقال :

(واجعل لي لسان صدق في الآخرين) (٤)

قيل : ثناء حسنا اى يثنى على بحـق .

وقال النبي عليه السلام في هذا المعنى :

((ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلب وصدقـه العمل)) (٥)

فالصدق على هذا على ضربين : ظاهر وباطـن :

---

(١) في : ظ :هو التحقيق والتحقق ،وفي ت :هو التحقيق والتحقيق وفي خ :هـو التحقيق بصفات.

(٢) الجمله بين القوسين وردت في جميع النسخ عدا :ع

(٣) في ظ ،ت : على حال

(٤) سورة الشعراء آية "٨٤"

(٥) أورده السيوطي في الجامع الصغير وضعفه ،وقال المناوي في فيض القدير : حديث منكر راجع فيض القدير جـ ٥ ص ٣٥٦

فالباطن محله القلب والسر وهو على ضربين أعنى الباطـــن :

ضـرب فى مقام الايمان

وضرب فى مقام الاحســان .

والظاهر محله الجسد والجوارح الظاهرة فاذا استوى الظاهـروالباطـن فهو الصدق من قولهم : عود صدق اذا أخرجت عجم باطنه ووجدته موافقا لظاهره فى الصلابـه الا ترى أن الصادق فى القول هو الذى اذا أخبرك بشىء فقد تحققه بقلبه فاذا وجدته كما أخبرك علمت أنه صادق . والكاذب بضد ذلك اذا اخبرك بخبر وهو لا يحققه بقلبه فاذا وجدته بخلاف ما أخبرك به علمت أنه كاذب فهذا يفهمك أن الصدق استواء السر والعلانية وذلك أن اللـه تعالى أرسل الرسل الى الخلق وأمرهم بالايمان بالغيب والعمل بمقتضى ما اخبروا به والصدق فى مقام اسلامه ، وصادقا فى مقام ايمانه ،وصادقـا فى مقام احسانه (١) ، وان يرتقى فى مقام الاحسان الى أعلى درجـات الصديقية والصديقين على قدر طاقته فآمنوا وعملوا وارتفعوا بقدر صدقهـم فى موافقة السر للعلانية وانحطوا وقصروا بقدر التناقض فى الأقوال والأفعال والأحوال قال النبى عليه السلام :

(ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى) (٢) والتحلى هو أن يتلبس الانسـان بالايمان والاسلام ويتمنى ما آمن به وأسلم له دون الأفعال ويعترى هـذا من ضعف الايمان وقلة قوة الباطن التى أعطيها الصادقون وعن هذا المعنى يسأل الناس يوم القيامه قال الله تعالى :

(ليسأل الصادقين عن صدقهم . . .) (٣)

لأن كل من أقر لله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة وآمن بما جاء به فهـو

---

(١) فى خ ،ت : الاحسان .

(٢) تقدم قريبا وهو ضعيف

(٣) سورة الاحزاب آية ٨

صادق فيما أقر به وآمن لانه شهد بالحق فيسأل عن صدقه هل وافقت شهادته حاله ام لا فمن صدّقت أحوالَه أقوالُه وأفعالُه نفعه صدقه قال اللـه تعالى :

(... هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ...) (١)

وقال تعالى فى قله الصدق :

(ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه ..) (٢)

كما قال عليه السلام :

(ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى) (٣)

فان عدم العبد الصدق خلفه ضده وهو الكذب فى الأقوال والأفعال فكان بالمنافقين أشبه منه بالصادقين على قدر قلة صدقه وكذبه لأن المؤمنين ضد الكافرين والمنافقين ضد الصادقين فان الكافرين جحدوا ظاهرا وباطنا والمنافقين تحلوا بالايمان ظاهرا وعروا منه باطنا فكانوا كاذبين .

والصادق الحقيقى هو الذى عرى من النفاق ولم يبق فيه منه شىء (لاستواء) ظاهره وباطنه والمنافق الحقيقى هو الذى عرى من الصدق ولم يبق فيه منه شىء لاختلاف ظاهره وباطنه وما بين ذلك درجات بقدر مخالفة الظاهر الباطن أو موافقة الباطن الظاهر (٤) فمن تحقق بالايمان والاحسان والاسلام ظاهرا وباطنا فهو الصديق (٥) قال الله تعالى :

---

(١) سورة المائدة من آية ١١٩

(٢) سورة النساء آية ١٢٣

(٣) تقدم قريبا وهو ضعيف

(٤) فى ظ موافقة الظاهر للباطن

(٥) فى ت : فمن يحقق الايمان والاسلام والاحسان ..

(والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء ..) (١)

ومن قل تحققه قلت صديقته ، ومن قلة الصدق خاف الصحابة وكبار العلماء

رضوان الله عليهم :

روى ابن أبي مليكة في الصحيح : (ادركت ثلاثين من أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه) (٢)

وقال التيمي : (ما عرضت قولي على عملي الا خشيت أن اكون مكذبا .) (٣)

وكان عمر يسأل عن نفسه لحذيفه (٤) : هل يرى فيه (٥) شيئا من أسباب

النفاق) (٦)

وقيل الصادق هو الذى لا يبالي متى جاءه الموت بل الصادق هو الذى يتمنى

الموت ، قال الله تعالى :

(... فتمنوا الموت ان كنتم صادقين)

وقال بعض العلماء : لا يفزع من الموت الا مريب .

فاذا أردت أن تعرف هل أنت صادق ام لا فانظر هل ترضى حالك للموت

وعملك للحساب ونفسك للقاء الله ام لا فبقدر صدقك تشتاق الى لقاء

مولاك فان قلت أحب البقاء لعلى أتوب الى الله واعمل صالحا فان ذلك

عقوبة ما فاتك من الصدق فيما سلف من عمرك أو عقوبة ما أنت عليه من قلة

---

(١) سورة الحديد من آية ١٩

(٢) صحيح البخاري كتاب الايمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر

(٣) المصدر السابق .

والتيمي هو ابراهيم بن يزيد بن شريك (الميزان ١/ ٧٤) وقال في فتح

الباري هو من فقهاء التابعين وعبادهم ١/ ١١٠

(٤) في ت : نفسه من حذيفه وهو الأصح

(٥) في ظ ، ت : هل ترى في .... ؟

(٦) ذكره ابن جرير في التفسير ج ١١ ص ٩

صدقك في حب الله ولقائه لأن نفسك أشركت في حبه (١) حب غيره ،
وللصديقين (٢) أسرار وأحوال لا يحل كشفها الا الصادقون (٣) بعضهم
مع بعض لتصديقهم بها واكثر الناس ينكرونها عليهم (٤) لضعف معاني
الصديقية عندهم فيهم (٥) لأنها درجة ليس بينها وبين النبوة حجاب
الا درجة الوحي المخصوص بالأنبياء عليهم السلام لان شرط النبي الصدق
والعصمة من ضده الذي هو الكذب فلولا صدق الأنبياء عليهم السلام
ما ظهر لهم دليل نبوة فناهيك بدرجة عصم الأنبياء من ضدها فآخر درجات
الصديق أول درجة النبي . من الله علينا بالصدق وجعلنا من أهله
في الدنيا والآخرة آمين آمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

---

(١) كلمة "في حبه" نقصت من خ

(٢) في ظ ، ت خ : وللصادقين

(٣) العبارة في ظ ، ت هكذا : لا يجمل كشفها الا للصديقين ، وفي خ : لا يحمل

(٤) هذا من دعاوى غلاة المتصوفة الباطله ، فان الله تعالى قد بين لنا ما نحتاج اليه في أمور ناكلها في كتابه العزيز وفي سنة نبيه الأمين صلى الله عليه وسلم . فان كانت هذه الأسرار التي يدعون اختصاص طائفة بها مما يخالف الكتاب والسنة فانكارها واجب وان كانت مما ورد به الكتاب والسنة فليس ذاك سر على أحد وطلب العلم على الجاهل واجب .

وانظر فتاوى ابن تيميه رحمه الله جـ ٤ ص ٤١٢ في انكاره على من ادعى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خص عليا بعلم . وانظر رسالة في علم الباطن والظاهر ضمن مجموعة الرسائل المنيريه جـ ١ ص ٢٢٩

(٥) كلمة "فيهم" لم ترد في ظ ، خ ، ت

الشعبة التاسعة عشر (١) : الوفاء بالعهود (٢) والمواعيد (٣) :

فاما كون الوفاء من الايمان فان ضده من شعب النفاق عن ابن عمرو أن رسول الله صلى اللـه عليه وسلم قال ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا أئتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر)) (٤)

والوفاء بالعهد على ثلاثة أضرب ضرب فى حق الله وحق دينه الذى هو الاسلام والايمان والاحسان . وضرب فى حق المؤمنين بعضهم مع بعض، وضرب مع الكفار .

فأما الوفاء مع الكفار بالعهد : فهم أهل الذمه والصلح المعاهدين اذا عوهدوا على ما عوهدوا عليه . وصولحوا وجب الوفاء لهم بذلك، وحرم ظلمهم وقد ثبت فى الصحيح عن النبى عليه السلام أنه قال ((من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما)) (٥) وفى الصحيح أيضا :((وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم . فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)) (٦) وقال الله تعالى :

(... وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا .) (٧)

---

(١) فى ظ : عشره

(٢) فى ظ : بالعهد

(٣) فى خ : والمواعد وهو القياسي كمساجد

(٤) اخرجه البخارى فى كتاب الايمان باب علامة المنافق رقم الحديث ٣٤ ومسلم فى كتاب الايمان باب بيان خصال المنافق رقم الحديث العام ٥٨

(٥) اخرجه البخارى فى كتاب الجزية باب اسم من قتل معاهدا بغير جرم رقم الحديث " ٣١٦٦ ".

(٦) رواه البخارى فى كتاب الجزيه باب اسم من عاهد ثم غدر رقم الحديث ٣١٧٩ ورواه مسلم فى كتاب الحج باب فضل المدينة رقم الحديث ١٣٧٠

(٧) سورة الاسراء من آية ٣٤

وعن أبي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة) (١)

فالوفاء مع الكفار أن لا يظلموا في أنفسهم ولا في أموالهم ويوفى لهم بشروطهم التي اشترطت معهم .

وأما الوفاء مع المؤمنين فاذا وعدت أخاك المؤمن بعهد فاياك أن تخلفه بوجه الا من عذر قاطع حايل بينك وبين الوفاء . والعذر المقبول في ذلك اذا ذكرته لمن عاهدته ووعدته مثل المرض وما أشبهه علم انه عذر ضروري فانك لم تكتمه كذبا أو حيلة تتخلص بها من خلف الوعد عنده . ومن العهد ان لا تغدر بمؤمن فتظلمه في نفسه أو ماله فان الله ورسوله قد أوجب على المؤمنين الا يخادع بعضهم بعضا ولا يمكر بعضهم ببعض حين جعلهم اخوة فقال : ((انما المؤمنون اخوة . . .)) (٢) وقال عليه السلام ((المسلم اخو المسلم لا يظلمه)) (٣) فاذا غدره وخادعه لم يعرف له بعهد اخوة الاسلام . والخداع والمكر ونقض المواثيق التي ربطت المسلمين كل ذلك من أخلاق المنافقين وأفعالهم التي هي ضد أخلاق المؤمنين . ولا جل كون هذه الأخلاق في الناس قيل ((لو نبت للمنافقين أذناب لما قدرنا ان تمشي على الطرق)) . (ومن العهد الذي يجب الوفاء به الارتباط لبيعة السلطان الذي اجتمع على توليته في كل زمان والذي انعقد له عهد

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد باب الوفاء للمعاهد رقم الحديث (٢٧٦٠) والنسائي في كتاب القسامه /تعظيم قتل المعاهد ج ٨ / ٢٢ واحمد في المسند ج ٥ / ٣٦

(٢) سورة الحجرات من آية (١٠)

(٣) كلمة لا يظلمه لم تذكر في خ ، ت والحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصله باب تحريم الظالم رقم الحديث ٢٥٨٠

الامامة بالشرع فاذا لم يرتبط ولم يرها (١) فقد نقض ميثاق البيعة الذى الزمه الشرع وذلك خروج عن الشرع . ومن العهد الذى يجب الوفاء به ما أخذه الله على العلماء فى قوله : ﴿ واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ... ﴾ (٢)

فقد أخذ على العلماء تبيين العلم وكشفه لاهله الطالبين له وتعليمه لكل جاهل به اذا رآه جاهلا وتنبيهه على ما ينفعه وذلك من الوفاء للرسول بالعهد الذى عهد به اليهم حين قال للآخذين عنه (ليبلغ الشاهد الغائب) (٣)

وقال الله تعالى :

﴿ ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ... ﴾ (٤)

فهذا كله مما اخذ على من علم شيئا أن يعلمه ولا يكتمه فانه عهد الله وعهد الرسول الى الخلق وكذلك أخذت الانبياء العهود والمواثيق على جميع اممها أن تؤمن بمحمد وتقبل منه اذا بعث فكل مؤمن به قبل مبعثه أو حين مبعثه أو بعد مبعثه فقد وفا بالعهد ولم يخلف الوعد وكل من لم يقبل منه عليه السلام فقد نقض العهد وأخلف الوعد وأورثه ذلك الخلود فى النار وان كان مؤمنا بالله وانما أورث ذلك خلف الوعد ونقض العهد فانظر ما اعظم قدر هذه الشعبة من شعب الايمان .

---

(١) فى ت ولم يردها وهو خطأ

(٢) سورة آل عمران من آية (١٨٧)

(٣) بعض حديث رواه البخارى فى كتاب العلم باب قول النبى صلى الله عليه وسلم رب مبلغ اوعى من سامع رقم الحديث ٦٧

(٤) سورة البقرة من آية ١٥٩

والوفاء محمود بكل لسان وكذلك من العهد تبليغ الرسل ما اخذ الله عليهم تبليغه الى الامم لا يسعهم الا الوفاء بما عهد الله اليهم فالتزموا الجد والصبر على ما أصابهم من الأذى طمعا فى تنفيذ العهد والوفاء به فبلغوا امتهم (١) وعهدوا أيضا الى اممهم كما عهد اليهم وأوصوهم بالايمان بمحمد عليه السلام فى كل قرن وزمان قال الله تعالى :

((واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أ قررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٢)

والوفاء بالعهود والمواعيد (٣) عام فى كل شيء فمن اعتبره ونظره وجده شايعا فى جميع الأمور ويجمعه ثلاث مقامات : مقام الاسلام فى الظاهر، ومقام الجسد، وضرب فى مقام الايمان وعالم الغيب لانه أخذ عليه العهد أن يؤمن بالغيب والدار الآخرة ويعمل فيها (٤) على قدر طاقته فوجب عليه الوفاء بذلك، وضرب فى مقام الاحسان ومقام الروح والعقل لانه قد أخذ عليه العهد فى الميثاق الأول ان لا يشرك به ولا يساويه بخلقه وأن يؤثره على ما سواه فى جميع الأحوال فقد وجب عليه الوفاء بذلك فقد عمت هذه الشعبة المقامات كلها فافهم من الله علينا بصفة الوفاء انه على كل شيء قدير .

---

(١) فى ت خ : اممهم

(٢) سورة آل عمران آية ٨١

(٣) فى خ : والمواعد

(٤) فى خ : والعمل لها وهو الأصح

واعلم أن عهد الله تعالى قديم وذلك، قبل خلق الدنيا والأجساد (١)

فان الله تبارك، وتعالى لما برى الأرواح الروحانية من جميع الموجودات قبل

خلق الأشباح الجسمانية وقت تقدير المقدورات فاشهدهم ربوبيته (٢) -

فشهدوا وأمرهم بطاعته فأطاعوا وذلك، (٣) اخذ أرواح بنى آدم فاشهدهم

وقررهم (٤) فاقروا قال الله تبارك، وتعالى :

(واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على

أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا . . .) (٥)

فشهد الوجود كله له . قال النبى عليه السلام : (ان الله خلق الأرواح قبل

الأجساد بخمسين الف سنة) (٦) قيل أرواح الموجودات كلها وقال عليه

السلام (ان الله خلق الخلق وقضى الأقضية وأخذ ميثاق النبيين وعرشه

على الماء ثم غيبهم فى الوجود فلما أوجد الجسمانيات وربطها بالروحانيات

قررهم على العهد القديم وذكرهم به فقال للسماء والأرض ائتيا طوعا

أوكرها قالتا أتينا طائعين) (٧) وأما بنو آدم فذكرهم بالعهد القديم

---

(١) فى ح : الارواح والاجساد

(٢) فى ظ ، ت : بربوبيته

(٣) فى أ ، ت ، خ : وكذلك،

(٤) فى ت : وأقرهم

(٥) سورة الأعراف من آية ١٧٢

(٦) لم اجده بهذا اللفظ وأورد ابن القيم فى كتابه : الروح حديثا قريبا منه بلفظ : ان الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفى عام . . الحديث واعقبه فى موضع آخر بقوله : وأما حديث خلق الارواح قبل الاجساد بألفى عام فلا يصح اسناده راجع الروح لابن القيم الطبعة الاولى ٤٠٢ ص ٢١٧ ، ٢٣٢

(٧) لم أجده فى كتب السنه المشهوره .

على السنة الرسل والأنبياء وأمرهم بالوفاء بعهد الله وان لا ينقضوا الميثاق وذلك أن تعطى الربوبية حقها وتلتزم العبودية قدرها ولذلك جـــاء الألف واللام فى ذكر الميثاق لتعريف العهد القديم (١) .

فانقسم الخلق فى دار الدنيا الى : (ذاكر للعهد متذكر فأخذ فى أسباب الوفاء وهم المؤمنون المعنيون بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أوفـــوا بالعقود ....) (٢)

قال ابن عباس : هى العهود (٣) ..

والى ناس متناس فاخلف الوعد ونقض العهد والناس فى الوفاء والخلف للعهد درجات .

وجعل الله تبارك وتعالى على نفسه عهدا ووعدا ووعيدا للفريقين جزاء للوفاء والنقض .

قال الله تبارك وتعالى :

(... وأوفوا بعهدى اوف بعهدكم ..) (٤)

(... ومن أوفى بعهده من الله ...) (٥)

وقد انجز الله وعده ووعيده للفريقين فى الدنيا والآخرة فجزاء من نقـــض العهد واخلف الوعد فى الدنيا اللعنة وقساوة القلب (٦) قال الله تبـارك وتعالى :

(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ...) (٧)

---

(١) فى ظ ،خ ،ت : العهد المتقدم

(٢) سورة المائدة من آية (١)

(٣) تفسير الطبرى : جامع البيان ج ٦ ص ٣١ ، ٣٢

(٤) سورة البقرة من آية ٤٠

(٥) سورة التوبة من آية ١١١

(٦) فى ظ : وقساوة قلوبهم

(٧) سورة المائدة من آية ١٣

وجزاؤهم فى الآخرة سؤ الدار ، وهى النار على قدر ما أخلف من العهد يكون بعده عن الله وقساوة قلبه وخلوده فى النار وخروجه منها فى الدنيا والآخرة مسلما كان أو كافرا . وجزاء من أوفى بالعهد التقريب والرحمة فى الدنيا وعقبى الدار فى الآخرة . جعلنا الله من أهل الوفاء بتوفيقه وكرمه آمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

الشعبة الموفية عشريـــن : (١)

كـــف الأذى :

فأما كونه من شعب الايمان فدليله :

ما رواه ابن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((المسلم من سلم الناس (٢) من لسانه ويده . (٣)))

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال :

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . .) وذكر الحديث (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(سباب المسلم فسوق وقتالـــه كفـــر . . .) (٥)

---

(١) فى خ : الموفيه العشرين

(٢) فى ظ ،خ ،ت : من سلم المسلمون وبه وردت رواية البخارى ومسلم .

(٣) البخارى كتاب الايمان باب : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده رقـم الحديث (١٠)ومسلم فى كتاب الايمان باب بيان تفاضل الاسلام . . رقـــم الحديث ٤١

وورد بلفظ " المسلم من سلم الناس من لسانه ويده" فى مسند أحمد ٦ / ٢١ ولكنه من رواية فضاله بن عبيد لا من رواية ابن عمرو .

(٤) الحديث رواه البخارى فى كتاب الاكراه باب يمين الرجل لصاحبه رقم الحديث ٦٩٥١ ومسلم فى كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم رقم الحديث ٢٥٨٠ غيـر ان اسنادهما ليس عن أبى هريره كما ذكر المؤلف . ورواية ابى هريرة جـــاءت فى سنن الترمذى فى كتاب البر والصله رقم الحديث ١٩٢٧ وقال عنه الترمذى حديث حسن غريب وليس فيه : " ولا يسلمـــه"

(٥) رواه البخارى فى كتاب الايمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعـــر رقم الحديث ٤٨ ورواه مسلم فى كتاب الايمان باب ٢٨ رقم الحديث العام ٦٤

فكف الاذى عن المسلمين من أعظم شعب الايمان لأن اذايتهم من أفعال الكفار فاذاية المسلم نقصان من كمال الاسلام لقول النبى عليه السلام :

(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) (١)

ومن أجل هذا جعل (السلام) (٢) تحية المسلمين فيما بينهم ومعنى ذلك أن قول القايل سلام عليكم أى سلمت منى أن أضرك وأوذيك بظاهرى وباطنى

فالاذاية على ضربين :

ظاهر بالجوارح ، وضرب باطن (بالقلوب) (٣)

فأما الظاهر فعلى نوعين :

اذاية فى الأموال بالسرق والأخذ والنهب وغير ذلك

واذاية فى الأنفس بالسب والضرب والغمز والهمز واللمز وغير ذلك

وأما الضرب الباطن فمثل :

الحسد ، والغل ، والبغضاء ، والكبر عليه ، وظن السوء به ، وقلة الرحمة له ، والقسوة عليه وغير ذلك .

وذلك كله مضر بالمسلمين ومؤذ لهم وقد أمر الشرع بكف النوعين من الأذى وقد هلك خلق كثير لعدم هذه الشعبة عندهم وذلك بحسب قدر الشخص الذى يؤذى على قدر ذلك يكون هلاك المؤذى والمؤمنون كلهم كبار واذايتهم محرمة ولكن منها ما يكبر فيكون كفرا مثل اذاية الأنبياء

---

(١) تقدم تخريجه قريبا

(٢) هكذا فى جميع النسخ وفى ع : الاسلام

(٣) هكذا فى جميع النسخ ما عدا ع ففيها : باطن القلوب .

أو عيب شيء منهم حتى أن من قال في النبي (صلى الله عليه وسلم) ان ثوبه وسخ يريد بذلك عيبه قتل كفرا لاحدا . ومنها ما يكبر فيكون بدعة مثل اذاية الصحابه وعيبهم فقد (١) هلك، فيّ هذا خلق كثير من الروافض والشيعة (٢) .

ومنها ما يكبر فيوصل الى محاربة الله مثل اذاية أهل الولايه كما ورد في الخبر :

(من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربه وأنا الثاير لولي في الدنيا والآخره) أو كما قيل (٣)

ومنها ما يكون فيه القصاص في الدنيا والآخرة مثل اذاية عامة المسلمين والاذايه كلها فيها القصاص في الدنيا والآخرة ولكن ليس من أبغض صاحبا من الصحابة أو وليا من الأولياء كمن أبغض بعض المؤمنين والذنب واحد ولكن كبرت الاذاية على قدر الشخص المؤذى .

فاذا فهمت هذا فكف الأذى على نوعين :

ظاهر وباطن :

النوع الظاهر سلامة الناس من شر لسانك ويدك وجوارحك .

والنوع الباطن على نوعين :

ضرب في مقام الايمان .

وضرب في مقام الاحسان .

---

(١) في بقية النسخ وقد هلك .

(٢) جملة (من الروافض والشيعه) لم ترد في خ .

(٣) تقدم تخريج حديث الولايه ص   وقد ورد بطرق منها الصحيح وغيره وهذا اللفظ الذى أورده المؤلف لم أجده .

(٤) الجمله من قوله : مثل اذاية عامة المسلمين ....الى قوله : (في الدنيا والآخرة : نقصت من ظ ، ت .

فأما الضرب الأول فى مقام الايمان فأول ما يجب عليك الا تؤذى نفسك فى الآخرة بالكفر والمؤذيات من الصفات المهلكات ، ولا تؤذى الملئكة الكرام فى عالم الغيب ولا تؤذى ذاتك فى المآل فى مقام الايمان بدخول النار ومقاساة الشدايد ، وأن لا تؤذى صدرك فى الحال بقلة سلامته للمسلمين .

وقد قيل ان بهذه الخصلة كان الأبدال أبدالا (١)

اعنى سلامة الصدر للأمة وسلامة الناس من شرهم ومن أجلها هرب الكبار عن الناس ليسلم الناس منهم وفى ذلك سلامتهم .

والضرب الثانى من الباطن فى مقام الاحسان هو أن لا يؤذى الانسان بعقله وادراكاته (٢) الرب تبارك وتعالى ينسب اليه مالا يليق به بل ينزهه عما يستحيل عليه وينسب له ما يجب أن ينسب ويجوز عليه ما يجوز ولا يكون من الذين قال الله فيهم :

---

(١) تتكرر عبارة المؤلف فى ذكره للأبدال كما تقدم فى الشعبة الثانية وهو من اصطلاح الصوفيه .

وقد قال ابن تيمية رحمه الله فى كتابه الفرقان ص ٣١ :

كل حديث يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى عدة الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب . . فليس فى ذلك شىء صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينطلق السلف بشىء من هذه والالفاظ الا بلفظ الأبدال ، روى فيهم حديث وأنهم أربعون رجلا وانهم بالشام وهو فى المسند (١/١١٢) من حديث على كرم الله وجهه وهو حديث منقطع ليس بثابت .

انظر تخريج الشيخ أحمد شاكر له فى تعليقه على المسند ٢/١٧١

وانظر تعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غده على هذا الحديث فى المنار المنيف فى الصحيح والضعيف لابن القيم ص ١٣٦

(٢) فى ت : وادراكه .

(ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة ..) (١)الاية

(ولا ممن قال (٢) الله عز وجل، عنهم فيما ورد فى الصحيح عن ابى هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمنى ابن آدم ولم يكن له ذلك

الحديث الى آخره) (٣)

فينزه مولاه عما لا يليق به وينسب اليه ما يليق (٤) به ولا تؤذى المخلوقات

أيضا بذلك، فانك اذا نسبت الى المخلوقات شيئا من معنى الربوبية (٥)اذيتها

غاية الاذاية الا ترى الى قوله تعالى كيف يصف تأذى المخلوقات بأقوال الكفار :

(تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ..) (٦)

ومثل هذا فى القرآن كثير واذا كف العبد اذاه عن جميع المخلوقات وعن

البارى تعالى كان كاملا كما قال النبى عليه السلام :

(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ....) الحديث (٧)

وله اسلم من فى السموات والأرض .من جميع المخلوقات طوعا وكرها فلا تؤذى

---

(١) سورة الاحزاب آية ٥٧

(٢) كلمة (ولا ممن) وردت فى ط ،ت ولم ترد فى غيرهما وبها يستقيم المعنى

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٦٠.

(٤) جملة : (وينسب اليه ما يليق به) نقصت من خ .

(٥) فى خ : من أفعال الربوبيه .

(٦) سورة مريم آية ٩٠

(٧) تقدم فى أول هذه الشعبة .

الا من اسلم كرها كما أمرت (١) . فان قلت كيف الحيلة في السلامة والاتصاف بهذه الشعبة فاعلم أن الحيلة في ذلك على نوعين :

النوع الواحد : الخلوة والعزلة في وقت فراغك فتجلس وحدك، أو تنام فتسلم او تشتغل بطاعة ربك، وذكر مولاك فتغنم .

والنوع الثاني : كف جوارحك في وقت مخالطتك ومصاحبتك للخلق وحسن ظنونك وسلامة صدرك لهم (٢) فان آذوك ولم تؤذهم ربحت ربحا عظيما ان احتملت الأذى فان محتمل الأذى لا يخلو عن شيئين : أما ان يعفو فله ثواب المحسنين وأما ان يصبر الى الآخرة (٣) فيأخذ من حسنات الظالم أو يعطه هو من سيئاته وبهذين النوعين يكبر قدر مخالطة (٤) الناس ويكون له فضل كثير السلامة والغنيمة وتهذيب الأخلاق فان مخالطة الناس فيها علم كثير فانه يستفيد بها علما كثيرا وينبهونه على عيوب لم تكن

---

(١) وردت الجملة في أ هكذا :
فلا تؤذى من أسلم كرها
وفي ظ ،ت الجملة غير واضحة ولعلها :
فلا تؤذى من اسلم طوعا وكرها .
وعبارة المؤلف في آخر الشعبة تؤيد هذه الأخيره عند قوله :
(ومن جملة ما يلحق بهذا الباب أن لا يؤذى العبد المخلوقات .)

(٢) في خ : صدرك للناس

(٣) في ظ : يصبر للآخرة

(٤) في خ ،ت : مخالط .

تظهر له وحده فيكون الناس له كالمرآة وهو لهم كذلك، يظهر له فيها حسنه وقبيحه (١) ويروض نفسه على اكتساب الأخلاق الحسنة وطرح الأخلاق السيئة .

وأما من قصر عن هذه الدرجة فانه من مخالطة الناس على غرر لا سيما في هذه الأزمنة فان ضرر المخالطة اكثر من نفعها وقد روى أبو داود في كتاب السنن عن عيسى بن واقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(اذا كانت سنة ثمانين ومائة فقد احلت لامتى العزلة والعزبة والترهب في رؤس الجبال) (٢) .

وهذه الأسباب الثلاثة : العزبة والعزلة والترهب أسباب السلامه ، وورد في المخالطة وكف الأذى والاحتمال أيضا كثير منها :

ما رواه يحى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(المسلم الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) (٣)

---

(١) في خ ت : وقبحه

(٢) ذكره ابن قيم الجوزيه في كتاب المنار المنيف تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبوغده فقال :
ومنها (اى من الأحاديث الموضوعه) أحاديث التواريخ المستقبله وكل حديث فيه اذا كانت سنة كذا وكذا حل كذا وكذا ، ثم أورد أمثله لذلك وأورد هذا الحديث من جملتها وهو الحديث رقم ٢٢١ ص ١١١
وكذا ورد في جامع الاصول ج ١١ رقم الحديث ٩٤٨٥ وقال محققه : هو حديث مخالف للأحاديث الصحيحه وكل ما ورد في الترغيب من النكاح فغير صحيح لأن الاسلام جاء بالترغيب فيه .

(٣) اخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن رقم الحديث ٤٠٣٢ وهو عن يحى ابن وثاب عن ابن عمر ، ورواه الترمذى في كتاب صفة القيامه باب (٥٥) رقم الحديث ٢٥٠٧ وكذا رواه احمد في المسند ٢ / ٤٣ وخرجه الساعاتى في الفتح الربانى ج ٩ ص ١٧٠ وقال : حسن اسناده الحافظ وانظر مختصر منهاج القاصدين لابن قدامه ص ٩١٠ باب العزله وقد ذكر هذا الحديث حجة لمن ذهب من العلماء الى استحباب المخالطة .

فالمؤمن يحتاج ان يستعمل هذين الحديثين فيكون له حظ من الخلوة والعزلة ليأنس بذكر ربه ويسلم الناس من شره واذا خالط الناس لما يحتاج اليه وما لا بد له منه يمسك نفسه وجوارحه عن أذاهم فيحصل له بهذين المعنيين معانى الافاده وراحة السلامة الذين هما سببا السعادة .

ومن جملة ما يلحق بهذا الباب أن لا يؤذى العبد المخلوقات كلها الا ما أمر الشرع باذايته مثل أن يلعن الانسان شيئا من الحيوان أو يسب الريح او الدهر أو شيئا من المخلوقات فان المخلوقات كلها قد أسلمت لله كما قال (تعالى) :

(وله اسلم من فى السموات والارض . . . .) الاية (٢)

وقالوا :

((البر هو الذى لا يؤذى الذر) (٢)

فاذا فهمت ما تقدم علمت أن هذه الشعبة التى هى كف الأذى قد عمت مقامات الاسلام ومقامات الايمان ومقامات الاحسان كلها ظاهرا وباطنا .

من الله علينا بما ينفعنا ويسلمنا فى الدنيا والآخرة آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

---

(١) سورة آل عمران ٨٣

(٢) فى هامش ع قال : تتمته : ولا يضمر الشر .

وقد أورد الامام أحمد فى كتاب الزهد ص ٣٨١ عن سفيان بن عيينه قال : سئل الحسن عن الابرار : قال الذين لا يؤذون الذر .

الشعبة الاحدى والعشرون (١) : البرور :

فأما كونه من شعب الاسلام والايمان فدليله ما كتب النبى عليه السلام للعلاء بن الحضرمى حين بعثه اميرا الى البحرين فذكر فيه :

((هذا كتاب محمد بن عبدالله القرشي رسول الله صلى الله عليه وسلم النبى الأمى الى خلقه كافة .... ثم ذكر كلاما كثيرا يدعو فيه الخلق الى الله .. ثم بين لهم الاسلام فقال فيه :

والاسلام : الصلوات الخمس وايتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان والغسل من الجنابة والطهور قبل الصلاة .

وبر الوالدين ... ثم ذكر شرائع الاسلام والايمان الى آخر الحديث (٢)

فجعل البرور من الاسلام

وعن عبدالله قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أحب الى الله ؟

قال : (الصلاة لوقتها قلت ثم أى ؟ قال : بر الوالدين قلت ثم أى ؟

قال : الجهاد فى سبيل الله) (٣)

فقدمه على الجهاد الذى هو من أعظم سهام الاسلام

وعن ابن عمر قال قال رجل : أردت ان أجاهد معك

---

(١) فى ظ : الاحدى وعشرون

(٢) اورده الهيثمى فى مجمع الزوائد جـ ٥ ص ٣١٠ – ٣١٤ – وقال فى آخره : رواه الطبرانى من رواية داود بن المحبر عن أبيه وكلاهما ضعيف .

(٣) اخرجه البخارى فى كتاب التوحيد باب ٤٨ رقم الحديث ٧٥٣٤ وفى كتاب مواقيت الصلاه باب فضل الصلاة لوقتها رقم الحديث " ٥٢٧ " وعبدالله هو عبدالله ابن مسعود .

قال الك أبوان (١) قال نعم قال ففيهما فجاهد) (٢)

فرده عن الجهاد الى البر لأنه أعظم منه وأوجب

ولعظم قدر هذه الشعبة اعنى البر شرك (٣) حق الوالدين مع حقه بواو العطف فقال :

(... ان اشكر لى ولوالديك ...) (٤)

وشكر الوالدين هو : برهما والقيام بحقوقهما

وقال فى آية أخرى : (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا .) (٥)

فقرن حقهما بحقه .

وحيث ما ذكرهما الله تعالى قرن حقهما بحقه . فهذه الشعبة اذا أعظم شعب الايمان والاسلام وانما قرن الله تبارك وتعالى حق الوالدين بحقه وشركه بواو العطف من أجل ان الله تبارك وتعالى خلق الولد وصوره وأخرجه للدنيا (٦) ضعيفا لطيفا لا حيلة له ثم قيض له الوالدين وتكفلا بتربيته لأنه لا قوام له بنفسه فلم يزالا يربيانه حتى وصلاه الى حد يقوم بنفسه ولو تركاه ونفسه حين خروجه الى الدنيا وحين تربيته لهلك ولم يصح وجوده فهما كانا سبب تمام خلقته ونشئه فالله هو الخالق المصور حقيقة وهم المنشيئان (٧) له مجازا فكما اقترن النشأ بالخلقه واشترك معه فى سبب

---

(١) فى ظ : والدان

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد باب الجهاد باذن الأبوين رقم الحديث ٣٠٠٤ ومسلم فى كتاب البر والصلة ... باب بر الوالدين رقم الحديث ٢٥٤٩ وأبو داود فى كتاب الجهاد رقم الحديث ٢٥٢٩

(٣) فى ظ ت : شرك الله

(٤) سورة لقمان من آية ١٤

(٥) سورة الاسراء اية ٢٣

(٦) فى ظ ت : وأخرجه الى الدنيا

(٧) فى ظ ، ت : وهما المنشيئان وفى خ : وهم المنشيئون .

كمال العبد أشرك الله حقهما بحقه وشركه بواو العطف معه فى الوجـــوب
ولهذا لا يقدر أحـــد أن يقوم بحق أبويه لأن من كان سبب خلقتك ونشئـك
كيـف تقوم بحقه أو تقدر على شكره ؟ وكذلك أيضا قرن العقوق لهمـــــا
بالشرك به كما قرن طاعتهما بطاعته لهذه الحكمة فقال تعالى :

(قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالديـــن احسانا ...) (١)

تقدير الكلام : (٢)

حرم ربكم عليكم أن تشركوا به شيئا وحرم عليكم الا تفعلوا بالوالديـــن الا احسانا (٣) .

ولما كان الشرك لا يغفر عظم أيضا قدر العقوق لاقترانه به حتى يرضـــى
الأبوان فافهم فمن بر والديه فقد بر باريه وخالقه لأن فى برهما بـــره
للاشتراك المتقدم ولأنه أمر به (٤) فمن بر أمره فقد بره جل جلالـه .

واعلم يا أخى ان البرور لا تخلو من ثلاثة أوجـه :

احدها ان يكون الأبوان حيين فيلتزم العبد القيام بحقوقهما طول الحيـاة
ويحسن اليهما بماله (٥) وقوله ويؤثرهما على نفسه وزوجـه وبنيـــه
وان كانا محتاجين اليه فى دينهما أن يعلمهما أمور دينهما (فيعلمهمـــا

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥١

(٢) فى خ : تقديره حــرم

(٣) ليس هذا التقدير محل اتفاق بين المفسرين بل للعلماء فى تقدير ذلك كلام يصعب ذكره هنا وانظر مثلا روح المعانى للالوسى ج ٨ ص ٥٧ فى تفسيــر الآية المذكورة .

(٤) فى ظ ، خ ، ت : ولأنه أمر بذلك .

(٥) فى ظ ، ت : من مالـه

أمور الدين(١) وينبههما على كل ما يضرهما وينفعهما برفق ورحمة ويتأدب معهما غاية الأدب ولا يرفع صوته عليهما ولا يحد النظر اليهما وليطلب في كل وقت رضاهما هذا هو البرور في حال الحياة .

وان كانا ميتين (٢) وجب عليه أن يدعو لهما في كل وقت يرجى فيه قبول الدعاء في أوقات الصلاة ويتصدق عنهما ويفعل ما استطاع من الخير ويرسل اليهما ثوابه ويصل أهل ودهما من بعد موتهما فان ذلك كله اذا فعله بعد موتهما يبلغه رضا الله عنه لاجل رضاهما عنه حين أدخل السرور عليهما في حال موتهما وان كان عاقالهما قبل أن يموتا فقد جعل الله لكل مؤمن فرجا ومخرجا اذا عمل أسباب الخير المأمور بها .

وقد روى أبو صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه للوالدين (٣) فقد أدى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما وأعطاه الله ما يعطى الصديقين والشهداء) (٤)

---

(١) لم تتكرر هذه الجملة في ت كما ذكرت في بقية النسخ

(٢) وهذا هو الوجه الثاني

(٣) في ظ ، خ ، ت : لوالديه

(٤) أورد هذا الحديث الغزالي في الأحياء وقال العراقي في تخريجه : . . . . . أخرجه أبو موسى المديني وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر .

راجع المغني . . للعراقي بذيل احياء علوم الدين للغزالي جـ ١ ص ٢٠٠
وانظر المنار المنيف لابن القيم تحقيق عبد الفتاح أبو غده ص ٤٣ — ٤٩

وانما هذا من أجل ادخال السرور عليهما ورضاهما عنـه وليس هذا من باب: لا يصلى أحد عن أحد . وانما هو من باب الهبة والهدية تصل أنت لنفسك ثم تهب أجرها وهبك الله لهما ، والثواب غير الصلاة والهدية مقبولة في شرعنا والصلة في الدنيا بالدنانير (١) والدراهم . والصلة في الآخرة : بالثواب والجزاء من عند الله هذا هو بر الوالدين المسلمين في حال حياتهما (وبعد مماتهما) (٢) .

وأما اذا كانا مشركين (٣) فحقهما حسن الصحبة لهما طول الحياة وتنبيههما (٤) على الاسلام ومواراتهما بعد موتهما لأن الله تعالى يقول :

(... وصاحبهما في الدنيا معروفا ..) (٥)

وبعد موتهما اذا كانا مشركين يسقط عنه حقهما

واعلم ان البر على ضربين ، لأن ذوات الخلق على ضربين : أجساد وارواح والأباء (٦) هم سبب نشأ الأجساد الى مرتبته من الخلقة والزمان فيستغنى الانسان بنفسه في امور دنياه ــ كما تقدم ــ فوجب برهم ــ كما تقدم .

---

(١) في ظ ،ت : بالدنانير

(٢) جملة : (وبعد مماتهما) وردت في أ ،ظ

(٣) هذا هو الوجه الثالث

(٤) في خ : والتنبيه لهما

(٥) سورة لقمان آية ١٥

(٦) هذا هو الضرب الأول : كأنه قال :الضرب الأول : الأباء وهم سبب

والضرب الثانى من البر : (البر) لأباء الدين وهم الأنبياء وامهات المؤمنين والعلماء وهم الذين تولد منهم الدين وصلحت بهم بواطن الخلق وظواهرهم وهم الذين يحرسون الخلق من مكروهات الآخرة ويوصلون اليهم خيرها كما أن أباء الخلقة يحرسون الأبناء من مكروهات الدنيا ويوصلون اليهم نفعها . قال الله تعالى فى لوط عليه السلام :

(.... هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ...) (١)

يعنى بنات قومه دعاهم الى النكاح

وقال الله تبارك وتعالى :

(... النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه امهاتهم ..) (٢)

وفى قرآة عبد الله وابى ابن كعب :

(.. النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم) (٣)

وفى الحديث عن ابى هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أنا لكم (٤) بمنزلة الوالد اعلمكم فاذا أتى أحدكم الغايط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ...) وذكر الحديث (٥)

فالنبى عليه السلام لجميع الأمة كالأب . وأزواجه امهاتهم لأن منه ومن أزواجه تعلم الذكور والاناث معانى الدين كله ولم يتولد خير الا منه ومنهن فبره وبرهن أوجب من كل واجب وعقوقه وعقوقهن أهلك من كل مهلك .

---

(١) سورة هود من آية ٧٨
(٢) سورة الاحزاب آية ٦
(٣) انظر جامع البيان لابن جرير الطبرى ج ٢١ ص ٧٧
(٤) فى بقية النسخ : (انما انا لكم بمنزله ..) وبه وردت رواية أبى داود .
(٥) اخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الطهاره باب الاستطابه رقم الحديث ٢٦٥
واخرجه ابو داود فى كتاب الطهارة باب كراهية استقبال القبله رقم الحديث ٨

قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأزواجه : نظر القلب اليه الآن وفي كل وقت بعين الوقار والاجلال والصلاة عليه وعليهن الى منهى الأعمار والآجال والانتساب اليه والى امهات المؤمنين انتسابا دينيا محبة بالقلب ونطقا باللسان . ولعنا وبغضا لمن آذاه او آذى واحدة منهن لا يبرى العبد في دينه سوى ذلك .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(الجنة تحت اقدام الامهات) (١) .

(وهذا الحديث له ظاهر وباطن وحق وحقيقه لأنه عليه السلام أوتى جوامع الكلم فقوله : الجنة تحت أقدام الأمهات) (٢) ظاهره أن الامهات يلتمس رضاهن المبلغ الى الجنه بالتواضع لهن والقاء النفس تحت اقدامهن بالتذلل لهن والحقيقه فيه ان امهات المؤمنين هن معه عليه السلام أزواجه في أعلى درجة في الجنه والخلق كلهم تحت تلك الدرجة فانتهاء رؤس الخلق في رفعة درجاتهم في الجنة وآخر مقام لهم في الرفعة أول مقام أقدام أمهات المؤمنين فحيث انتهى الخلق فمن ثم ابتداء درجاتهن فالجنه كلها تحت اقدامهن رضوان الله عليهن وصلوات الله وسلامه عليهن .

وأما مقام النبي عليه السلام فكما ورد في حديث قتاده :

(ان الله تبارك وتعالى يقعده على العرش) (٣)

وذلك أن الله تعالى غني عن الملك كله لا حاجة له فيه فوهب لنبيه مكان

---

(١) بهذا المعنى اخرج النسائي في كتاب الجهاد ٦ / ١١ وفيه :
(... فالزمها فان الجنة تحت رجليها .)
وكذا اخرج احمد في مسنده ٣ / ٤٢٩ ، وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٨ / ٣٨ وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .
وانظر كشف الخفاء للعجلوني ج ١ ص ٣٣٥ فقد خرجه

(٢) الجمله ما القوسين من قوله (وهذا الحديث . الى قوله : الأمهات) لم ترد الا في ظ .

(٣) لم أجده في الصحاح .

الربوبية ومقام الاشراف على الملك لاستغنائه هو عنه (١) فمن الذى يقدر أن يلحظه بالعين الذى جعله الله هو وأزواجه

---

(١) أورده الترمذى حديثا فى سننه فى كتاب المناقب رقم الحديث ٣٦١١ وفيه :
(... ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام ..)
وفى مجمع الزوايد للهيثمى :ج ٨ ص ٢٠٤ أورد حديثا فيه :
(... أقرب الناس يوم القيامه محمد صلى الله عليه وسلم جالس عن يمينه على الكرسى ...)
ومن مجموع هذه الآثار يتضح خطأ عبارة المؤلف هنا وتفسيره للحديث الذى أورده مما يوهم تخلى الرب سبحانه عن عرشه وأن محمدا صلى الله عليه وسلم يجلس مكانه ويشرف على الملك وهذا مما لا يليق الا بالله تعالى والخطأ هنا من وجهين :
الأول : ان الحديث الذى أورده فى هذا المقام لم يرد فى الصحاح والروايات التى بمعناه روايات ضعيفه فرواية الترمذى قال عنها :
هذا حديث حسن غريب .
ورواية " مجمع الزوائد : قال عنها (... فيه رجل لم يسم) .
الثانى : اطراء المؤلف ومبالغته فى قدر الرسول صلى الله عليه وسلم والذى ينبغى معرفته فى ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد وصف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأوصاف كثيرة وجليلة يعلم منها قدرة وتشريفه وكرامته ومكانته عند الله تعالى ومع ذلك كله لم تخرجه تلك الأوصاف عن مقام بشريته وعبوديته لله تعالى : (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ ..) الايه سورة فصلت (٦) وليس فى جميع ما وصف به النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم وصحيح السنه ما يوجب له صلى الله عليه وسلم صفة الربوبيه أو يخرجه عن صفة العبودية لله تعالى فلم يرد فيهما ان الله يهب له مكان الربوبية ومقام الاشراف على الملك ــ كما زعم المؤلف .
ويجب ان نقف عند القدر الذى جعله الله له من التشريف وقد قال صلى الله عليه وسلم كما ورد فى صحيح البخارى وغيره (صحيح البخارى كتاب الحدود رقم الحديث / ٦٨٣٠ /) :
(.. لا تطرونى كما أطرى عيسى بن مريم وقولوا عبد الله ورسوله ..) =

فيها (١) الا ما شاء الله من ذلك فهكذا (٢) ينبغى ان يلحظ النبي وأزواجه أزلا وأبدا . لا حرمنا الله بره وبرهن فى الدنيا والآخرة آمين .

واذا فهمت هذا المعنى فهمت الحقيقة فى معنى الصلاة على النبى عليه السلام . وكيف تعود الصلاة عليك، اذا صليت عليه وعلى أزواجه (٣) صلى الله عليه وعلى أزواجه صلاة جامعة لمعانى الاحسان والانعام ودائمة بدوام ذى الجلال والاكرام .

وأعلم أن فى برور الأنبياء والأباء (وبرور) (٤) أوامرما جاؤا به بر البارى تبارك وتعالى ،كما قال تعالى :

(... وان تطيعوه تهتدوا ...) (٥)

= ومما ينبغى معرفته هنا ان النصارى تزعم أن المسيح عليه السلام بعد أن ارتفع الى السماء جلس بجوار الرب على كرسى استعدادا لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا ...

ولعل القول بأن الله تعالى يجلس محمدا على العرش أو على الكرسى ويهب له مكان الربوبية .. الخ لعل ذلك متأثرا أو مقتبساً من هذه العقيدة الباطله التى تزعمها النصارى للسيد المسيح عليه السلام وهى من صميم عقيدتهم

انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ج ٢ ص ٤١٠

وفتح البارى ج ١ ص ٩٥ . ومحاضرات فى النصرانية لمحمد أبو زهرة ص ١١٣ ،والمسيحية لاحمد شلبى ص ١٤٤

(١) فى ظ خ : فيه .
ويلزم هنا تقدير كلمة لتصبح الجملة هكذا :
(ان يلحظه بالعين (فى المكان) الذى جعله الله هو وازواجه فيه)

(٢) فى ت : فمن هذا

(٣) فى ظ ،ت : وعليهن

(٤) كلمة (وبرور) وردت فى ظ . خ .

(٥) سورة النور من آية ٥٤

وكما ورد :

((رضا الله في رضاء الوالدين ..) (١)

لأن الله أمر بذلك، ان يطاع الأباء والأنبياء ويكرموا ومن امتثل أمر اللــه فقد بر الله واكرمه وعظمه وأجلــه .

فالبرور على هذا عام في جميع الأوامر ظاهرا وباطنا في مقام الاسلام والايمان والاحسان لأن الرسول أمر بذلك، كله والله أمر الرسول فقد عم البرور جميع المقامات كلها لمن فهم : (اعنى) (٢) مقام الاسلام والايمان والاحسان .

وبر البر الرحيم وبر أوامره كلها أوجب الواجبات ولا يفهم حقيقة البر الا من تجلى اللــه له بوصف من أوصافه وعم اهل الحضور كما ورد عن الصحابــة وغيرهم، ان منهم من كان يدخل الخلاء مقنعا ومنهم من كان لا يرفع طرفــه الى السماء من كثرة بروره لحضور ربــه .

وفي هذا المقام مقام الاحسان أسرار من معانى البرور عظيمة .

من الله علينا وعليكم ببره وبر أوامره كلها وغفر لنا ولكم عقوقنا كله بمنه وكرمــه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) اخرجه الترمذى فى البر والصلة باب ٣ رقم الحديث ١٨٩٩ عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم . وأخرجه : عن عبد الله بن عمرو أيضـا ولم يرفعه وقال :
وهذا اصح وانظر تخريج العجلونى له فى كشف الخفاء رقم الحديث ١٣٩٠ ج ١ فقد ذكر له طرقا أخرى .

(٢) كلمة " أعنى " وردت فى ت ، وورد فى ظ : لمن فهم أعلى

الشعبة الثانية والعشرون :

صلـــة الرحــــم :

أما كونها من شعب الايمان فدليله ما في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعثه مع العلاء بن الحضرمى الى أهل البحرين فذكرفيه (١) :

(... والاسلام اقام الصلوات الخمس وايتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان والغسل من الجنابة والطهور قبل الصلاة وبر الوالدين وصله الرحم المسلمة ...) وذكر الحديث (٢)

فجعل صلة الرحم من الاسلام وشعبة من شعبه

وكذلك ورد في الصحيح أيضا :

((عن أبي أيوب أن رجلا قال يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال القوم : ما له ما له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرب ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم ذرها)) (٣)

قال : كأنه كان على راحلته) (٤) فاستاق صله الرحم مع التوحيد والصلاة والزكاة في قرن واحد .

---

(١) في أ : يذكر فيه

(٢) تقدم هذا الحديث وتخريجه في أول الشعبة التى قبل هذه

(٣) رواه البخارى في كتاب الزكاه ج ٣ ص ٢٦١ رقم الحديث ١٣٩٦ ومسلم في كتاب الايمان رقم الحديث ١٣ وانظر شرح السنه للبغوى ج ١ ص ٢٠
وقوله : ذرها : أمر له بأن يترك ناقته صلى الله عليه وسلم فانه (اى السائل) حبسها .

(٤) البخارى كتاب الأدب حديث رقم ٥٩٨٣

وعن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((لا يدخل الجنـة قاطع رحـم)) (١)

والأخبار في هذا المعنى كثيرة .

واعلم ان الرحم على ضربين :

رحم قرابة وولادة ، ورحم ايمان واسلام .

فأما رحم القرابة فعلى نوعين : ضرب منهم يرث وضرب لا يرث

ومنهم من تجب نفقته بالحكم مثل الآباء والأبناء .

ومنهم من لا تجب نفقته بالحكم مثل الاخوة والأخوات والخال والخالات وساير

القرابات لكن بالصلة والاحسان .

وأما رحم الايمان فهي اخوة الاسلام والايمان . قال الله تعالى :

(انما المؤمنون اخوة ...) (٢)

فالايمان جمع بين المؤمنين وأوجب لكل واحد منهم على أخيه حقا فاذا اجتمع

رحم الايمان ورحم القرابة والولاده كان له حقان حق القرابة وحق الاسـلام

واذا انفرد رحم الايمان كان له حق اخوة الايمان ، واعلم أن الصلة تكون بالمال

وتكون بالزيارة وبالاحسان وبالصفح في الأقوال وبالعون في الأفعـال

وبالألفة والصحبة والاجتماع وغير ذلك من معاني التواصل والتراحم ، هـذا

في الدنيا (٣) .

وأما من مات من القرابات (٤) فصلتهم تكون بالاستغفار لهم والدعاء فـي

الأوقات التي ترجى له فيها الاجابة لهم وتنفيذ وصاياهم وغير ذلك مما يخفف

عنهم (٥) أو يدخل سرورا عليهم .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب باب اثـم القاطع رقم الحديث ٥٩٨٤ ومسلـم في كتاب البر والصله باب صلة الرحم رقم الحديث ١٨ ، ١٩

(٢) سورة الحجرات آية ١٠

(٣) في ظ : هذا في باب الدنيا

(٤) في ظ ، ت : من القرابـه

(٥) في خ : يخفف عليهـم .

وكذلك أيضا رحم الايمان (١) وصلتهم (٢) بقطع التقاطع والتدابر وترك الهجران (٣) الا ما أباحه الشرع من ذلك، وصلتهم بالمال عند الحاجة .

ومن الصلة للمؤمنين (٤) جميعا : تعليمهم ما يجهلون وتنبيههم على ما ينفعهم (٥) كما ورد في الخبر :

(نعم الهدية الكلمة من الحكمة يهديها الرجل الى أخيه المسلم) (٦)

والاعانة على الخير بأى وجه كانت صلة وصدقة .

عن أبي هريرة قال حدثنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديثا منها :

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((على كل سلامى من الناس صدقة كل يوم تطلع الشمس(٧))) عليه : قال يعدل بين (٨) الاثنين ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها ويرفع عليها متاعه صدقه والكلمة الطيبة صدقه ... وذكر الحديث (٩) .

---

(١) في خ : أهل الايمان

(٢) في ظ : رحم الايمان صلتهم ..

(٣) في خ : وترك الهجر

(٤) في بقية النسخ : ومن الصلة للرحمين جميعا وهو الصحيح .

(٥) في بقية النسخ : ما ينفعهم ويضرهم .

(٦) في سنن الدارمي عن شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : ليس هدية أفضل من كلمة حكمة تهديها لأخيك،
راجع ج ١ ص ١٠٠

(٧) في ظ ،خ ت : تطلع عليه ،وفي مسلم تطلع فيه الشمس

(٨) في بقية النسخ : ما بين

(٩) تقدم في الشعبة السادسه جزء منه وخرجته هناك ص٢٧٨

وعن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (على كل مسلم صدقة قيل ارأيت ان لم يجد قال يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قال أرأيت ان لم يستطع قال يعين ذا الحاجة الملهوف قيل ارأيت ان لم يستطع قال يأمر بالمعروف والخير قال ارأيت ان لم يفعل قال يمسك عن الشر فانها صدقة) (١)

فهذه أسباب التواصل كثيرة من استعملها كان من الواصلين لا سيما مع القرابة فانها أوكد وقد أمر الشرع بصلة الأرحام كثيرا ونهى عن القطيعة وأوجب اللعنة منه على القاطع .

فقال تعالى : (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) (٢)

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(الرحم شجنة من الرحمن ..) (٣)

وفي رواية اخرى عن عائشة رضي الله عنها :

(الرحم شجنه (من الرحمن) (٤) فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله) (٥)

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة باب على كل مسلم صدقه رقم الحديث ١٤٤٥ ومسلم في كتاب الزكاة باب بيان ان اسم الصدقه يقع على كل نوع من المعروف رقم الحديث (١٠٠٨) .

(٢) سورة محمد آية ٢٢ ، ٢٣

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب من وصل وصله الله رقم الحديث ٥٩٨٨

(٤) كلمة " من الرحمن " لم تذكر في خ ، ت وكذلك لم ترد في رواية البخاري له .

(٥) اخرجها البخاري عقب الحديث السابق برقم ٥٩٨٩

والشجنة : بكسر الشين وسكون الجيم وجاء بضم الشين أيضا وبفتحها وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة والشجن بالتحريك واحد الشجون وهي طرق الأوديه .. وقوله " من الرحمن " أي اخذ اسمها من هذا الاسم كما في السنن مرفوعا (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي ....)

راجع : فتح الباري ج ١٠ ص ٤١٨ ، وانظر مشكل الحديث لابن فورك ص ١٣٩ .

والصلة مأخوذة من الوصلة والاتصال الذى هو ضد القطع والانفصال والحكمة فى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم وأزواجه عليهم السلام للأمة كالأباء والأمهات والأمة كالبنين كما تقدم فى باب بر الوالدين فالمؤمنون كلهم اخوة كما قال عليه السلام :

(المسلم اخو المسلم) (١)

جمعهم رضاع لبان فطرة الايمان فاذا لم تكن رحم الايمان وكانت رحم الولادة مجردة من الايمان وجبت البرآة منها ، كما قال ابراهيم عليه السلام لأبيه :والذين معه اذ قالوا لقومهم : اما براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم . . .) (٢) والحكمة فى هذا أن الصلة نوع من التوحيد لأن الألفة اجتماع والاجتماع اتحاد والقطيعة افتراق والافتراق كثرة والكثرة ضد التوحيد فمن أجل ذلك قطع الله قاطع الرحم لأن الله واحد لا يصل الا واحدا متصفا بالتوحيد وهو برىء عن الكثرة جل جلالة عن ذلك .

واذا نظرت هذا فى الموجودات كلها وجدتها واصلة لهذه الرحم لا تنفك طرفة عين عن التعبد لله بذلك فان ملك الله كله اشخاص كثيرة لكن تلك الاشخاص قد عطف بعضها على بعض وأوصلت اعانتها الى من يليها ومن يلى ذلك الى من يليه حتى تماسك الكل وصار ملكا واحدا متعاون بعضه مع بعض لملك واحد ولو انفصل شىء من تلك الأشخاص ولم يوصل اعانته الى غيره ولا وصله بذلك بطل تدبير الملك ووقعت الكثرة والشتات فاذا فهمت هذا جدا علمت ان صلة

---

(١) تقدم فى أول الشعبة العشرين .

(٢) عبارة المؤلف هنا غير دقيقة ولو قال : كما قال ابراهيم عليه السلام" والذين معه" لأبيه والذين معه . . لصحت ولعلها سقطت من جميع النسخ . وهو يشير بذلك الى الآية الكريمة : (قد كانت لكم اسوة حسنه فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده . . .) الاية ٤ من سورة الممتحنة .

الرحم على ثلاثة أضـــرب :

ضـــرب فى مقام الاسلام

وضرب فى مقام الايمـــان

وضرب فى مقام الاحسان .

لأن الصلة قد عمت جميع الموجودات والمقامات وحرمت القطيعه التى هـــى الفرقة والعذاب .

وفى صلة مقام الاحسان يقول الله عز وجـــل

(اليوم أرفـــع نسبى وأضع انسابكم اين المتقون .) (١)

والاتصال فى حق الخلق بعضه ببعض حتى يكونوا شيئا واحدا حقيقة ،

والاتصال فى حق البارى تعالى الذى هو تقارب الذوات محـــال .

والاتصال المعنوى الذى هو وصال المحبة والخلة والايمان والعلم والمعرفة والقرب منه والكون فى كنفه حقيقة فمن وصل الرحم الجسمانية والرحـــــم الايمانية والاحسانية فقد وصله الله وكان من الذين يصلون ما امر اللـــــه به أن يوصل ومن قطع الرحم قطعه الله .

فاذا فهمت هذا جدا عرفت قدر هذه الشعبة من شعب الايمان وكيـــــف وجبت اللعنة لقاطع الرحم من اللـــه تعالى فان العالم الكلى الذى هـــو جميع المخلوقات متعبد لله بشرائـــع الاسلام كلها وشعب الايمان أجمعهـــا فمن ترك شعبة من شعب الايمان خالف الملك كله فى تعبده ولذلك أمر الله بالتذكر والتفكر وحض رسوله صلى الله عليه وسلم عليه ليقع اليقين بكل ماجـــآت به الرسل فى قلوب المؤمنين .

واعلم ان هذه الشعبة التى هى صلة الرحم ورد فى الخبـــــر

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ فى الصحاح

(انها تزيد فى العمـــر) (١)

وهذا مشكل يحتاج الى بيان لأن الله تعالى يقول :

(.. وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ..) (٢)

فمن قدر أجله صغيرا أو كبيرا لا يقدر أن يزيد فيه ولا أن ينقص منه كما قال

تعالى :

(... فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (٣)

وبيان ذلك ان شاء الله : (ان تعلم) (٤) ان العمر هو الحياة والحيـاة

هى عيش الانسان من حين يولد الى أن يموت وصلة الرحم سبب للمودة لانها

عبادة تتعدى الى الغير فتدخل السرور الى قلوب (٥) الموصولين بالصلة

فيحبه أهله فيدخل عليه بكل سرور (سرور) فـــى قلبه فتطيب حياته بالسرور الذى

يدخل على قلبه وذاته وهو الوصال الذى وصله الله به حيث قال :

(من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) (٦)

فاذا وصله الله طابت حياته ونمت فتنشأ حياته وتقوى فى ساعة (واحدة) (٧)

---

(١) قوله صلى الله عليه وسلم : " صلة الرحم تزيد فى العمر " خرجه الألبانى فـــى تخريجه لأحاديث العقيدة الطحاويه فقال : صحيح وهو قطعه من حديث رواه أبو يعلى عن أنس بسند ضعيف لكن معناه صحيح يشهد له أحاديث كثيرة منها حديث أنس ايضا مرفوعا : (من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأله فى أثره فليصل رحمه) متفق عليه .

راجع : هامش شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٠

(٢) سورة فاطر آية ١١

(٣) سورة النحل آية ٦١

(٤) كلمة " ان تعلم " وردت فى ظ ، خ

(٥) فى بقية النسخ : على قلوب

(٦) تقدم قريبا فى هذه الشعبة

(٧) كلمة " واحدة) وردت فى ظ ، ، خ ، ت .

بالبركة والنمو على قدر الوصلة في كبرها وصغرها والبركة زيادة كزيادة ربح المال التي ليست بالزمان وانما هي بالبركة والنمو ثم اذا مات الواصل للرحم يود أهله الذى يحبونه أن لو فدوه بأنفسهم فيبقى ودهم له في قلوبهم بعد موته فيذكرونه بكل خير ويترحمون عليه لأن مثاله موجود في نفوسهم فيكون أيضا ذلك بمنزلة حياته كأنه لم يمت وقد نبه النبي عليه السلام على هذا المعنى في حديث رواه ابو هريره في الصحيح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(من أحب أن يبسط له في رزقه ويسأله في اثره فليصل رحمه (١))

والأثر هو بعد الموت (٢) .

---

(١) تقدم ذكره في تخريج الحديث السابق وهو في صحيح مسلم في كتاب البر والصلة رقم ٢٥٥٧ وهو عن مالك بن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ... ورواه البخارى أيضا عن مالك ورواه عن أبى هريرة في كتاب الأدب باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم رقم الحديثين ٥٩٨٥ ، ٥٩٨٦ .

(٢) هذا القول الذى أورده المؤلف في توضيح التعارض الظاهر بين معنى الآية والحديث هو ما يقول به كثير من العلماء مع اختلاف في التعبير ،
وقيل أيضا ان زيادة العمر على حقيقتها ، وذلك بالنسبة الى علم الملك الموكل بالعمر وأما الذى دلت عليه الآية فبالنسبة الى علم الله كأن يقال للملك مثلا : ان عمر فلان مائة ان وصل رحمه . وستون ان قطعها وقد سبق في علم الله انه يصل أو يقطع فالذى في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر والذى في علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقص واليه الاشارة بقوله تعالى :

(يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) الرعد ٣٩

راجع فتح البارى ج ١٠ ص ٤١٦ وانظر مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص ١٤١ وشرح الطحاوية ص ١٤٩ والاعتصام للشاطبى جـ٢ ص ٣١٦

وروى كميل (١) عن على رضى الله عنه فى الحديث الطويـل :

(مات خزان الأموال والعلماء باقون ما بقى الدهر أحياء . أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة) (٢)

والعلماء (٣) أحياء ابدا لأن أثارهم باقيه فافهم :

والقاطع للرحم يدخل الغم على الغير بغير حق فيبغضونه ويبغضهم ويتولد الحقد عنده فيتنغص عليه عيشه الذى هو حياته وتنغيص العيش (٤) نقصان من عمره لان بركة الحياة قد زالت عنه التى تحصل للواصل وهو طيب الحياة الا ترى الى قول الله تعالى :

(من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) (٥)

فمن فقد طيب الحياة فقد نقص عيشه وخسر عمره الا ترى الى قول النبى عليه السلام :

(لا يدخل الجنة قاطـع رحـــم) (٦)

والحياة الطيبة على الحقيقة هى فى الجنة ،والواصل للرحم اذا وصلـــه الله يجد أذواقا من تلك الحياة على قدر صلته وهـى زيـادة حيـــاة

---

(١) فى ت : كميل بن زياد ،قال فى الميزان عنه :
كميل بن زياد النخعى صاحب على رضى الله عنه روى عنه عباس بن ذريح وعبد الرحمن بن زياد قال ابن حبان كان من المفرطين فـى على ممن يروى عنه المعضلات منكر الحديث جدا تنص روايته ولا يحتج به ووثقه ابن سعد وابن معين .
راجع ميزان الاعتدال للذهبى ٣ / ٤١٥

(٢) ذكر هذا الأثر أبو نعيم فى الحلية فى ترجمته لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى وصيته لكميل بن زياد ج ١ ص ٧٩

(٣) فى ط خ : فالعلماء

(٤) فى ط ،ت : هو نقصان من عمره

(٥) سورة النحل من آية ٩٧

(٦) تقدم أول هذه الشعبة

على حياة : وتفهم قول الله تعالى في قوله :

(... وتقطعوا أرحامكم ..) ثم قال (اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى أبصارهم) (١)

واللعنة : هى البعد من جواره الذى هو ضد الوصل ، والعمى والصمم موت القلب ، والموت فقد (٢) الحياة ، فهذا بين لا اشكال فيه ان شاء الله .

وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم . تسليما .

---

(١) سوة محمد الآيتين ٢٢ ، ٢٣

(٢) فى خ والموت ضد الحياة وهو الأولى هنا .

الشعبة الثالثة والعشرون :

اكـــرام الجـــار :

فأما كونه من شعب الايمان فان الله قد اساقه بعد التوحيد وبر الوالدين وصلة الرحم في قرن واحد فقال :

(وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ...) (١)

وفي الصحيح عن ابن شريح (٢) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه) (٣)

فنفى الايمان عنه بعدم (٤) هذه الشعبة والله أعلم بما أراد رسوله هل أراد جملة الايمان او أراد (لا يؤمن) (٥) ايمانا كاملا وكيف ما كان فقد صار شعبة من الايمان .

وفي حديث آخر عن أبي هريرة :

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) (٦)

---

(١) سورة النساء آية ٣٦

(٢) في ط ، ت عن أبي شريح وهو الصواب كما في رواية البخاري .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب باب اثم من لا يأمن جاره بوائقه رقم الحديث ٦٠١٦

(٤) في خ : لعدم

(٥) كلمة لا يؤمن لم ترد في خ

(٦) رواه البخاري في كتاب الادب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره رقم الحديث ٦٠١٨
ورواه مسلم في كتاب الايمان باب الحث على اكرام الجار رقم الحديث ٤٧

والأخبار في هذا المعنى كثيرة .

واعلم ان اكرام الجار (١) ظاهر وباطن .

فالظاهر على نوعين : النوع الواحد وهو الفرض الواجب :

أن لا يؤذيه ولا يضره ويكف عنه شره جملة

والنوع الآخر أن يحسن اليه ويصله بما قدر ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وينبهه على ما ينفعه ،فاذا اجتمع المعنيان فهو الكمال واذا لم يقدر على الاحسان فليكف عن الأذى . وهذا هو حق الجار عليك (٢) في خاصة نفسك .

وأما في خاصته : فان كان محسنا اليك فاقبل احسانه وكافئه عليه بما تقدر عليه من احسان أو دعاء فان ذلك يثمر المحبة .

وان كان مؤذيا لك فيلزمك الصبر عليه حتى يجعل الله فرجا ،او التبدل به خيرا منه ان أمكن بالرحلة ان لم تقدر على الصبر فانه يقال :

(ان الجار السوء يشيب قبل المشيب)

وروى أبو هريرة قال :جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره قال : اصبر ثم أتاه فقال اصبر ثم أتاه فقال عليه السلام : اذهب فاطرح متاعك في الطريق ففعل فجاء الناس يمرون ويسألونه فيخبرهم خبر جاره فجعل الناس يلعنونه (ويقولون) (٣) فعل الله به وفعل

---

(١) في خ : ان اكرام الجار على ضربين : ظاهر وباطن

(٢) في ظ ،خ ،ت : وهذا حق الجوار

(٣) كلمة ويقولون وردت في :خ

فجاء اليه جاره فقال له ارجع فانك لا ترى منى شيئا تكرهه .) (١)

وحق الجوار فى اقرب الأبواب ، روت عائشة رضى الله عنهما قالت :

(قلت يارسول الله ان لى جارين فالى أيهما اهدى فقال : الى أقربهما منك بابا .) (٢)

فالجيران نازلون فى حقوقهم منزلة القرابات : الأقرب من القرابات أبدا أوجب ، ثم الذى يليه ، وكذلك الجيران .

وقد نبه النبى عليه السلام على هذا المعنى فى قوله :

(ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه) (٣)

ومن حسن الجوار بذل الماعون للجيران فانه قد ورد فى قوله تعالى :

(ويمنعون الماعون) (٤)

انه المعروف كله حتى ذكر القصعة ، والقدر ، والفأس ،

والماعون : مشتق من العون والاعانه فكل ما يستعان به على الغير فهو ماعون قال الله تعالى :

(.. وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) (٥)

---

(١) رواه ابو داود فى كتاب الأدب باب فى حق الجوار رقم الحديث (٥١٥٣) ورواه الحاكم فى المستدرك، فى كتاب البر والصلة ج ٤ ص ١٦٥ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الادب ، باب حق الجوار فى قرب الابواب رقم الحديث (٦٠٢٠) وفى كتاب الشفعة باب أى الجوار أقرب رقم الحديث (٢٢٥٩)

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب الوصاة بالجار، رقم الحديث ٦٠١٤ ، ٦٠١٥ وأخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة باب الوصية بالجار رقم ٢٦٢٤ و ٢٦٢٥

(٤) سورة الماعون آية ٧

(٥) سورة المائدة من الآية ٢

ومن حق الجار على الجار ان ينبهه على ما ينفعه من أمر دينه وآخرته وينهاه عما يضره في (أمر) (١) دينه وآخرته فانه يقال ان الجار يتعلق بجاره يوم القيامة ويخاصمه في حقوقه وفي أنه لم يأمره ولم ينهه وان أدى ذلك الى بغض جاره له فلا يضره فقد ورد في الآثار :

اذا رأيت القارئ محببا في جيرانه فاعلم أنه مداهن وقيل مرآي (٢)

واكرام الجار جاره بأمر الدين وأمر الآخرة كاكرامه بأمور الدنيا بل اكرامه بأمور الدين أوجب وافضل فان اكرامه بذلك من الخير الذى لا ينقطع وهي الآخره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(خير الجيران عند الله خيرهم لجاره) (٣)

وهذا هو الجار الظاهر واكرامه .

وأما الباطن فعلى ضربين :

ضرب في مقام الايمان وضرب في مقام الاحسان .

فأما الضرب الأول في مقام الايمان : فان العالم كله مشحون بالملئكة فاذ ايتهم (٤) واذ اية مواطنهم وهي مساجدهم التي يتعبدون فيها لرب العالمين محرمة علينا فليس في العالم موضع شبر الا وفيه جبهة ملك، فالعالم كله مسجد لهم فاذ ايتهم بالمعاصي كما ورد في قوله تعالى :

(ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ...) (٥)

---

(١) كلمة " أمر " وردت في : ت

(٢) نسبه السمرقندى في تنبيه الغافلين الى سفيان الثورى رحمه الله ص ٣٢ باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٣) اخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب البر والصله ج ٤ ص ١٦٤ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٤) في ظ خ ، ت : واذ اتيهم

(٥) سورة فاطر من آية ٤١

اى من معاصى العباد .

ويقال : ان للذنوب روائح اذا أذنب العبد ذنبا ثارت منه ريح منتنه (فتنفر منه الملئكة (وتنقبض منه الأمكنه) (١) على قدر صغر الذنب وكبره الا تسمع لقوله تعالى :

(تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا) (٢)

فاكرام هذا الجار (٣) : كف الأذى عنهم بترك العصيان وكشف العورات والقبايح للكرام المكرمين (٤)

الا ترى كيف أمر الشرع أيضا بأن لا تستقبل القبلة ولا تستدبر لبول ولا غائط اكراما للمصلين ، وكذلك تنفر الملئكة من الروائح القبيحة فى الأجساد والأوساخ ، قال النبى عليه السلام :

(من أكل من هذه الشجرة فلا يقرب مساجدنا يؤذينا بريح الثوم) (٥)

وكذلك لا تدخل الملئكة بيتا فيه كلب ولا صورة تمثال وذلك كله داخل فى هذا المعنى وفيه اشارة الى بيت القلب وتطهيره من كلب الحرص والغضب وتماثيل الشرك المتوهمة المحبوبة القاطعة عن الله فازالة ذلك كله اكرام للملأ الأعلى على المجاورين للقلوب والأرواح والنفوس فى عالم الملكوت والأجسام فى عالم الملك .

---

(١) جملة " تنقبض منه الأمكنه " لم ترد فى ظ ت

(٢) سورة مريم الايتين ٩٠ ، ٩١

(٣) فى خ : الجوار

(٤) فى خ : للكرام الكاتبين

(٥) رواه البخارى فى كتاب الأذان باب رقم ١٦٠ ما جاء فى الثوم" ٨٥٣-٨٥٦ ورواه مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب نهى من أكل ثوما أو بصلا رقم الاحاديث " ٥٦١ - ٥٦٤ .

وأما الضرب الثاني : الباطن في مقام الاحسان فهو: مقام مراقبة البـــارى تعالى ، ومن حقائق هذا الباب اكرام نظر البارى تعالى والحياء منه والتوقير له والاجلال والاخبات له فانه الجار القريب الذى هو أقـرب الى كل شيء من كل شيء واكرام هذا الجوار الكريم موجود في قولـه تعالى :

(تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكـرام) (١)

معناه : هو أهل لان (٢) يجل مقامه ويكرم نظـره وقربه فافهم فهمنا (٣) الله وأعاننا واياك على العمل الا ترى أنه قد ورد في الأخبار :

ان آدم عليه السلام لما واقع الخطيئة قيل له اخرج فانه لا يجاور نـي من عصاني (٤)

فمن كان في الدنيا حسن الجوار ظاهرا وباطنا كان جزاؤه الحلــول بجوار الواحد الأحد في الجنة وعلى قدر حسن جواره يكون قربه من جوار الواحد الأحد ولذلك نبه النبي عليه السلام على هذا المعنـى في قوله :

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) (٥)

---

(١) سورة الرحمن آية (٧٨)

(٢) ظ ،ت : أهل أن

(٣) في ظ : فافهم فهمك الله

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره بسنده عن قتاده عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وذكر الحديث ثم قال : هذا حديث غريب وفيـه انقطاع بل اعضال بين قتاده وابى بن كعب رضى الله عنهما جـ ١ ص ٨٠

(٥) صحيح مسلم كتاب الايمان باب الحث على اكرام الجار رقم الحديث ٤٧ والرقم الخاص ٧٤ والبخارى في كتاب الادب باب ٣١ رقم الحديث ٦٠١٩

فقوله من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اى من كان يؤمن بجوار الله فى الآخرة والرجوع الى السكنى فى جواره فليكرم جاره فى الدنيا على المعانى الثلاثة المذكورة فيما تقدم .

والمقربون الذين قاموا بحسن الجوار قد وجدوا من قرب جوار الواحد الاحد اذ واقا فى الدنيا قبل الآخرة فأنزلهم المنازل الرفيعه من قربه وسكنهم المقامات الرفيعه من جواره .

(ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) (١)

والجوار اخو الاعتكاف فى الشرع وهو هو . وأعلاه عكوف العبد على مولاه فى الحال فى مقعد الصدق عند مليك مقتدر

وفى الحديث أيضا :

(الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البرره) (٢)

---

(١) سوة القمر الآيتين ٥٤ — ٥٥

(٢) بوب به البخارى فى كتاب التوحيد للباب " ٥٢ " فقال : باب قول النبى صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن .... الحديث .

وأخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب فضل الماهر بالقرآن رقم الحديث العام " ٧٩٨ " وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الادب باب ٥٢ ثواب القرآن والمراد بالسفره : الكتبه جمع سافر مثل كاتب وزنه ومعناه وهم هنا الذين ينقلون من اللوح المحفوظ فوصفوا بالكرام اى المكرمين عند الله تعالى والبرره اى — المطيعين المطهرين من الذنوب .

راجع فتح البارى ج ١٣ ص ٥١٨

اى قد أحل مقامهم وانزل منزلتهم وعلى فوت هذه الحالة نقول :

انا لله وانا اليه راجعـــــون

ونسأل الله الكريم التوبة من كل ما يوجـــب البعد من جوار الله وأن يرزقنـــا الحياء منه والاكرام له ولملئكته الكرام المكرميـــــن .

وصلى الله على محمد وعلى آله وسلـــــم.

الشعبة الرابعة والعشرون: اكرام الضيف :

اما كونه من شعب الايمان فموجود في قوله عليه السلام :

" من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه "(١)

وفي الصحيح ايضا عن (٢) عمرأن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" اى الاسلام خير قال تطعم الطعام .. " وذكر الحديث (٣)

فجعل اطعام الطعام من الاسلام وهو راجع الى التضييف وغيره لان اطعام الطعام على نوعين :

اما ان يأتيك الزاير فتطعمه فيكون ضيفا لك .

واما ان تدعوه فيجيبك زائرا لك في منزلك فيكون ضيفا بدخوله منزلك .

لا يخلوا اطعام الطعام عن هذين القسمين ولان اطعام الطعام من المرؤة وقالوا :

" لا دين لمن لا مرؤه له ."

---

(١) تكملة للحديث السابق تخريجه في الشعبة التي قبل هذه : ونصه في البخاري :

" عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم والاخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت) .

(٢) في ، ظ ، ت مخ عن ابن عمرو وهو الصواب كما في البخاري ومسلم .

(٣) اخرجه البخاري في كتاب الايمان باب : اطعام الطعام من الاسلام رقم الحديث ١٢ .

ومسلم في كتاب الايمان باب بيان تفاضل الاسلام .. رقم الحديث العام ٣٩ .

والاخبار فيه كثيره

واعلم ان التضييف على نوعين : ظاهر وباطن .

فاما الظاهر : فهو الزاير والمستزار الانسانى

فأما الزاير فهو: القادم عليك فاكرامه بثلاثة انواع:

بالايواء والتبجيل والقراء ، ومنتهها وثلاثة ايام كما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله :

" من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا : وما جائزته يا رسول الله قال : يوم وليلة والضيافة ثلاثة ايام فما كان بعد ذلك فهو صدقه عليه ولا يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه ويؤثمه قالوا كيف يؤثمه قال يقيم عنده وليس عنده ما يقريه به "(١) .

فالايواء يزيل الغربة والخوف عن الضيف بوجوده المنزل بدلا من منزله ،

والتبجيل يزيل عنه وحشه الغربة ويثمر عنده الانس والقرى يطيب النفس ويولد المحبة وهذه كلها اعمال فاضلة من اعمال الايمان .

ومن اجل هذه الثلاثة (٢) كانت الضيافة على اهل الوبر اوجب منها على اهل المدر لان المنزل والانس والقرى متعذر فى البادية كما لها

---

(١) اخرجه البخارى ومسلم وغيرهما :
البخارى فى كتاب الادب باب اكرام الضيف رقم الحديث ٦١٣٥ ومسلم فى كتاب اللقطة باب الضيافة ونحوها رقم الحديث ٤٨ .
وانظر تخريجه فى جامع الاصول ج ٧ ص ٥٥ ـ ٥٩ .

(٢) فى ظ ، ت : هذه الثلاث .

وهى كلها موجودة فى الحاضرة فان المسافر يجد المنزل فى الحاضرة غير متعذر ويجد الخلق الكثير والطعام الكثير على اختلاف انواعه كما ورد فى الخبر :

" الضيافة على اهل الوبر وليست على اهل المدر " (١)

ولو لم يكن فى التضييف فائدة الا ماورد فيه :

" ان الضيف اذا ارتحل ، ارتحل بذنوب اهل المنزل "(٢)

كيف وفيه من غير ذلك اسرار الجزاء المعبر عنها قوله تعالى :

" ... انما تجزون ما كنتم تعملون "(٣)

حكم وانوار عبر عنها قول النبى عليه السلام فى قوله :

" من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه "(٤)

ففى قوله هذا تنبيه عظيم لفهم الجزاء على الاعمال معناه : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر اى ايصدق بلقاء الله والقدوم عليه

---

(١) قال عنه العجلونى فى كشف الخفاء :
(رواه القضاعى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال القارى لا اصل له وقد قال عياض فى اول شرح مسلم لما تكلم على حديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه : انه موضوع عند اهل المعرفة وتبعه النووى أ هـ) ج ٢ ص ٣٦ رقم الحديث ١٦٤٥.
وانظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٤ ص ٢٦١ رقم الحديث ٥٢٤٣.

(٢) اورده السيوطى فى الجامع الصغير ورمز له بالصحة وخرجه المناوى فى فيض القدير ونقل قول السخاوى : سنده ضعيف وله شاهد.
انظر فيض القدير ج ٤ ص ٢٦١، ٢٦٢ وانظر كشف الخفاء للعجلونى ج ١ ص ٨٨ رقم الحديث ٢٢٧ : اذا دخل الضيف على قوم .. الحديث.

(٣) سورة الطور من الاية (١٦) وسورة التحريم من اية (٧)

(٤) تقدم قريبا

فالانسان ضيف في الاخرة قادم على الله فيؤيه سبحانـه في منزلـة وداره التي هي الجنة ومحلة ويخدمه الولدان والعبيد فيتلقونه بالبشرى والتوقير والتجبيل ويكرمه بالاطعام والراحة في دار كرامته فليكرم ضيفه فانه قادم عليه ليس له مأوى كما يقدم الانسان غريبا في الاخرة ليس له مأوى فيؤيه الله في الجنة ويتلقاه بالبشرى والترحيب اعنى ضيفه (١) ويشيبه الله على ذلك (الترحيب) (٢) والتوقير ويخدمه الاملاك والولدان ويقدم اليه القرى (اعنى ضيفه) (٣) فان الله يقدم اليه اذا دخل جنته جميع ما فيها من الاطعمة والكرامة وهكذا صفة الاعمال كلها من عمل خيرا او شرا جزاءه في الاخرة على مثل العمل في الدنيا جزاء وفاقا :

" ... سيجزيهم وصفهم ... " (٤)

وانما نبهتك على هذا (التنبيه) (٥) لتنتبه في الفاظ القرآن والحديث على معانى الجزاء فتنكشف (٦) لك حقائقها فانها في الفاظ الرسول والقرآن مودعة .

وكذلك اذا استزرت انت غيرك من اخ اوغيره الى منزلك فاطعمته

---

(١) كلمة " اعنى ضيفه " لم ترد في خ ، ت .
(٢) هكذا في جميع النسخ وفي ع : الترغيب .
(٣) كلمة " اعنى ضيفه " وردت في ظ ، ت .
(٤) سورة الانعام من اية ١٣٩ .
(٥) كلمة " التنبيه " وردت في أ ، خ ، ت .
(٦) في خ : لينكشف .

واكرمته هو من الايمان ايضا فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال :

" اطعام الطعام وبذل السلام "(١)

وقال ايضا في الكفارات والدرجات :

" اطعام الطعام (وافشاء السلام (٢) والصلاة بالليل والناس نيام "(٣)

والاخبار في فضل الضيافة واطعام الطعام لا يحصى فهي شعبة عظيمة من فضائل الايمان ويقال :

" ان السخاء على الطعام ليستر (٤) البخل بالمال ".

واما الباطن فعلى ضربين :

ضرب في مقام الايمان .

وضرب في مقام الاحسان .

فاما الضرب الاول الايماني فاعلم ان كل وارد يرد على العبد من الغيب مما ليس بحاضر معه ولا هو مجاور له فانه ضيف يورده عليه له من الاكرام ما يليق به كضيف ابينا ابراهيم صلوات الله على نبينا وعليه وهم الملئكة الواردون على الخلق قال الله تعالى :

" هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين "(٥)

---

(١) هذا معنى الحديث الذي تقدم في اول هذه الشعبة عن عبد الله بن عمرو وفيه : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .

(٢) الجملة من بعد قوله في الحديث السابق : (اطعام الطعام .. الى قوله وافشاء السلام سقط من ح وذكر في بقية النسخ .

(٣) اخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ١٢٩ كتاب الاطعمة وقال عنه : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

(٤) في بقية النسخ : يستر البخل .

(٥) سورة الذاريات اية ٢٤ .

وقال في لـــوط :

" قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحـــون "(١)

" ولقد راودوه عن ضيفـــه ..."(٢)

فانما (٣) سموا ضيفا بقدومهم عليه ودخولهم منزله لا بأن ذلك اسم لهـــم فافهـــم (٤) فان الملائكة تتعاقب على الخلق، في كل يوم وليلة تـــرد من عند الله (٥) ملائكة النهار عند صلاة الصبح فتحفظ على الخلـــق اعمالهم وكذلك ملائكة الليل ايضا ترد عليهم عند ذهاب النهار واقبـــال الليل فتحفظ عليهم اعمالهم هكذا مع كل يوم وليلة لا يخلو العبـــد عن (٦) القادمين عليه والواجب على العبد اكرامهم بما يليق بهم مـــن التعزيز والتوقير وقبول الهامهم وترك الاذاء لهم بما يكرهونه (٧) مـــن مخالفة العبد وترك تعبهم بما في كُتب (٨) الفضول من القول والفعل ، واملاء الاعمال الصالحة عليهم من الاذكـار والاقوال الطيبة ليكتبوهـــا فذلك اكرامهم وتضييفهـــم .

وكذلك الانفاس ثم الساعات ثم الايام والليالي قادمة على العبد شاهـدة له وعليه اكرامها املاؤها بالخير فانها ظروف لا يحمل العبد خيرا ولا شرا

---

(١) سورة الحجر اية ٦٨ .

(٢) سورة القمـــر اية ٣٧ .

(٣) في ظ : وانمـــا .

(٤) كلمة : فافهـــم لم ترد : في خ .

(٥) كلمة : من عند الله لم ترد في خ .

(٦) في خ : من القادمـــين .

(٧) في خ : يكرهون .

(٨) في خ ت : وترك تعبهم في كتـــب الفضول وهو اصح .

الا فى ساعة من الزمان او اقل من ساعة او اكثر ، واهانتها املاؤ هـا بالشر وكذلك كل وارد من الله من خاطر خير وواعظ فى قلب المؤمن او تفهيم (١) علم من الله يجب اكرامه بالقبول والامتثال ، واما الضرب الثانى (٢) من الباطن فى مقام الاحسان فهو (٣) تجلى البارى تعالى لقلوب المؤمنين وتنزله اليهم بصفات الرحمة والتكليم فى كل ليلة وتنبيههم فى كل وقت من التذكير والوعظ فيجب اكرام تجليه وتنزله ومجيئه سبحانه :

" من اتانى يمشى اتيته هرولة " (٤)

وكيف لا وهو اقرب من حبل الوريد وانما مجيئة وتنزله كشف الحجب من الغفلة وغيرها من القلوب (٥) فقد عم التضييف والاكرام جميع المقامات الثلاثة : الاسلام والايمان والاحسان ، ويبقى الاكرام فى كل مقام منها لكل ضيف وارد فيها من اكرمها اكرمه ورفع قدره فى الحال ان كان من اهل الاحوال ، وفى المآل اذا قدم على ذى الجلال وان اغفلها واستهان بها حرم الاكرام والترفيع فى الحال والمآل

---

(١) فى ظ ، خ : او تفهم .

(٢) فى ظ ت : والضرب الثانى .

(٣) فى ظ ، ت : هو تجلى .

(٤) جزء من حديث الموالى وتقدم فى اول الكتاب .

(٥) بل مجيئه تعالى ونزوله مجئ ونزول حقيقى على ما يليق بجلال الله وعظمته وان كنا لا ندرك حقيقة ذلك فلا يجوز تاويله بكشف الحجب ونحوه كما سلك المؤلف .
انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٨ .
وشرح حديث النزول ص ٦ .

ومن هذه الواردات ما يعظم قدره فيزيد في قلوب المتلقين له اكراما وترحيبا على غيره وان كان الكل مكرما ، كيوم الجمعة في الايام كان السلف الصالح ياخذون الاهبة له عشية (١) الخميس وذلك من الاكرام له وكانوا يتلقونه بالترحيب :

" كان ابراهيم بن ادهم يقول في كل صبيحة يوم الجمعة وعشيته : مرحبا بيوم المزيد مرحبا بالكاتب والشهيد " (٢)

وكذلك اوقات الصلوات على غيرها والشهور الفاضلة كشهر رمضان وغيره وليلة القدر وغيرها من الليالي الفاضلة .

وكذلك الواردات كلها من الله جل وتعالى في القلوب ومن هذا الباب دخلوا الى الاستعداد (٣) لقدوم الموت عليهم والارتقاب له والتأهب للقائه فمن اكرم هذه الواردات وتلقاها بالاكرام ورآها رسلا وواردات من الله كان جزاؤه عند الله اول دخول الاخرة في منتهاها التأهب (٤) لقدوم روحه في السماوات حتى أن الارض لتقول لاحدهم مرحبا بك لقد كنت احبك وانت على ظهري فسترى صنعي بك اليوم ولا يمر بروحه على مـلأ من الملئكة الا تلقته بالترحيب والاكرام فيقولون روح طيبة جاءت من جسد طيب حتى لا يبقى في الوجود الا من يكرمه ويرحب به على قدر درجته .

وان اردت اعتبار هذا المعنى في الوجود كله فان الملائكة والوجود كله بين يدى الله متلق لما يرد عليه من الله بالترحيب والامتثال والاكرام .

وهذا مقام الاحسان فافهم ، فهمنا الله واياك واعاننا واياك على بره وبر وسايطه المكرمة (٥) آمين وصلى الله على محمد وآله وسلم .

---

(١) في ظ : من عشية .
(٢) انظر احياء علوم الدين للغزالي ج ١ ص ٣١٧ .
(٣) في خ : ... الباب دخول الاستعداد لقدوم ..
(٤) في خ : جزاؤه عند اول دخوله الاخرة وفي منتهاها التأهب ..
(٥) كلمة المكرمة لم ترد في خ .

الشعبة الخامسة والعشرون : الصمت والعي :
========= ================

اما كون الصمت من الايمان فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال :

" من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا اوليصمت "(١)

وفى الحديث : (الحياء والعي شعبتان من الايمان)(٢)

وحد الصمت الامساك والحبس ، فاذا فهمت هذا فاعلم انه على

ثلاث مقامات مقام الاسلام ومقام الايمان ومقام الاحسان .

فأما الصمت فى مقام الاسلام فان الكلام ينقسم على قسمين : خير وشـر

وقال الله تعالى :

" لا خير فى كثير من نجواهم .. الاية "(٣)

وقال النبى عليه السلام :

---

(١) تقدم اول هذا الحديث فى الشعبة الثالثة والعشرين .

(٢) اخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ٨٠ رقم الحديث ٢٠٢٧
وقال هذا حديث حسن غريب واخرجه احمد فى مسنده ٥/٢٦٩
وقال الالبانى : الحديث صحيح الاسناد
والعي بكسر العين والمراد هنا سكون اللسان تحرزا عن الوقوع
فى البهتان لاعي القلب ولا عي العمل ولا عي اللسان لخلل كما
قال المناوى .
انظر كتاب الايمان لابن ابى شيبه ضمن رسائل اربع تحقيق محمد ناصر
الدين الالبانى ص ٣٩ .

(٣) سورة النساء اية ١١٤ .

" وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصايد السنتهم "(١)

ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه فاذا علم العبد ان كلامه من العمل كان كساير الجوارح لسانه والجوارح كلها ساكته صامته لاتتكلم وكلامها العمل فقد استوى اللسان مع الجوارح فكما ان الجوارح لا يجوز لها ان تعمل الا صالحا فهكذا (٢) اللسان لا يعمل الا صالحا وعمله هو الكلام واكثر الناس لم يعدوا الكلام من العمل من طريق ان اللسان هو ترجمان العبد في جميع حاجاته فخف الكلام على الناس وهو الذى اورد الموارد واهلك الخلق (٣) ، وفي اللسان انواع المهلكات مثل الكذب والزور والغلو (٤) والاستهزاء والنميمة والبهتان والغيبة والحسد والحديث الذى لا يفيد فواجب على العبد ان يحكم لسانه ويضبطه كما يضبط ساير الجوارح ولا يتكلم الا فيما امر به والذى امر بالكلام فيه .

والصمت في عالم الحس ثلاثة ايضا ضرب : في المباحات والاشغال التى لابد منها وضربان في امور الدين لان امور الدين على ضربين : خير وشر فأما امور الدنيا فيتكلم الانسان بجوارحه في منزله ومع اهله ومع من يبيع منه ويشترى مما لا بد منه ومع الاصحاب والجلساء بالانبساط وتطييب النفوس وما لابد منه (٥) وذلك كله حسن . ويضبط لسانه عن كل جفاء

---

(١) رواه احمد في مسنده ٥/٢٣١ .
وابن ماجة في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتن رقم الحديث ٣٩٧٣ .
والترمذى في كتاب الايمان باب ما جاء في حرمة الصلاة رقم الحديث ٢٦١٦
وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) في خ : فكذلك .

(٣) في أ : وأهان الخلق .

(٤) في أ ، ظ ، ت : والزور والهمز والاستهزاء .

(٥) سقط من ع من قوله (ومع الاصحاب .. الى قوله : وما لا بد منه .

وبذاء فان ذلك من شعب النفـــاق ٠

وأما امور الخير الدينية : فالكلام فيها بالسؤال عن العلم والجـــواب فيه فلا يتكلم الا بعلم حق ولا يتكلم فى الدين باهواء المبتدعـــــــه والمتعمقـين ويتمذهب به فان ذلك جناية على الدين والصمت عــــن ذلك فرض واجب الا ان يتكلم العالم والمتعلم فيه بمعنى الحكايـــــة اوعلى وجه البيان لفسادة فان ذلك علم وخير ومتى وجد الانســـــان من يكفيه ويكون هوصا مثا كان خيرا له وكذلك اذا سئل عن فـــتوى مسألة فليصمت عنها ويدفعها الى من هو اعلم بها منه اولمن كلـــف الفتوى بها فذلك (١) طريقة السلف هذا اذا كان عالما بهـــــا وأمـــا اذا كان جاهلا فالصمت عليه واجب لئلا يتكلم بالجهل ويفـتى بغير علم فيضل ويضل ٠

والصمـــت زين للعالم وستر للجاهل ٠

وأمـا امور الشـــر الدينية فان العبد اذا رأى عيبا من غيره فانـــه مأمور بستر العورة وان لا يرفع الفواحش ولا يطلب المثالب والعـورا ت وليكف عنها ويصمت عن الكلام بها والا كان من الذين يذيعون الفواحش ٠ ويؤذى الناس بلسانه وشر الناس من اتقاه الناس مخافه لسانه الا ان يرى منكرا فواجب عليه ان ينهى صاحبه فيتكلم اذ ذاك فان الصمت هنــــاك قبيح فان رأى من يفسد صلاته اوطهارته او تجارته فلينهه ٠

والصمت عن ذلك اثــم ، وعلى الجملة المختصرة الجامعة فى هذا الباب : فليكن لسان العبد عنده بمنزلة جارحة من جوارحه كما جعله اللـــــه

---

(١) فى ظ : فتلك وهو اصـــح ٠

جارحة من الجـوارح وليكن كلام اللسان عنده عملا من الاعمال كما جعلـــــه
الله فالاعمال كلها تنقسم قسمين خير وشر وكذلك الكلام فليصمت الانسان
وليكف عن الشر ولا يتكلم الا بالخير كما امر ان لا يفعل الا خيرا ويـــترك
الشر بجوارحه كلها فاذا كان العبد هكذا كان حكيما عاقلا لان الصمت
حكم (١) وقليل فاعله وكذلك الحكماء قليل ، واذا كان الانسان حاكمـا
للسانه عن الشر متكلما بالخير صار ذلك عادة له فيثقل على اللســـان
الكـلام في الشر (٢) والباطل ويكرهـه وينفر منه وعيا ويكل عنـــه
فيكون العي عن الكلام في الشر صفة للسان فحينئـذ يكون بهـــذا
الوصف (٣) الذى قال النبى عليه السلام فيه : الحياء والعى شعبتا ن
من الايمان (٤) :
فالعى فى اللسان عن الشر وفى الجوارح من اكبر خصال الايمان ومـــن
الناس من تكـل جوارحه عن فعل الشر وتعيا فلا تمتد (٥) الى ذلـك
ولا تنبسط وترك ذلك هو صمتها كما ان عمل الجوارح هو نطقهـا فان
الفقهاء قد اجمعوا (٦) على ان الرجل اذا كتب لامرأته بيده انـــت
طالق ولم ينطق بلسانه ان ذلك كلام بمنزلة قوله : انت طالق سواء .

---

(١) في ت : حلم وهو محتمل غير انه ورد في كلام لقمان الصمت حكم وقليـل فاعله انظر الاحياء ج ٣ ص ١١٤ .

(٢) في ت ، خ : الكـــلام بالشر .

(٣) في ظ : يكون بالوصف الذى ..

(٤) تقدم تخريجه في أول هذه الشعبة .

(٥) في ظ ، ت : ولا تمتـد .

(٦) في ظ ، ت : الفقهاء اكثرهم قد اجمعوا ...

فعلى هذا يصمت العبد (١) بجوارحه كلها ويضبطها عن الشر واعظمهم فى ذلك رتبة اللسان لانه الترجمان والمبين وقد كان من السلف الفاضل من يحبس الحصاة فى فيه وقاية للسانه لعله يصمت كما تصمت الجوارح ويكون ذلك عادة له والاخبار والحكايات فى فضايل الصمت وآفات الكلام وفضل الكلام ايضا فى الكتب اكثر من ان تحصى من الله علينا بما ينفعنا آمين •

واما المقام الثانى من الصمت فى مقام الايمان :

فان اول ما يقع عليه بصر الايمان فى الغيب النفس الباطنة فى الجسد وهى محادثة ابليس والمستمعة له وهو ابدا متكلم بانواع الوساوس (٢) وهى متكلمة بانواع التسويل وضروب الامانى والخواطر المذمومة على اختلاف انواعها ولولا هى ما تكلم اللسان بحرف فى الظاهر وخواطرها فى ذلك تنقسم على نوعين (٣) وان كثرت :

نوع منها يتفكر فى معصية ويتدبر (٤) لها كيف تكون

ونوع منها فى امتداد الامال الدنياوية وتدبرها (٥) والخوض فى اودية كيف يكون وما يكون بل هى المتكلمة فى النوم واليقظة والصلاة والاكل والشرب وفى كل حال فيجب على الانسان ان يصمت (٦) عن

---

(١) فى خ : يصمت الرجل •
(٢) فى أ ، خ : الوسواس •
(٣) فى خ : تنقسم قسمين •
(٤) فى ظ : ويدبر •
(٥) فى أ ظ : وتدبيرها •
(٦) فى ظ ت ، خ : ان يكفها •

الخوض فى ذلك والحديث به فانه زخرف وغرور ، الا ترى انه لا يكتب للعبد من صلاته الا ما عقل منها هذا من أجل تحدث النفس فى الصلاة (١) بخواطر اغراضها فكما يمضى باقى الصلاة باطلا ولا يكتب للعبد كذلك يمضى عمره كله باطلا فى حين حديثها فى اى نوع كانت فيه من الطاعات التى لا تحضر فيها ولا تسكت عن افسادها بالحديث بالعجب والرياء وغير ذلك فافهم • فان قلت : وكيف تسكت النفس فاعلم ان الله جل جلاله قد جعل فى مقام الايمان المؤمنات (٢) العظايم والاهوال الجسام مثل الموت والقبر والحشر والنشر والصراط والحوض والميزان والحساب والجنة والنار وجميع امور الاخره فاذا فكر العبد فى المؤمنات وتكلم فيها بالفكر فى عالم الغيب سكتت النفس عن تسويلها وحديثها بالامر بالسوء وانصرفت صامته عن امور الدنيا والبشر (٣) الا فيما يجب وصارت مفكرة فى كيف يكون حالها فى الموت وشدايد الآمة والقبر واهواله والنار الكبرى واهوال القيامة (٤) وتفكر فى اعمالها السوء وما هى عليه فتلوم نفسها وتنكسر فتصير لوامة بعد ان كانت امارة وذلك من رحمة الله بها فى قوله (•• الا ما رحم ربى ••) (٥) ولولا الرحمة بها مازالت عن الامر بالسوء ابدا لانه طبعها فلا شىء اعون على صماتها واسكاتها من النظر بالايمان فى المؤمنات وذلك (ليس) (٦) فيه بعد مسافة وانما هو

(١) كلمة " فى الصلاة " نقصت من : خ •
(٢) فى خ : الموسقات بدل المؤمنات وهو خطأ •
(٣) فى ظ ، ت ، خ : (والشر) بدل من (والبشر) والاصح : البشر •
(٤) فى ت : واهوال يوم القيامة •
(٥) سورة يوسف من الاية ٥٣ •
(٦) كلمة ليس لم ترد فى ع : ووردت فى بقية النسخ •

نظر بالايمان في المومنات والانسان حيث كان تايما او جالسا
او مضطجعا يدرك ذلك كله من مقامه ويرى كيف يخاطبه كل
شيء في الغيب بلسان الحال وهو صامت : الم تسمع الى قول المصطفى
عليه السلام حيث قال :

" تركت فيكم واعظين ناطق وصامت فالناطق القرآن والصامت الموت " (١)
فهذا متكلم وهو (٢) صامت فيقول لك : انا الناقل لك عن هذه
الدنيا الفانية الى الدار الباقية وانا الذي احول بينك وبين
اهلك وجيرانك واصحابك ومالك ودارك واهلك ومنيك (٣) وخدمك
ومراكبك وجسدك ولا اراعي شيئا من ذلك بل اخذك احببت او كرهت
فاستمد لي فاني مستعد لك : الستهادم اللذات ومفرق الجماعات
ومهلك الاولين والاخرين ومبيد كل جسد في ذي روح من طير في
هواء او حوت في بحر او وحش بري وحيوان انسي فانظر لنفسك فلا
تظن اني اتركك ولو تركت احدا لتركت الانبياء واهل الكرامات
على الله فانظر لنفسك يامسكين فقدمات سيد الاولين والاخرين
محمد عليه السلام فكيف تطمع بالخلد يانفسا مسكينة (٤) بخواطرك

---

(١) لم اجده في الصحاح •

(٢) في خ : وهذا صامت•

(٣) جملة " ودارك واهلك لم ترد في ظ وذكر بدل من كلمة بنيك : وولدك

(٤) العبارة في ظ هكذا : فكيف تطمعي في الخلد يانفسي يامسكينة
وفي : خ ت هكذا : فكيف تطمع في الخلد يانفسا مسكينه •

الكاذبة وليس في الدنيا من مخلد (١) وكذلك مخاطبة القبر (٢) وهو صامت : انا بيت الدود انا بيت الغربة انا بيت الوحشه انا بيت الظلمة فانظر (٣) ما اقول لك ان كان حقا ام لا الست تصير في غريبا عن كل ما نقلك الموت منه الى الست ترى ظلمتي كيف التراب تحتك وفوقك ويمينك وشمالك ومن كل جوانبك الست ترى كيف يصير (٤) جسدك قيحا وصديدا ونتنا ودودا الست ترى وحشتك في حين اسلمك الخلق كلهم ولم يشتغلوا بك ولا اقبلوا عليك بل انصرفوا وتركوك واسلموك الست ترى ضيقي هل رأيت قط بيتا على هذه الصورة لا تجد في اين تتصرف يمينا ولا شمالا وصدقني يا مسكين فان كلما قلت لك حق واستعد لي بما يونسك في وما يوسعني عليك وما يكرمك في ولا يهينك هكذا الى مالا يحصى من كلام الحال •

وهكذا تقول لك (٥) النار في الغيب : قد عظم عذابي وكثرت الامي فما اعظم سلاسلي واغلالي وظلمة اهوالي وانكالي وما اشد حري وغضبي وما اكره زقومي وغسليني وما اعظم ما اعددت لمن يدخلني فانظر لنفسك واطلب النجاة مني وكذلك تقول الجنة قد كثر حريري وطاب نعيمي وجرت مياهي وانهاري وجل عن الوصف قدري فطوبى لمن حل بي (٦)

---

(١) في بقية النسخ : من يخلد •

(٢) في بقية النسخ : يخاطبة القبر•

(٣) في ظ ، ت ، خ : انظر•

(٤) في خ : كيف يسيل •

(٥) في خ : تقول له•

(٦) في ظ ، خ حل في وهو اصح •

فانظر يا مسكـين ان لا تصرف عني ، وكذلك الصراط وجميع الاهـوال يخاطبه (١) كل احد من مقامه بلسان الحال بانواع (٢) من الكـلام وضروب من العلوم المصمته للنفس الامارة (٣) المسكتة لها لـو تتبعت (٤) لكان فيها اسفار من الحكمة واذا اقبلت النفس على ذلـك وضـفت اليه واستمعت له انكسرت عن محادثة ابليس وصمتت عـن خواطرها المذمومة ورجعت تتكلم باللائمة (٥) على نفسها كيف يـكون حالي في تلك الاهوال العظام مع ضعفي وقلة حيلتي ثم ترجع الـى ربها فتسأل منه الرحمة وتحسن (٦) التوبة فحينئذ يكون لها وصـف من الاوصاف المحمودة فان رجعت الى الحديث في امور دنياهـا وتكلمت في ذلك بالفكر فيما لا بد منه وهي منكسرة فيكون حديثهـا طاعة اذ كان معينا للاخرة وهذا حال العبد في مقام الايمان ومشاهـدة المؤمنات المغيبات (٧) المسكتة عن الفكر في المحظورات والامانـي الكاذبة المسولات.

---

(١) في خ : تخاطبك.

(٢) في خ : وانـواع.

(٣) في ظ : الامارة بالسـوء.

(٤) في ظ ، ت : لو تتبعتها.

(٥) في خ : بالملامـة.

(٦) في ظ ، وحسن التوبة.

(٧) في خ ت المؤمنات الغيبات.

فصـــل : واما المقام الثالث من الصمت والعي فى مقام الاحسان :

فانه اذا نظر العبد فى مقام المشاهدة ومشاهد العقل والسر فـــرق ما بين قدر الخلق والخالق وشرف البارى سبحانه وفضله على سايـــر المخلوقات امحت الاذكار سوى ذكره وصمتت الاسرار عن ذكر شرف (١) سواه مع ذكر شرفه قال الله تعالى :

" لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم .." (٢)

اى شرفكم فاذا لاح (قدر شرف) (٣) البارى للعقول لم يذكـــر قدر مع قدره ولا شرف مع شرفه وامتلأ السر بذكره وصمت عن ذكر مـــا سواه (٤) ونسى باستيلاء تعظيم ذكره ذكر سواه (٥)، وربما ارتفعـت هم اقوام فى هذا المقام عن ذكر الذكر غيره ان يذكر مع المذكور الشريـف القدر سواه فيغيب عن ذكر الذكر فى الذكر شغلا بالمذكور (٦) الاجـل والشريف الا رفع جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه وفى هذا المقام كـان على رضى الله عنه يصفر وجهه عند الوضوء لانه كان يأخذ فى التأهب للدخول على المذكور فى مقام الاحسان عند الصلاة الا تسمعه يقـــول :

" .. ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ..."

---

(١) كلمة شرف لم تذكر فى ت.

(٢) سورة الانبياء اية ١٠.

(٣) فى ع : ... لاح شرف قـــدر.

(٤) فى ظ ، ت : عن ذكر سواه.

(٥) فى ظ ، ت ، خ : ذكر ما سواه.

(٦) فى خ : شغلا فى المذكـــور.

ثـــم قـــال :

" ولذكر الله اكبـــر... "(١)

اى فى الصلاة اكبر من الصلاة وغيرها ، وهكذا فى جميع انواع الطاعـات

صلاة او غيرها الا ترى الى قول الصديق رضى الله عنه :

من ذاق شيئا من خالص محبه الله انساه ذلك ما سواه.

هذا لان ذكر (جمال)(٢) الله اصمت عن ذكرما سواه من جميـــل

وغيره او لا ترى الى حال عثمان رضى الله عنه فى مقام الاحسان وحضورة

فيه كيف يستحى وينقبض حتى لا يرفع طرفه (الى السماء)(٣)

او لاترى الى مقام عمر رضى الله عنه وهجيراه : الله اكبر حين كبر قد ر

الله عنده فكان يشاهد الاشياء صغيره فى جنب كبرياء الله فكان يقـول :

الله اكبـــر او لا تسمع الى قول النبى صلى الله عليه وسلم للصحابـــة

حين نسى اية من الفرقان فسألهم عنها فلم يجيبوه فقال :

أفيكم ابـى ... الحديث الى قوله لهم :

ما بال اقوام يتلى عليهم كتاب ربهم ... الى قولـــه :

هكذا خرجت عظمة اللـه من قلوب بنى اسرائيل.(٤)

---

(١) سورة العنكبوت من اية ٤٥.

(٢) كلمة " جمال " وردت فى بقية النسخ ولم تذكر فى : ع.

(٣) كلمة : " الى السماء " وردت فى : خ.

(٤) ابى : هو ابى ابن كعب رضى الله تعالى عنه ، سأل عنه الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه كان اقرأ الصحابة رضى الله عنهم ،

وقد خرجه العراقى فى تخريجه لاحاديث الاحياء ج ١ ص ١٧٢ فقال :

رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة وابو منصور الديلمى من حديث ابـى بن كعب ، ورواه النسائى مختصرا من حديث عبد الرحمن بن ابـــزى باسناد صحـــيح.

وانظر مجمع الزائد ج ٢ ص ٦٩ باب تلقين الامـــام.

انما جرى هذا كله من اجل ان الاسرار لم تصمت فى مقام الحضور الذى هو الاحسان ولا انصتت فى موضع الانصات وان كانت الالسن قد انصتت فلم ينفع ذلك الانصات شيئا اذ لمعول على انصات السر الى كلام الرحمن قال الله تعالى :

" واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ..." (١)

وقد وصل الامر فى هذا الصمت الروحانى الباطن بالصديقين الى حد عظيم وعدوه من اكبر الاشياء عليهم مثل الحديث الصحيح الذى ورد فى الصحابى حين رأى الطاير الدبس فى الصلاة فتصدق بالحائط لذلك الفكر .(٢)

وكذلك فعل عبد الرحمن بن عوف (٣) .

تحدثت نفسه فى صلاة الليل بامور التجارة التى كان ارسل بها الى الشام فاشتغل حتى لم يدر ما كان فيه فتصدق بالعير كلها واحمالها وبضايعها فكان ذلك الا فأكثيرة .(٤)

---

(١) سورة الاعراف اية ٢٠٤ .

(٢) روى هذا الخبر مالك فى الموطأ وذكر ان الصحابى هو : ابو طلحة الانصارى والدبس ذكر الزرقانى فى شرح الموطأ انه : طائر يشبه اليمامة وقيل هو اليمامة وروى هذا الخبر ايضا ابن المبارك فى الزهد فى باب هو ان الدنيا على الله عز وجل .
انظر شرح الزرقانى ج ١ ص ٢٠٣ رقم الحديث ٢١٨ ، والزهد لابن المبارك ص ١٨٦ رقم الحديث ٥٢٧ .

(٣) عبد الرحمن بن عوف احد العشرة واحد الستة اهل الشورى وهو احد الثمانية الذين بادروا الى الاسلام . انظر اخباره فى سير اعلام النبلاء للذهبى ج ١ ص ٦٨ .

(٤) خبر تصدقه رضى الله عنه بتجارته الوارده من الشام فى مسند احمد ج ٦ / ١١٥ .

فانظر هذا الصمت كيف هو عند الرجال الاكابـــر .

وقد ورد فى الصحيح فى هذا المعنى كثير ، من ذلك حديـــث ما يقطع الصلاة فورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" اذا صلى احدكم الى غير ستره فانه يقطع صلاته المرأة والحايض(١) والكلـــب "

وفى روايـــة اخـــرى :

" الحمار والخنزير واليهودى والمجوسى والمرأة "(٢)

وورد انه لا يقطع الصلاة شـــىء .

والامر هو الخاطر وقد نسخ وترك العمل بقطع الصلاة فى الظاهـــر بالحديث الاخر الذى قال فيه :

" لا يقطع الصلاة شىء "(٣)

---

(١) وردت فى النسخ بالعطف . والصواب كما فى سنن ابى داود ان الحائض صفة للمرأة فالصغيرة لا تقطع الصلاة .

(٢) الرواية السابقة اخرجها ابو داود فى سننه فى باب ما يقطع الصـــلاة رقم الحديث فى مختصر سنن ابى داود للحافظ المنذرى ٦٧١ جـ ١ص ٣٤٥ واخرجه ابن ماجه فى اقامة الصلاة باب ما يقطع الصلاة رقم الحديث ٩٤٩ . اما هذه الرواية فقال عنها ابو داود :
فى نفسى من هذا الحديث شىء كنت اذاكر به ابراهيم وغيره فلم ار احـــدا جاء به عن هشام ولا يعرفه ... الى ان قال والمنكر فيه ذكر المجوسى .. وذكر الخنزير وفيه نكـــارة . راجع مختصر سنن ابى داود جـ ١ ص ٣٤٥ .

(٣) بوب البخارى بهذا الحديث فقال باب : لا يقطع الصلاة شىء فى كتـــاب الصلاة الباب ١٠٥ وخرجه العسقلانى فى شرح الحديث وذكر له اسانيـــد بعضها ضعيف وبعضها صحيح .
راجع فتـــح البارى ج ١ ص ٥٨٨ .

وبقى حكم الاخر فى الباطن عند الاسخين فى (علم) (١) الناسخ والمنسوخ فان المار ــ كما تقدم ــ هو الخاطر والخاطر الذى يخطر فى حين الصلاة فى باطن العبد بالحديث فى المرأة التى هى الانسانية والمرأة الدنياوية ٠

والخاطر الذى يكون فى الكلب الحرصى ، والخاطر الحمارى الذى قام بالاقبال على غير الله فى الصلاة الجاهل بالمقام الذى هو فيه او الخاطر الشبق الخنزيرى فى الجماع فى تلك الحال او الخاطر المجوسى الذى يولد العجب فى الصلاة برؤية الاعمال واستحسانها من النفس كما ورد ٠

" ان القدرية مجوس هذه الامة " (٢)

---

(١) فى ع : فى عالم وفى ظ : فى العلم ٠

(٢) رواه ابو داود فى سننه فى كتاب السنة باب فى القدر رقم الحديث ٤٦٩١ ٠

وكذا اخرجه الحاكم فى المستدرك ج ١ كتاب العلم ص ٨٥ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابى حازم بن ابن عمر ولم يخرجاه قال النووى : قال الخطابى : انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوسى فى قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله تعالى والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر جميعا لا يكون شىء منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عبادة فعلا واكتسابا والله اعلم ٠

راجع صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ١٣١ تحقيق عبد الله ابو زينة وانظر مشكاة المصابيح : اجوبة ابن حجر عن احاديث المصباح ص ١٧٧٩ ٠

وانما كانوا مجوسا باضافة الافعال الى انفسهـــم •

والحديث مع هذه الخواطر كلها وترك الصمت عنها يقطع الصـــــلاة بلا خلاف عند الجميع اعني انه لا يكتب له منها ما قطعت هذه الخواطـــر منها فلا يكتب له الا عشرها تسعها ثمنها ••• الحديث الى اخره (١) وانما يكتب له منها ما حضر فيها مع الله ولذلك تجبر الصلـــــوات بالتطـــوع اذا كانت ناقصة هذا النقصان وغيـــره•

فالصمت في مقام الاحســـان عن الحديث مع غير الله من اوجب الواجبات والتوبة والاستغفار من تـــرك الصمت فيه من اوجب الواجبات وقتالـــه ودرأه واجـــب كما ورد في الحديث :

" ••• فليقاتله فانه شيطـــان ••• " (٢)

---

(١) يشير الى ما رواه عمار بن ياسر رضى الله عنه : سمعت رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليصلى الصلاة فينصرف وما كتـــب له منها الا عشرها تسعها ثمنها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها " رواه ابن المبارك في الزهد ص ٤٥٩ رقم الحديـــث ١٣٠١• واخرجه الحميدى في المسند في احاديث عمار بـــن ياسر ج ١ ص ٧٩ رقم الحـــديث ١٤٥•

(٢) ورد في صحـــيح البخارى : كتاب الصلاة باب يرد المصلى من مر بين يديـــه رقـــم الحديث ٥٠٩ ونصه :

" اذا صلى احدكم الى شيء يستره من الناس فأراد احد ان يجتـــاز بين يديه فليدفعه فان ابى فليقاتله فانما هو شيطان " •

ولكن حديث ظاهر وباطن كما للايات فان نسخ الحديث ظاهـــرا
بقى حكمه باطنا فان الباطن محكم كله.(١)

---

(١) بين ابن تيمية رحمة الله فى رسالة فى علم الباطن والظاهر المطبوعـــه ضمن مجموعة الرسائل المنيرية جـ ١ ص ٢٢٩ ان العلم الباطن الــذى يبطن عن اكثر الناس اوعن بعضهم على نوعين:
احدهما باطن يخالف العلم الظاهر وهذا النوع باطل.
فمن ادعى علما باطنا اوعلما بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطـيئا اما ملحدا زنديقـا واما جاهلا ضالا...
والثانـى : باطن لا يخالف العلم الظاهر فهو بمنزلة العلم الظاهـــر قد يكون حقا وقد يكون باطلا فان علم انه حق قبل ، وان علـــم انه باطل رد والا امسك عنـــه...
ثم بين رحمه الله : ان النوع الاول يوجد كثيرا فى كلام القرامطـــة والفلاسفة المخالفين للمسلمين فى اصول دينهم.
واما النوع الثانى فهو الذى يشتبه كثيرا على بعض الناس فان المعنى يكون صحيحا لدلالة الكتاب والسنة عليه الشأن فى كون اللفظ الـذى يذكرونه دل عليه وهذا قســـمان :
احدهما ان يقال : ان ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افـــــتراء على الله كمن قال ان المراد بقوله " .. تذبحوا بقرة " هى النفس وبقوله : " اذهب الى فرعـــون ... " هو القلب .. الخ.
والقسم الثانى : ان يجعل ذلك من باب الاعـتبار والقياس لا مـــن باب دلالة اللفظ فهو من نوع القياس فالذى تسميه الفقهـــــاء قياسا هو الذى تسمية الصوفية اشـارة وهذا ينقسم الـــــى : صحيح وباطل : وضرب لكل منهما امثلة فمن امثلة الصحيح قولـــه : " كذا من قال لا تدخل الملئكة بيتا فيه كلب ولا جنب " فاعتبر بذلـك ان القلب لا يدخله حقائق الايمان اذا كان فيه ما ينجسه من الكبر=

واعلم ان قله الصمت من العباد في هذا المقام انما هو من قلة العلم بالله وقلة الحياء منه فنقصت الخشية بقلة العلم فبقيت النفس حيه فاذا ذكر القلبُ والسرُّ اللهَ تحدثت النفس مع خواطرها واقبلت على غيره . ولو كان السر عالما بقدر معرف المذكور الذى هو قائم بين يديه وحاضر معه لا ستحيا ان يتحدث مع غيره وصمت بالادب بين يديه كما يصمت بين يدى ملك من ملوك الدنيا حياء منه وخشية كما يصنع اهل الخشية والحياء مع الله في مقام الحضور الاحسانى فقد ورد في الخبر :

" ما تجلى الله لشىء الا خشع له "(١)

وقد ورد في صفة قوم في الاثار وصفوا فيها بالخشية والصمت في هذا المقام فقال في بعضها :

انهم قوم اسكتتهم خشية الله وانهم لهم الفصحاء البلغاء وهؤلاء هم الذين اتصفوا بالعي بين يدى مليكهم فتعايا السنتهم وجميعهم بالادب انصاتا للحكيم العليم واستماعا له وكذلك احوالهم في جميع المقامات الم تسمع الى وصف (٢) النبى عليه السلام للمحب في مقام الحب :

= والحسد فقد اصاب ...

والمؤلف في غالب ما يورده من الاشارات هو من هذا القسم الاخير الذى هو من باب الاعتبار والقياس .

وكلام ابن تيمية رحمة الله هنا مقياس دقيق نستطيع ان نعرف به مقبول كلام المتصوفة من مردوده .

(١) في خ : خضع له بدل : خشع له وقد تقدم تخريج هذا الحديث في اول الكتاب ص٧٦ .

(٢) في أ : الى قول النبى .

" حبك الشيء يعمي ويصـــم "(١)

وهذا هو وصف الصامت ؛ بالحقيقة لانه اذا اقبل على محبوبه ولم يسمـع الى سواه فقد صمت عن الحديث مع غيره •

ولعل معترضا يعترض فيقول : ان النبي عليه السلام كان يسهو فـــي الصلاة " فنقول :) ينسى ليسن (٢) فشتان ما بين الحالتين ونسيـان النبي صلى الله عليه وسلم انما كان حضورا لان قوة عينة كانت فـــي الصلاة فقد يكون النسيان لاركان الصلاة وهيئتها من كثرة الحضور مـع الله والاقبال على كلامه والتفهم وقد وصل كثير من التابعين والمتاخرين في هذا المقام الى حد عظيم من النسيان للخلق • فكيف بالمصطفى عليه السلام الذي لا يقربه شيطان ولا يحضرة ولا يحضر مكانا فيه شيطان • ولقد كان الشيطان يفرق من ظل عمر ويخافه ويسلك فجـا غير فجه اذا رآه

---

(١) اخرجه احمد في المسند ٦/٤٥٠ واخرجه ابو داود في كتاب الادب رقـم الحديث ٥١٣٠ باب في الهوى قال المنذري : في اسناده بقية بن الوليـد وابو بكر بكير بن عبد الله بن ابي مريم الغساني وفي كل واحد منهمـــا وقال ، وروى عن بلال عن ابيه •• ولم يرفعه
راجع مختصر سنن ابي داود ج ٨ ص ٣١•
وقال ابن حجر في معنى هذا الحديث :
انه خبر يراد به النهي عن اتباع الهوى فانه من يفعل ذلك لا يبصـــــر قبيح ما يفعله ولا يسمع نصح من يرشده وانما يقع ذلك لمن لم يفتقـــــد احوال نفسه • والله اعلم •
راجع اجوبة الحافظ بن حجر العسقلاني عن احاديث المصابيح مذيـــــل باخره مشكاة المصابيح ص ١٧٨٥•

(٢) حديث اني لأنسَى اوانسَّى لا سن ، ذكره مالك في الموطأ : انظــــر شرح الزرقاني على المــــوطأ ج ١ ص ٢٠٥ رقم الحديـــث : ٢٢١/ / وقال في الشرح : قال ابن عبد البر لا اعلم هذا الحديث روى عـــــن ==

فكيف بالنبي عليه السلام .

فالحضور في مقام الاحسان في صلاة او غيرها لا يصح الا بالصمت الروحاني وقطع الاصوات الخفية لان الاصوات مشوشة مشغلة وحينئذ اذا انقطعت فيكون متى نظر الى الوجود كله رآه صامتا بين يدى مليكه لايقبل (١) على احد بالكلام معه (والحديث) (٢) لا ينطق الا بلسان الحال الذى هو افصح من لسان المقال ولسان الحال صاحبة صامت لا يتكلم بلسان المقال (٣) الا مع مكلمه اذا امره سبحانه واذا (٤) انطقه فكذلك ينبغي ان يكون العبد في مقام الاحسان واحدا من تلك المخلوقات الصامته فمتى التفت الى مخلوق منها الى جانبه او الى اى مكان نظر ظاهرا وباطنا راه صامتا وقال له صمته بلسان الحال : اصمت كصمتى بين يدى مليكك فهناك ناطقته البرايا كلها وهى صامتة (فعلمته) (٥) وتأدب بها وكان كاحدها وحصل له مقام الصمت

= رسول الله صلى الله عليه وسلم مسندا ولا مقطوعا من غير هذا الوجه وهو احد الاحاديث الاربعة التى في الموطأ التى لا توجد في غيره مسندة ولا مرسلة ومعناه صحيح في الاصول اهـ.

وقد ذكر في فتح الباري ما يجوز على الرسول صلى الله عليه وسلم من النسيان ثم ذكر ان بعض الاصوليين وبعض الصوفية يزعم انه لا يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم نسيان اصلا وانما يقع منه صورته ليسن . راجع فتح الباري ج ١ ص٨٦ .

(١) في ت : ولا يقبل .

(٢) كلمة " والحديث " وردت في ظ ، خ ، أ .

(٣) جملة : ولسان الحال صاحبه صامت لا يتكلم بلسان المقال لم ترد في خ .

(٤) في خ : او اذا .

(٥) هذه الكلمة غير واضحة في جميع النسخ فيحتمل كونها هكذا ويحتمل غير ذلك .

الدائم فاستوى عنده الحضر والبادية والخلأ والملأ لانه لا يجد في العالم موضعا ليس فيه مخلوق ولا يجد موضعا خاليا من الخلق بوجه ولا مغرز ابره فان الهواء اعظم المخلوقات الذى يتوهمه الناس خلاء والمخلوقات كلها كما تقدم صامته متكلمة بلسان الحال للناظر فيها معلمة له الصمت فلا يرى خلقا الا هكذا ولا يرى في كل شئ الا الله بالدلالات عليه ولا يسمع الا التنبيه عليه والاشارة بالادب والصمت بين يديه ولا يرى الا المسبحين له بلسان الحال الذاكرين له الساجدين له القانتين الخاشعين الصامتين بالهيبة فلو وقع بصره على ما وقع في هذا المقام في اى مكان لم ير الا حاضرا متعبدا له بالاحوال الشريفة متأدبا بالصمت في مقام الحضور وقد عبر سهل بن عبد الله رضى الله (١) عنه عن حاله الكريمة في هذا المقام فانه كان اماما عظيما وصديقا عليما نفعنا الله في الدنيا والاخره بحبه وحب امثاله آمين فقال رضى الله عنه :

" ان لى اربعين سنة اكلم الله والناس يظنون انى اكلمهم "

وانما كان هذا لانه تحقق في مقام الصمت وثبت فيه ورسخت قدمه فيه فلم يزل عنه .

نسأل الله الكريم ان يلحقنا بعبادة الصالحين ولا يجعل حظنا من اوصافهم وصفهم .

آمين وصلى الله على محمد واله وسلم .

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٩ .

الشعبة السادسة والعشرون : الغيـــرة :

أما كونها من الايمان فقد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليـه وسلـــم قال :

" ان الله تعالى يغـــار وان المؤمن يغار "(١)

فنسـب الغيرة الى الايمان بقوله :

" وأن المؤمن يغـــار "

وروى مسلم والبخارى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى اللـــــه عليه وسلم :

" استمعوا ما يقول سيدكم ـ يعنى سعد بن عبادة ـ قالها للانصـــار فى قصة ذكرها سعد فيمن وجد مع امرأته رجـــــلا :

انه لغيور وانا اغير منه والله أغير منى "(٢)

فجعل الغيره من صفات الله وصفات رسوله (٣) وصفات المؤمنين والاخبار فيها كثيرة (٤) •

واعلم ان الغيرة على معنيين ظاهر وباطن

---

(١) رواه مسلم فى كتاب التوبة باب غيرة الله تعالى رقم الحديث ٢٧٦١ ، والترمذى فى كتاب الرضاع باب ما جاء فى الغيرة رقم الحديث ١١٦٨ • ورواه البخارى ايضا فى كتاب النكاح باب الغيره رقم الحديـــــث ٥٢٢٣ لكن ليس فى روايته " وان المؤمن يغار " وهو موضع استشهـاد المؤلـــف•

(٢) رواه البخارى فى كتاب التوحيد باب قول النبى "ص" لا شخص اغيـــر من الله رقم الحديث ٧٤١٦ عن المغيرة ورواه مسلم فى كتاب اللعـان رقم الحديث ١٤٩٨ •

(٣) فى ظ ، ت : من صفات الله ورسوله •

(٤) فى ظ خ : والاخبار فى هذا كثيرة •

فأما الظاهر منها فالغيرة على الحريم وهى على نوعين : محمود ومذموم

فالمحمود منها الغيرة فى الريبة وسد الذرايع الموجبه للريبه فان ذلك يؤدى الى العفة عن المحرمات ولذلك ورد فى الديوث من الشدة ما ورد لفقد الغيرة منه •

وتفسير معنى الغيره هو : كراهة مشاركة الغير •

واما المذموم منها فالغيرة فى غير ريبة ومن الناس من يقوى فيه هذا حتى يكون بلاء على اهله ويلهمهم ما لم يكن اهله يعرفونه •

روى جابر بن عتيك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة واما التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة (١) والفرق بين الغيرة والمذمومة والمحموده •

ان المحمودة : حفظ الحريم فن اسباب (التبرج) (٢) والخروج بالثياب المزينة الى المواضع التى فيها ينظر الى المرأة فتميل النفوس اليها وتميل هى بتزينها وتطيبها ومشيها •

هذه كلها اسباب مذمومة والمنع من هذا حسن محمود وورد فى وصفهن فى الحديث :

---

(١) رواه الدارمى ج ٢ فى كتاب النكاح باب فى الغيرة ص ١٤٩ • ورواه احمد ٥/٤٤٥ .

(٢) فى ع : التهوج •

" نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدت ريحها وان يرحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام "(١)

ومن اجل ذلك حرم الحمام على المرأة الا لمريضة اونفساء لانها تهتك سترها بانكشافها في غير منزلها •

واما خرجت المرأة فيما لا بد لها منه من حوائجها متبذلة مختصرة الثياب مختفية في مشيها فقد ابلح الشرع ذلك •

روت عائشة رضي الله عنها قالت : (خرجت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بعدما ضرب علينا الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة تفرع النساء (طولا) (٢) لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا سوده اما والله ما تخفين علينا فانظرى كيف تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول الله في بيتي وانه ليتعشى وفي يده عرق (٣) فدخلت فقال يا رسول الله انى خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت : فأوحى اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال :

---

(١) بعض من حديث رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة باب النساء الكاسيات رقم الحديث العام ٢١٢٨ " فيه قال : من مسيرة كذا وكذا •
ورواه الموطأ في كتاب اللباس باب ما يكره للنساء لبسه من الثياب رقم الحديث في شرح الزرقاني ١٧٥٩ جـ ٤ •

(٢) كلمة طولا وردت في أ ، خ ، ت : وهي في رواية مسلم تفرع النساء جسما ومعنى تفرع النساء : اى تطولهن والفارع هو المرتفع العالي •

(٣) العرق : هو العظم الذي عليه بقية لحم •

" انه قد اذن لكن ان تخرجن لحاجتكن "(١)

وفي الحديث :

" نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يتفقهن في الدين "(٢) .

وقد اذن للمرأة ان تسأل عن دينها اذا لم يكن من يغنيها وابيح لهن (٣) الخروج الى الصلاة في المساجد والى المصلى في الاعياد ولكن على شرط ما وصفه الله في قوله تعالى :

" يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين ..."(٤)

فأمرهن بالتستر بالجلابيب وان لا يعرضن بانفسهن لان يعرفن والله يعلم المفسد من المصلح .

وقالت عائشة رضي الله عنها :

يرحم الله نساء (٥) المهاجرات (الاول) (٦) لما نزلت :وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها وقالت :

---

(١) رواه مسلم في صحيحة في كتاب السلام باب اباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الانسان رقم الحديث العام ٢١٧٠.

(٢) رواه البخاري من قول عائشة رضي الله عنها في كتاب العلم : في باب "٥٠" الحياء في العلم وكذا مسلم في كتاب الحيض رقم الحديث الخاص ٦١ .

(٣) في ظ ، ت : وابيح لها .

(٤) سورة الاحزاب اية ٥٩ .

(٥) في ع : الاولى وهو خطأ .

آخذن ازرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمزن (١) بها (٢) •

واما الباطن فعلى ضربين :

ضرب في مقام الايمان وضرب في مقام الاحسان •

فاما الضرب الاول في مقام الايمان وعالم النفس فان النفس الامارة (٣) بالسوء مؤنثة مطبوعة على اكثر معاني النساء واذا لم يكن لها عقل زاجر طلبت التبني بمحاسنها والتزين بصفاتها وأفعالها والركون الى ابليس قرينها فاصطحبت معه وقبلت وحيه فكانت عيبه (٤) سره ومعدن وحيه كالمرأة السوء التي لا يقدر زوجها على حبسها اذا كان قليل الغيرة وكانت اقوى منه فتكون هي المالكة له يفعل (٥) ما تهوى وهو المملوك يجري في اغراضها ولا يقدر على ردها ، وهذه صفة النفوس الردية الغالبة للعقول الضعيفة وقد نبه النبي عليه السلام على هذا المعنى في قوله :

---

(١) في ع : فاحتزمن وهو خطأ والصواب اختمرن كما في بقية النسخ وكما عند البخاري •

(٢) ورد في البخاري في كتاب التفسير ، تفسير سورة النور : باب ١٢ : وليضربن بخمرهن ، رقم الحديث ٤٧٥٨ ، ٤٧٥٩ •

(٣) في ظ خ : فان النفس امارة بالسوء •

(٤) قال في القاموس : العيبة : ما يجعل فيه الثياب ، وقال في تهذيب اللغة : العرب تكنى عن الصدور التي تحتوي على الضمائر المخفاة بالعياب وذلك ان الرجل انما يضع في عيبته حرمتاعه وثيابه ويكتم في صدره اخص اسراره التي لا يحب شيوعها ••

(٥) في أ ، ظ ، خ : تفعل ما تهوى •

" الهوى والشهوة يغلبان العقل والعلم والبيان "(١)

فأهل القوة العارفون بركاكة النفوس غارت عقولهم لله على نفوسهم فملكتها العقول بزمام القهر وساستها بسياسة الحفظ فكانت النفوس مملوكة والعقول مالكة قائمة عليها بما امر الشرع القيام به قال الله تعالى :

" الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ٠٠ "(٢)

وقد ور في الخبر عن النبي عليه السلام في شرف العقل ما يؤيد هذا المعنى فقال في خبر طويل يذكر فيه شرف العقل :

" لكل قوم راع وراعي العابدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل "(٣)

فهذه رعاية باطنه للنفوس وادواتها (٤) وبيوت غايبة تحفظها العقول برعايتها لان قوله عليه السلام :

" لكل قوم راع "

---

(١) لم اجده في الكتب السنة ٠

(٢) سورة النساء من اية ٣٤٠

(٣) لم يرد هذا الحديث في شيء من كتب الصحاح واستشهد به الغزالي في الاحياء في الباب السابع في العقل وشرفه ٠٠ عن ابن عباس ، وقال العراقي في تخريجه له : اخرجه ابن المجبر وعنه الحارث وفيه : لكل قوم داع وداعي العابدين بدل قول المؤلف راع وراعي العابدين راجع الاحياء ج ١ ص ٨٤٠

وقد نبه ابن القيم في كتابه المنار المنيف في الصحيح والضعيف على امور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعا وقال : ومنها : احاديث العقل كلها كذب ٠٠ ص ٥٠ ، ٦٦٠

(٤) في خ : وذواتها ٠

فذعم به الرعاية الجسمانية كلها فى حق كل أحد

وقوله : لكل اهل بيت قيم عام ايضا فى البيوت الظاهرة كلها التى تسكنها الاجساد فاذا غار العقل لله تعالى على نفسه وحمل النفس ، على ما امر به كانت النفس صالحة قانته حافظة للغيب لأنها ساكنة فى الغيب بما حفظ الله فلم يصدر منها الا بما يحب الله وتقوى هذه الغيرة فى العارفين وتتحكم هذه الرعاية فيهم فمنهم من يغار ان يخرج نفس من انفاسه لغير الله تعالى اولغير ذكر الله لانه ورد فى الخبر :

" ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة فى يوم القيامة "(١)

فكيف اذا كانت فى معاصى الله ، فأهل العقل غاروا على اعمارهم ان تمضى ضايعة فى غير طاعة الله او خالية من ذكر الله فيخسرون مالا درك له ولا خلف منه (٢) وهذه غيره يالها من غيرة لا توجد الا فى الذكور من الرجال وفيهم تحققت صفات الرجولية (٣) كما اثنى الله عز وجل عليهم فى قوله :

" رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار "(٤)

---

(١) اخرجه احمد فى مسنده ج ٢ / ٤٦٣ ، ٤٩٥ وخرجه صاحب الفتح الربانى فقال : صححه المنذرى والحاكم واقره الذهبى ج ١٩ ص١٦٦.

(٢) لم ترد كلمة "منه" فى خ .

(٣) فى ظ : الرجوله ، وفى تهذيب اللغة ... رجل بين الرجولة والرجولية .

(٤) سورة النور الاية ٣٧.

وقد اثنى الله تعالى عليهم ايضا بالرجولية فى آية أخرى فقال :

" ... رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ...(١) الى اخـــــر المعـــنى (٢)

ولعمرى (٣) ان الرجل لتشيب عارضاه وما يستحق الثناء بالرجوليـــه لظهور النفس عليهم وقلة الروحانية العقلية فيهم .

اللهم فهمنا عنك ووفقنا للعمل يا اكرم الاكرمــين .

واما الضرب الاخر فى الباطن من الغيرة فى مقام الاحسان فهو مقـــام من المعرفة يغارون عليه منه ، وهو مقام شريف لا يتكلم فيه الا الصديقون والمقربون ومن ذلك قول ابى يزيد البسطامى (٤) رضى الله عنـــــه

---

(١) سورة الاحزاب من اية (٢٣) .

(٢) فى خ : الى اخر الاية .

(٣) أراد بكلمة " العمرى " القسم وهذا يناقض النصوص الوارده فـــــى منع ان يحلف المخلوق بغير الله تعالى وذلك لان الحلف بشـــــى' يقتضى تعظيمه والعظمة فى الحقيقة انما هى لله وحده ...
انظر فتح البارى ج ١١ ص ٥٣١ وتفسير فتح القدير للشوكانى ج ٣ تفسير سورة الحجر عند تفسيره لاية ٧٢ قوله تعالى : (لعمرك انهم لفـــى سكرتهم يعمهون) . وانظر ما تقدم ص ٢٨٧

(٤) ابو يزيد البسطامى هو طيفور بن عيسى بن شروشان البسطانى كـــان جده مجوسيا ثم اسلم انكر عليه اهل بسطام ما كان يقول به التصـــوف فأخرجوه من بسطام وغاب عنها مدة ثم رجع بعد موت واليها الــــذى اخرجه وقد ترجم له الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود الشريف فى دراستهما لكتاب عوارف المعارف للسهروردى ثم قالا : وقد يتسأل انسان وما الـــرأى اذن فيما روى عنه اى عن البسطامى ــ من اقوال لا تنسجم مع معروف المسلمين ؟ والواقع اننا كتبنا ما كتبنا ونحن على علم بما روى عنه فى ذلك ولا نريد ان ندخل فى جدال لا ينتهــى .. الخ .
راجع ترجمته فى الحلية ج ١٠ ص ٣٣ القشيرية ج ١ ص ١٠٠ .
صفة الصفوة ج ٤ ص ١٠٧ عـــوارف المعارف تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود الشريف ج ١ ص ١٠٢ .
وأنظر اللمع للطوسى : ص ٤٥٩ .

حين سأله يحى بن معـــا ذ :

هلا سألته المعرفة به ؟ فقال له : ويحك غرت عليه من ان يعرفـــه سواه " (١)

وغير ذلك من الاحوال التى لا يصلح كشفها من اسرار المعرفة التى امـــر بصيانتها وسترها فى مقام الاحسان عن جميع الحدثان٠

ومن ذلك غيرة الصديقين على كتـمان السرائر عن غير اهلها وصـــون المكنون المصون عن اضاعته وهم اهل الكشوفات والكرامات كما قـــال بعض اهل المعرفة :

" لا يطلع على سراير الملك الا الامين "

لان كشفها لغير اهلها اضاعة فالغيرة عليها وصيانتها كصيانة الحريـــم من صفات الرجال ٠ واهلها من قرب من مقاماتهم اوكان منهم فكمـــا اباح الشرع رؤية القرابات بعضهم لبعض ولا يحل ستر الحريم عنهـــم كالاخ مع اخته وامه وبنته والعم وغير ذلك فكذلك ايضا هذه القرابـــه الاخـــرى٠

وقد امر النبى عليه السلام بهذا فى قوله :

" لا تؤتوا الحكمة غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم " (٢)

---

(١) انظر لهذه الحكاية الصوفية بكا فى الاحياء ج ٤ ص ٣٥٦ وفيهـــا : غرت عليه منى ٠٠٠

(٢) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء وقال رواه ابن عساكر عن ابن عباس بن مريـــم قام فى بنى اسرائيل فقال يا معشر الحواريين لا تحدثوا بالحكمة غير اهلهـــا فتظلموها ٠٠٠ والامور ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه ٠٠ ج ٢ ٣٧٣ رقـــم الحـــديث ٣١٢٤٠

وقد ذكر فى مشكاة المصابيح الشطر الاخر منه عن ابن عباس قال رسول اللــه ج ١ رقم الحديث ١٨٣ وخرجه الالبانى بما فيه الكفاية فيراجع٠

لان للصديقين مع الله اسرار وكشوفات لا تحتملها عقول اكثر الخلق (١)

كما قال النبي عليه السلام :

" لا تحدثوا (٢) الناس بما لا تدركه عقولهم اتحبون ان يكذب

الله ورسوله ؟ " (٣)

وذكر بعض من ينتمي الى المحبة مقاما عنها عند بعض الاشياخ فقال

له بعد كلام طويل :

---

(١) في ظ : اسرار لو كشفوها لم تحملها عقول اكثر الخلق .

(٢) في خ : لا تكلموا .

(٣) رواه البخاري في صحيحة موقوفا على علي رضي الله عنه وهو بلفظ :

حدثوا الناس بما يعرفون ، اتحبون ان يكذب الله ورسوله ؟

كتاب العلم باب ٤٩ رقم الحديث ١٢٧ .

وقال العراقي في تخريجه له ضمن احاديث الاحياء :

رفعه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق ابي نعيم

وقال ابن حجر في شرحه له في فتح الباري ج ١ ص ٢٢٥ :

فيه دليل على ان المتشابه لا ينبغي ان يذكر عند العامة ومثله قول ابن

مسعود : " ما انت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان

لبعضهم فتنة " رواه مسلم .

وممن كره التحديث ببعض دون بعض : احمد في الاحاديث التي

ظاهرها الخروج على السلطان .

ومالك : في احاديث الصفات ، وابو يوسف في الغرائب .. الى ان قال :

وضابط ذلك : ان يكون ظاهر الحديث يقوى البدعة وظاهرة في الاصل

غير مراد فالامساك عنه عند من يخشى عليه الاخذ بظاهرة مطلوب .

والله اعلم .

(هل رأيتــه فى ليلة (مرة او[1]) مرتين او ثلاثا ؟ فقال : لا ، فقــال : لولا انـى استحى لاخبرتك ان محبتك معلولة تهتم بسوى حبيبك ولا تـــراه فى ليلك : ثم قال : لكنى لا ادعى محبته وعلى ذلك ما اهتممت بســـواه منذ عرفته وربما رأيته فى ليلة سبع مرات)

وقال بعض الابـــدال :(٢)

" رايت الله مائة وعشرين مرة وسألته عن سبعين (٣) مسأله اظهــرت منها اربعة فانكرها الناس (٤) على فاخفيت الباقى "(٥)

---

(١) كلمة " مرة او " وردت فى خ •

(٢) تقدم الكلام على حديث الابدال وانه ضعيف •راجع ص ٤١٦

(٣) فى أ : ظ تسعـــين•

(٤) فى خ : فانكرها نـــاس•

(٥) هذا الاثر والذى قبله من الاثار الصوفية التى شوه المؤلف بها كتابـــه حيث انها ظاهرة البطلان فلا تعقل ولا تصدق لما فيها من معارضـــة الكتاب والسنة وقد قال ابن القيم رحمه الله :

لا يصح لاحد فى الدنيا مقام المشاهدة ابدا وان هذا من اوهـــام القوم وترهاتهم وانما غاية ما يصل اليه العبد : الشواهد ، ولا سبيـل لاحد قط فى الدنيا الى مشاهدة الحق سبحانه وانما وصوله الى شواهـد الحق ومن زعم غير هذا فلغلبة الوهم عليه وحسن ظنه بترهات القـــوم وخيالاتهـــم •••

ثـــم قال :

ولا ريب ان القلوب تشاهد انواراً بحسب استعدادها تقوى تارة وتضعـــف اخـــرى ولكن تلك انوار الاعمال والايمان والمعارف وصفاء البواطـــــن والاسرار لا انها انوار الذات المقدسة فان الجبل لم يثبت لليسير مـــن ذلك النور حتى تدكدك وخر الكليم صعقا مع عدم تجليه له فما الظن بغيره ؟

راجع مدارج السالكين للامام ابن القيم جـ ٣ ص ٦٦•

فلأجل هذا كانت غيرة اهل الكمال ونجلهم بالاسرار لئلا تظهر للاجانب (١) لاعلى الاهل لها والاقارب.

واعلم ان الولى من العامة هو الحريص على اخبار الاولياء الذى اذا سمع حقا لهم لم ينكره ولا يعترض (٢) عليه بقول ولا عقد بل يحرص عليه وتموت نفسه شوقا بالكمد اليه.

والولى من الخاصة :

الذى يفيد ويستفيد ، ويجد فى احواله (وعلومه وكراماته)(٣) الزيادة والمزيد . اللهم ارزقنا حبك وحبهم واعطنا مما اعطيتهم يا كريم .

واما غيره البارى سبحانه فقد فسرها النبى عليه السلام فى قوله :

" ان الله تبارك وتعالى يغار وغيرة الله (ان ياتى)(٤) المؤمن ما حرم الله عليه "(٥)

ومن غيرة الحق سبحانة :

حجابة الاجانب والاباعد عن مواطن القرب منه قال الله تعالى :

" واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا "(٦)

---

(١) فى ظ : للاجانب .
(٢) فى خ : لم ينكره ولم يعترض.
(٣) فى ع : وعلوماته وكرامته .
(٤) هكذا وردت فى : ظ ، وبقية النسخ " ان لايأتى " وقد جاءت بحذف " لا " فى اكثر الروايات كما عند البخارى ومسلم ، ووردت بعض الروايات باثبات : " لا " .

انظر فتح البارى جـ ٩ ص ٣٢٣ وتوجيهه للمعنى عند من اثبتها .
(٥) تقدم هذا الحديث فى اول هذه الشعبة وهو الحديث رقم ٥٢٢٣ عند البخارى .
(٦) سوره الاسراء آيه ٤٥

قال سرى السقطى (١) :

هذا حجاب الغيرة فلا احد اغير من الله .

ومن غيره الحق سبحانه على الاكابر انهم اذا ساكنوا شيئا سواه

او لاحظوا غيره شوش عليهم وامتحنهم حتى يصفى اسرارهم له كما فعل

بيوسف عليه السلام حين قال للذى ظن انه ناج منهما :

" ... اذكرنى عند ربك ..." (٢) .

ان عند ملك مصر فلبث فى السجن بضع سنين من اجل ذلك

وآدم عليه السلام لما وطنت نفسه على الخلود فى الجنة والطمأنينة بها

اخرج منها .

وابراهيم عليه السلام لما اعجبه اسماعيل ابنه امر بذبحه .

وقال بعض المشايخ :

رأيت بعض الاولياء بفرد عين فسألته فقال :

نظرة مرة الى شاب نظرة بعينى فاذا كف من الهوى قد لطمنى فطارت

عينى كما ترى فسمعت صوتا يقول (نظرة بلطمة) وان زدت زدناك

وانما هذا من اجل كبر اقدارهم عنده ولو ان اقرب الناس اليك واحبهم

عندك من ولد صغير او ما اشبهه رايته يفعل بنفسه فعلا يضره ويهلكه

لغارت نفسك عليه وضربته واغلظت له فى القول لانه عز عليك هلاكه

---

(١) هو السرى بن مغلس السقطى تلميذ معروف الكرخى وهو خال الجنيد
اشتهر بخصائص ثلاث : طيب الغذاء وتصفية القوت وشدة الورع وكان
يسميه الامام احمد(الشيخ الذى يعرف بطيب الغذاء) اول من كلم فى
احوال الصوفية فى بغداد مات سنة ٢٥٣ هـ .
انظر ترجمته فى الحلية جـ ١٠ ص ١١٦ وصفة الصفوة ٢ / ٣٧١ .
الاعلام للزركلى جـ ٣ ص ١٢٩ ط ٣ .

(٢) سورة يوسف من اية ٤٢ .

وضره فما لنا لا نغار على انفسنا التي هي اعز الاشياء علينا ونمنعهـــا من مواطن الهلاك الابدى ، ما هذا الا من ضعف غيرة الايمان فينـــا وقلتهـــا عندنا ٠

والغيرة اذا اعتبرتها وجدتها عامـــة في جميع العوالم ومقامات الاســـلام والايمان والاحسان كلها وفي جميع الاشياء لانها شعبة عظيمة مـــــن شعب الايمان هي باقية في الدنيا والاخرة فان الملك الكريم جبريـــل عليه السلام حين رمى بالطين في فم فرعون وهو قد غرق حين اراد ان يقول كلمة التوحيد انما فعل ذلك غيرة لله من اجل تمرده على اللـــه وكذلك غضب جهنم وتميـزها من الغيظ انما ذلك غيرة لله علـــــى العصاة له وكذلك الزبانية فيهـــا ٠

وكذلك ورد ان الارض تستأذن والسما (١) ان يخسف بمن عليهـــا او ترميهم بعذاب من فوقهم انما ذلك (٢) غيرة لله وكذلك في الجنـــة الغيرة باقية فيها فان كل احد في ملكه قد حجبه عن غيره غيـــرة عليه فافهم قدر هذه الشعبة وغر على نفسك لله تعالى لعل اللـــــه يغار لك (٣) فيحميك من كل مكروه من الله علينا وعليك بما من بـــه على اوليائه واصفيائـــه ٠

آمين وصلى الله على محمد وآله وسلـــم ٠

---

(١) في ظ ، خ ، ت : لتستأذن السماء ان تخســف٠

(٢) كلمة " انما ذلك " لم ترد في خ ٠

(٣) في خ : يغار عليــك٠

الشعبة السابعة والعشرون : ترك مالا يعني :

اما كونه من شعب الايمان فدليله الحديث المشهور :

" من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه "(١)

فجعل ترك مالا يعني حسن الاسلام وحسن الشيء بعضه ودليل الحديث : من قبح اسلام المرء اخذه فيما لا يعنيه •

فناهيك بهذه الشعبة شرفا اذ حسن الاسلام بوجودها فيه وقبح بفقدها منه •

وقيل للقمان الحكيم :

" ما بلغ بك ما نرى ؟ يريدون الفضل : قال لقمان : صدق الحديث ، واداء الامانه ، وترك (٢) مالا يعني " •

وتفسير ما لايعني هو : الفضول كله على اختلاف انواعه والناس يسمون من دخل فيما لا يعنيه فضوليا فمن اشتغل بما لا يعنيه بفضول فاته ما يعنيه •

فترك ما لا يعني هو الاشتغال بما امر العبد به والاقبال على ما يعود عليه نفعه ويثمر له فائدة في دنياه واخرته وترك خلافه •(٣)

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنه رقم الحديث ٣٩٩٦ •

ورواه الترمذي : في حديث ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ايضا من حديث : مالك بن انس عن الزهري عن علي بن حسين قال قال رسول الله ••• وهما في كتاب الزهد باب ١١ رقم ٢٣١٧ ، ٢٣١٨ واخرجه الموطأ في كتاب ٤٧ الخلق " هو حديث صحيح كما قال الالباني في الطحاوية ص ٢٦١ •

(٢) في ظ : ت : تركي وهو الصواب وانظر تنبيه الغافلين ص ٧٧ •

(٣) جملة وترك خلافه : لم ترد في خ •

وهذه صفة العاقل ، وضدها صفة الاحمق كما ورد في الحديث الطويـل الذى رواه ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه :

" وعلى العاقل ان تكون له ساعات ساعة يناجى فيها ربه عز وجـل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر في صنع الله عز وجل وساعـة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب ، وعلى العاقل ان لا يكـون ظاعنـا الا لثلاث تزود لميعاد (١) او مرمة لمعاش (٢) اولذه فـى غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيـرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظـا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه "(٣) .

فالمشتغل بما لا يعنيه اسمه في لسان العلم المتكلف وقد امـر اللـه نبيه الا يكون من المتكلفين فقال له :

" . قل ما سألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفـين "(٤)

فما لا يعنى هو مالا يعود فيه فائدة في دنيا او اخرة ومن اشتغل بما لا يعود عليه فيه فائدة فقد ظهر سفهه وقبح حاله واعلم ان تـــرك مالا يعنى على ضربين

ظاهرة (٥) : في عالم الجسد ومقام الاســلام .

وباطـــن : وهو على ضربـــين .

---

(١) في ظ ، خ : لمعاد وفي ت : لماده .

(٢) في ظ ، خ ت : لمعاشه .

(٣) الحديث رواه بطوله ابو نعيم في الحلية في ترجمته لابى ذر رضى اللـه عنه جـ ١ ص ١٦٧ . وأخرج قوله " ومن حسب كلام .. الخ السيوطـى في الجامع الصغير ورمز له بالضعف .

(٤) سورة ص اية ٨٦ .

(٥) في ب : ضرب ظاهــر .

ضرب في مقام الايمان وعالم النفس

وضرب في مقام الاحسان وعالم الروح كما ان الانسان ظاهر وباطن

وظاهر الانسان هو جسده وجوارحه • وباطنه هو نفسه وروحه وهو

على ثلاث (١) مقامات على عدد الذوات (الثلاث) (٢)

الجسد والنفس والروح •

فمن قعد بجسده مع البطالين وسمع كلامهم باذنه ونظر اليهم بعينه

وفاض معهم بلسانه ومشى اليهم برجله وامزج جوارحه في خوضهم

واشتغل بقيل وقال فقد عمر جوارحه بمالا يعنيه في مقام الاسلام

وتعدى ذلك الى قلبه في مقام الايمان فانه يفكر فيما تشتغل به

جوارحه والانفاس والساعات تمر عليه باطلا وربما جره ذلك الى ما يعنيه

تركه من المحرمات وترك الواجبات او نقصها وترك الفضايل والرغايب

والاعراض عن مراقبة الله وما يعنيه من مقامات الاحسان فيلقى المقت•

ومن خدعته نفسه بامانيها والشيطان واغفلته عن التأهب للاخرة

واطاعهما (٣) بالفكر في الاماني واودية الغرور (٤) فقد ترك ما يعنيه

واشتغل بما لا يعنيه ظاهرا وباطنا في المقامات الثلاث ومن شغل الباطن

بمالا يعني (٥) تعلم مالا يهم العبد من العلوم وتركه ما هو اهم به

كمن ترك تعلم العلم النافع الذي فيه اصلاح نفسه واخذ في تعلم

---

(١) في أ : ثلاثة •

(٢) كلمة " الثلاث " من ظ ، ت•

(٣) في ت : واطاعها وفي خ : واطلقها •

(٤) العبارة في ظ ، ت : بالفكر والاماني في اودية • وهو الاصح •

(٥) في ت : العبارة وردت هكذا : ومن ذلك شغل الباطن •••

ما يصلح به غيره فيشتغل بعلم مجادلات الناس وخصوماتهم وهو لم يحكم اصلاح نفسه بعد .

ويقول فى اعتذاره : نيتى بتعلم العلم نفع الناس به (١) ولو كان صادقا لاشتغل بالأهم فالأهم (٢) فاذا أصلح نفسه فحينئذ يطلب كيف يصلح غيره . واصلاح نفسه وأهله بعلم صلاح قلبه ورياضته على اخراج الصفات المذمومة المهلكة فى الآخرة مثل الحرص والحسد والحقد والرياء والكبر والعجب والترأس على الأقران والتطاول عليهم وأخواتها وجملتها (٣) تصل الى مائة صفة مهلكة واكثر (٤) ثم علم الصفات المنجية مثل الصبر والرجا والخوف والخشية والقناعة والزهد والرضى والمحبة والتواضع والتوكل والتوبة من القليل والكثير والمراقبة وغير ذلك من صفات القلب المنجية (٥) وجملتها أيضا تصل الى المائة وهذه الصفات المهلكة والمنجية هى كلها من نوع ما أخبر به النبى عليه السلام فى قوله (ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه .

---

(١) فى ظ : نيتى تعلم العلم ونفع الناس به .
وفى خ : نيتى أتعلم العلم وأنفع به الناس .

(٢) كلمة " فالأهم " لم ترد فى ت

(٣) كلمة " وأخواتها " لم ترد فى ع

(٤) كلمة واكثر" لم ترد فى خ

(٥) جملة (والمراقبة وغير ذلك من صفات القلب المنجية) لم ترد فى خ

وأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضى والغضب) (١) فالذي يشتغل بمالا يعنيه يترك باطنه مشحونا (٢) بالمهلكات خاليا من المنجيات ويطلب اصلاح (غيره) (٣) فيما يزعم ولو كان صادقا لاصلح نفسه . ثم يطلب صلاح غيره كما فعل العلماء الصادقون من السلف الصالح (٤) ولذلك ورد في الأثر :

(لا يفتي الناس الا أميرا ومأمور أو متكلف) (٥)

فالتارك للأهم عليه من العلوم وتعديه الى غيره مشتغل بمالا يعنيه وهذا اذا اعتبرته وجدته عاما في جميع الأحوال والأعمال والمقامات الثلاثة والذين اشتغلوا بما يعنيهم هم أهل الوقت كما قالوا : المريد الصادق هو ابن وقته فالمريد لله وللدار الآخرة رأى وقته كله (٦) ثلاث ساعات ساعة قد مضت عنه

---

(١) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٧٣ عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . الحديث " وأورده التبريزي في المشكاة في كتاب الأداب عن أبي هريره ان رسول الله " ص " قال . . . وقال أخرجه البيهقي في شعب الايمان وبين الألباني بأنه حسن لطرقه وشواهده .

انظر مشكاه المصابيح جـ٣ ص ١٤١٦ رقم الحديث ٥١٢٢

(٢) في ت : مشغولا

(٣) في ع : اصلاح نفسه فيما يزعم وهو خطأ وفي خ : اصلاح الناس فيما يزعم

(٤) كلمة " الصالح " لم تذكر في خ

(٥) أورده الدارمي في سننه عن حذيفة رضى الله عنه في المقدمة ص ٦١ — ٦٢ وذكره السيوطي في تحذير الخواص فقال : روى الطبراني عن عباده بن الصامت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : لا يقص الا أمير أو مأمور أو متكلف .

راجع تحذير الخواص ص ١٧٢ ، ١٧٣ تحقيق محمد الصباغ .

(٦) كلمة : كله لم ترد في ع

فى معصية وبطالة فيتوب المسى الله منها ويستغفر ويندم ويبكى عليهـــا ،
واما فى طاعة (١) فيشكر الله عليها ويسأله القبول لها ، وساعة هو فيهـــا
فيشتغل فيها بما يعود عليه فيها نفع فى دينه وآخرته .

ولا تخلو هذه الساعة من ثلاثة أحوال صالحة :
اما أن يكون فيها مشتغلا بعلم ينفعه ، أو عمل صالح بقربه الى الله او مباح
يستعين به على طاعة الله . وكل معين على الطاعة طاعة .

وقد انخدع اكثر الناس فى هذه الساعة من المباح فتراه اكثر النهار مشتغلا (٢)
بدنياه والحرص عليها وهو يقول انما اشتغل بهذا المباح ليعيننى على الآخرة
وهو مخدوع بطلب التكاثر والفضول لو عقـل .

والساعة الثالثة هى الآتية المستقبلة فالشغل بها والتدبير لها تضييـــع
للحاضرة .

فأما الصادقون المشتغلون بما يعنيهم فجعلوا الوقت كله لله مباحا كـــان
أو غيره ومن ذلك ما ورد عن مالك بن أنس رضى الله عنه :
أنه كان يسد اذنيه بالكرسف لئيلا يسمع كلام الناس فيحفظه فيشغله عما يعنيه
لأنـه رأى ذلك مما لا يعنيه وذلك لشدة حفظه .

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنـه ،
يضع حجرا فى فيه لئلا يتكلم بما لا يعنيه (٣)
والاثار عن الصادقين فى هـــذا المعنى أكثـــر (٤) من أن تحصـــى

(١) فى خ : وساعة فى طاعـة
(٢) فى ت : مشغولا
(٣) انظر الرساله القشيريه ج ١ ص ٣٨٠
(٤) فى خ : كثيرة اكثـــر

وايرادها يجر الى التطويل وغرضنا الاختصار والذى يبين لك هذا الباب ان كنت صادقا فى عزمك أن تنظر جوارحك وقلبك، فان كان كل واحد منهما معمورا بما يعود عليك (١) فيه (٢) فائدة فى دينك، وآخرتك، ودنياك المحمودة المعينة لك على الآخرة (٣) فأنت مشغول بما يعنيك .

وان كانت جوارحك وقلبك مشغولين (٤) بما لا يعود عليك فيه (٥) فائدة فى دينك، وآخرتك، ودنياك، المحمودة المعينة على الآخرة فأنت مشغول بما لا يعنيك .

وها أنا اذكر لك، صفة المشتغل بما يعنيه التارك لما لا يعنيه لتكون لك مرآة تنظر فيها نفسك، وهى صفة السلف الصالح رضى الله عنهم وذلك أن يكون العبد مقبلا على الخيرمجانبا للشر مسارعا لما أمر به وندب اليه اذا قدر عليه حزينا على ما فات بريا من التكلف مصليا للخمس (فى جماعة) (٦) اذا أمن الفتنة مجتنبا للغيبة ولذكر الناس طويل الصمت متفردا بحاله عن الناس تاركا للكثير من مجالستهم واجتماعهم خشية دخول الشبهات عليه وخوفا من تغير قلبه فمن اجتمعت فيه هذه الخصال (٧) فقد حسن

---

(١) فى ظ : يعود عليه ، وهو خطأ

(٢) فى ت : منه

(٣) جملة : المعينه لك على الآخرة لم ترد فى خ ، ت

(٤) فى ع : مشغولا

(٥) فى ظ ت : منه

(٦) هكذا ورد فى جميع النسخ ما عدا ع ففيها : فى جماعات

(٧) فى ظ : هذه الصفات .

اسلامه وتركه مالا يعنيه فاتخذها مرآة تنظر فيها نفسك وأما حقيقة شغل الباطن بما يعنيه فهو المعنى الذى وصفت عائشة رضى الله عنها به باطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت فى ذلك :

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) كثير التفكر فى تعرف الفانى من الباقى)) (٢)

فهذا الوصف غاية الكمال فى هذا الباب لا يشغل الباطن والظاهر الا بالذى هو أولى .

والفانى والباقى (الذين) (٣) ذكرتهما يحتمل معنيين :

المعنى الواحد : أن الباقى هو الله جل جلاله والفانى هو ما سواه فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتعرف صفات باريه من صفات مخلوقاته فيستدل بهذا على هذا وبهذا على هذا ، وهذه (٤) اعلى المراتب فى الشغل بما يعنى وهو مقام الاحسان ومقام الروح .

والمعنى الآخر : أن الآخرة بما فيها باقية الى الاباد (٥) والدنيا فانيه فكان يعتبر الدنيا وزوالها وكان يعتبر الآخرة وبقاها فيزهد فى الفانى ويحذره ويرغب فى الباقى ويشمر له .

وهذا مقام الايمان ومقام النفس فى الغيب فيحصل من هاتين الفكرتين : العلم بالله وأفعاله والعلم بالدار الآخره وفضيلتها وبقائها والعلم بالدار الدنيا وحقارتها وفنائها .

---

(١) سقط من ظ : قوله : (فقالت فى ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم)
(٢) لم أجده فى الكتب السته
(٣) فى ع : الذى
(٤) فى خ : وهذا
(٥) فى ظ ، خ : الى الأبد وفى ت : على الأبد

ومن كان هكذا كان صمته فكرة ونظره عبره وكلامه حكمة لعمارة قلبه بالأفكار والأذكار فمثل هذا القلب في القلوب كالبيت المعمور في البيوت الخالية (١) .

شغلنا الله واياك (٢) بما يعني عما لا يعني ،وأعاننا بتوفيقه على ذلك آمين وصلى الله على محمد واله وسلم تسليما .

---

(١) كلمة "الخالية" لم ترد في خ . ت .

(٢) في ت : واياكم

الشعبة الثامنة والعشرون : التقـــوى :

اما كون التقوى من الايمان فلا يحتاج الى استشهاد عليه لشهـــــرة ذلك وعن ابى سعيد الخدرى قال : جاء رجل الى النبى صلى اللـــه عليه وسلم فقال : يا نبى الله اوصنى فقال :

" عليك بتقوى الله فانه جماع كل خير "(١)

فوصف التقوى بانه اجتماع الخير.

وقال الله تبارك وتعالى :

" .. واتقوا الله ان كنتم مؤمنين "(٢)

فعلق الايمان بشرط التقوى كأنه لا يصح الا به

وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلـــم :

" من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن ويعلم من يعمل بهـــن قال ابو هريره قلت انا يا رسول اللـــه فاخذ بيدى فعد خمسا فقال : اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن اغنى النـــاس واحسن الى جارك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمـــا

---

(١) اخرجه احمد فى مسنده ج ٣ ص ٨٢ عن ابى سعيد الخدرى ان رجـــلا جاء فقال اوصنى فقال سألت عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليـــه وسلم من قبلـــك : اوصيك بتقوى الله فانه راس كل شئ .. الحديث وذكره السيوطى فى الجامع الصغير ورمز له بالضعف وقال المناوى : فـــى شرحه له : قال الهيثمى :
فيه ليث بن ابى سليم وهو مدلس وقد وثق وبقية رجاله ثقات .
راجع فيض القدير ج ٤ ص ٣٣٢ رقم الحديث ٥٤٩٥ .

(٢) سورة المائدة من اية ٥٧ .

ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب "(١)

فجعل اتقاء المحارم افضل جميع العبادات (٢)٠

والتقوى على معنيين : ظاهر وباطن

وهو على ثلاثة اصناف :

ضرب في مقام الاسلام والجسد

وضرب في مقام الايمان والدار الاخرة وعالم النفس

وضرب في مقام الاحسان ومقام الروح ٠

فقد عم المقامات كلها ٠

وقد اكثر الناس القول في حد التقوى :

والحقيقة فيه ان شاء الله ان التقوى :

تنزيه القلب عن الادناس وطهارة البدن من الاثام ٠

وان شئت قلت :

التقوى : التحرز والحذر من مواقعة المخالفات٠

وهو الذى شبه النبي عليه السلام التائب به في قوله :

" التائب من الذنب كمن لا ذنب له "(٣)

فالذى لا ذنب له هو المتقي وليس المشبه بالشيء كالمشبه به ، دليله :

---

(١) اخرجه احمد في المسند ج ٢ ص ٣١٠٠
واخرجه الترمذى في كتاب الزهد باب من اتقى المحارم فهو اعبد الناس
وقال ابو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث جعفر بن
سليمان والحسن لم يسمع عن ابي هريرة شيئا ٠٠ رقم الحديث ٢٣٠٥٠

(٢) في بقية النسخ افضل جميع العبادة ٠

(٣) اخرجه ابن ماجة في السنن في كتاب الزهد باب ذكر التوبة رقم
الحديث ٤٢٥٠ وقال محققه : ذكره صاحب الزوائد في زوائده وقال
اسناده صحيح ورجاله ثقات٠
وانظر تخريج العجلوني في كشف الخفاء له وما ذكره له من الشواهد
المجلد الاول ص ٢٩٦ رقم ٩٤٤٠

" ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء .. "(١)

ويقال ان هذه الاية هي مبكاة العابدين (٢) اذا وقفوا على معناها وتذكروا ما اصابوا من الذنوب ابكتهم .

وقال في اية اخرى :

" ... ام نجعل المتقين كالفجار "(٣)

وانما يتبين لك المتقي من غيره (٤) في مثل نضربه :

وذلك ان تفرض رجلين ولدا في الاسلام طاهرين نقيين فنشأ على طهارتهما ونقاوتهما الى حد اشرفا فيه على المخالفات والمحرمات .

فأما الواحد (٥) فبقي على حالته الاولى من التقى (٦) والبرآة من المعاصي باجتنابه لها اما كلها واما بعضها .

واما الثاني فواقع المحرمات وارتكب السيئات اما كلها واما بعضها فالباقي على حالته الاولى من الطهارة والبرآة من الاثام هو المتقي والمواقع لها هو الفاجر .

والراجع عن الذنوب هو التائب يسمى تايبا ولا يسمى متقيا الا فيما يجتنب في المستقبل وقوة فكل ذنب تركه العبد واجتنبه سمي (٧) متقيا فيه فان واقع ذنوبا ولم يواقع أُخر كان له من التقوى بقدر ما لم يواقع منها .

---

(١) سورة الجاثية آية ٢١ .
(٢) في بقية النسخ : للعابدين .
(٣) سورة ص من آية ٢٨ .
(٤) في ت : المتقي وغيره .
(٥) في ظ : فأما احدهما .
(٦) في أ : تقيا وفي ت : .. الاولى تقيا من المعاصي باجتنابه لها .
(٧) في خ : يسمى .

فالبراة والتحرز من مواقعة الذنوب هو التقوى كما يتحرز المتستر (١) بالاتقاء (٢) والمجن عن ان تصيبه الحجارة والسلاح الا ترى الى قول الله تعالى :

" واتقوا النار ...."(٣)

اى احترزوا منها بالتقوى لئيلا يصيبكم ويواقعكم عذابها . وكذلك قوله :

" واتقوا يوما لا تجزى نفس ..."(٤)

اي احترزوا منه ان يصيبكم ويواقعكم مكروه ذلك اليوم .

والتقوى عام فى كل شئ ظاهر فى امور الدين والدنيا وباطن بتقوى الموت وما بعده من امور الاخرة كلها وباطن ذلك كله وحقيقته تقوى الله فى مقام الاحسان فقد عم التقوى كل شئ فان كل طاعة لها نقيضها وتسمى معصية ظاهرا كانت الطاعة او باطنا فان الطاعة (٥) على نوعين : ظاهر ، وباطن

والمعاصي على نوعين :

ظاهر وباطن وهو الذى عنى الله عز وجل بقوله :

" وذروا ظاهر الاثم وباطنه ..."(٦)

فما من طاعة ظاهرة الا ولها ضد فى الظاهر وكذلك ايضا فى الباطن

---

(١) فى خ وردت الجملة هكذا : هو التقوى كالمتحرز والمستتر .

(٢) فى ظ : بالاتراس والمجن .. وهو الصواب .

(٣) سورة آل عمران من آية ١٣١ .

(٤) سورة البقرة من الآيتين : ٤٨ ، ١٢٣ .

(٥) فى ظ ، خ ، ت : فان الطاعات .

(٦) سورة الانعام آية ١٢٠ .

مثال ذلك الايمان ضده الكفر والاقرار بالتوحيد ضده الشرك والصلاة ضدها ترك الصلاة .. وهكذا الى آخر الطاعات كلها فمن اجتنب الاثام كلها فهو المتقى والذى هو به العبد (١) قلبه وجوارحه وهو سره وعلانيته وظاهره وباطنه .

والجوارح سبعة هى :

اليد والرجل والفرج والفم والعين والانف والاذن

وعلى كل جارحه ضرب من الاثام وهو ظاهر الاثم وفيه تنحصر المعاصى كلها وهى على نوعين :

احدهما : ارتكاب المعاصى كلها (التى) (٢) نص الشرع على تسميتها معصية .

والنوع الاخر : ترك فعل الطاعات التى نص الشرع على تسميتها (٣) طاعة لانه لا معصية اعظم من ترك الصلاة والزكاة او ترك طاعة امر العبد بفعلها .

ففى هذين النوعين تنحصر المعاصى كلها فمتى (٤) اجتنب وقوع المعاصى بجوارحه ولم يترك الطاعات فقد اتقى الله فى ظاهره .

وهذان النوعان الكلام فيهما يحتاج الى تفسير كثير وقد تكلم العلماء على ذلك فى جميع الكتب فى الحلال والحرام . فاغنى عن كلامنا نحن فيه ٥

---

(١) فى ع : والذى عسر به العبد .

(٢) فى ع الذى نص .

(٣) نقص من خ من قوله " معصية الى .. على تسميتها " .

(٤) فى أ ، ظ ، ت : فمن وهو اصح .

(٥) فى خ : .. المعاصى كلها فاذا ترك المعاصى بجوارحه ولم يترك ..

فان الفرج الذي هو احد الجوارح يتعلق به من المعاصي مثل الزنـــا وعمل قوم لوط ونكاح البهائم ونكاح اليد وقد ذكر في كتب الفقه مـــا يتعلق على من فعلها وكذلك يتعلق به من التحريم مثل ما حرم عليـــه من النساء نكاحهن مثل النسب والصهر والرضاع والخامسة (١) مع وجـــود الاربع والمطلقة ثالثة (٢) والامة مع وجود الطول للحرة وتعددهـــن يصل الى خمسين امرأة اونحوها فيما ذكر بعض اهل العلم وذلـــك موجود في كتب الفقه كالانكحة الفاسدة وما جرى مجراها من نكاح فـــي العدة وغيره .

وكذلك اليد يتعلق بها ايضا انواع كثيرة : كالسرقة والخيانة ومنـــع الزكاة والحقوق والضرب والقتل وغير ذلك مما يتعلق بجارحة اليد واحكامها في كتب الفقه ايضا كثيرة وهكذا كل جارحة يتـعلق بها جميع المعاصـي التي نهى الله عنها وترك جميع الطاعات التي امر الله بفعلها فمـــن اجتنب هذا فقد اتقى الله بظاهره (٣) وعلى قدر ما يقع فيه ينقصـــه من التقـــوى فافهـــم .

واما البـــاطنه فان المعاصي كلها انما تصدر عن فعل القلب وامـــرة وله ايضا[٤] معاص تنعقد وتتم في السر دون ظهورها على الجوارح كالاصرار واعتقاد ما لا يجب اعتقاده ، والرياء . وانواع المعاصي المنسوبة للقلـــب شهرتها تغني عن تفسيرها وهي على نوعين ايضا :

---

(١) في ظ ، ت : ونكاح الخامسة .

(٢) في ت خ : ثلاثا وهو اصح .

(٣) في خ : فقد اتقى بظاهرة .

(٤) كلمة " ايضا " لم تذكر في خ .

ترك فمن المحمود .

وارتكاب المذموم .

فمن اجتنب بقلبه المذموم كله ولم يترك المحمود فقد اتقى باطن الاثم كله وكان ممن وصف الله في هذه الاية :

" وذروا ظاهر الاثم وباطنه ..." (١)

وهو قسم الحرام كله الظاهر والباطن وكل ما ذكر في جميع كتب العلم والفقه من ابواب المحرمات والمكروهات لا تخلو عما ذكرناه في هذين القسمين الظاهرين والقسمين الباطنيين .

فمن عمل بهما فقد عمل ما ورد من العلم في ابواب المنهيات والمحرمات كلها ولذلك قال النبي عليه السلام لابي هريرة :

" اتق المحارم تكن اعبد الناس " (٢)

يعني : المحارم كلها .

وقال سهل رضي الله عنه :

" من اراد ان تصح له التقوى فليجتنب المعاصي كلها " (٣)

والتقوى انما تكون عن المعصية وعن المكروه المصرفان الطاعة لا يتقى منها ولا يتحرز (٤) ومما ورد في قوله :

" .. اتقوا الله حق تقاته .. " (٥) :

---

(١) سورة الانعام من اية ١٢٠ .

(٢) تقدم في اول هذه الشعبه .

(٣) الرسالة القشيرية ج ١ ص ٣٤٦ .

(٤) في ظ ، خ ، ت : ولا يتحذر .

(٥) سورة آل عمران من اية ١٠٢ .

ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفـــر

معناه : ان يحذر (١) ان ينقص من طاعته شيء او ان يعصى بالمخالفات او ان ينقص من ذكره او ان ينسى فلا يذكر او ان ينقص من شكره شـيء او ان يكــفر .

والنقصان من الطاعة ترك لبعضها والنقصان من الذكر ترك لبعضـــه والنقصان من الشكر ترك لبعضه ، وهذا هو المعنى الذى ذكرت لـــك فى التقوى قبل هـــذا .

واذا فهمت هذين المعنيين فقد فهمت التقوى بحقيقتـــها ان شـــاء الله وتفهم حقيقة معنى النجاة مع التقوى (٢) فى قوله تعالى :

" ثم ننجي الذين اتقوا .. " (٣)

لان النجاة انما تكون من العذاب والعذاب لا يكون الا على معصيـــة او ترك طاعة فمن لم يواقع منها شيئا صح له النجاة فافهم .

وبقدر ما يصح له من تقوى المعصية وتقوى ترك (٤) الطاعة يصح لـــه من النجاة (٥) فان الله بكرمه قد حكم الا يعذب الا من عصى .

واذا فهمت ما ذكرت لك تعلم معنى قوله تعالى

" ... ان اكرمكم عند الله اتقاكم ... " (٦)

---

(١) فى ظ ، خ ، ت : ان يتحذر .

(٢) جملة " مع التقوى " لم تذكر فى خ .

(٣) سورة مريم من اية ٧٢ .

(٤) كلمة " ترك " لم تذكر فى خ .

(٥) لعل صحة العبارة هكذا : وبقدر ما يصح له من تقوى ترك المعصيـــة وتقوى الطاعة .

(٦) سورة الحجرات من اية ١٣ .

وقوله :

" ... انما يتقبل الله من المتقـــين "(١)

وغير ذلك مما ورد في التقوى من الجزاء عليها عاجلا واجلا فان هذا الكرم الذى ذكره الله في قوله :

" ... ان اكرمكم عند الله اتقاكم ... "(٢)

هو الكرم الذاتي وهو افضل من الكرم الفعلي الذى هو السخاء كمـــا روى عن امير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنـــه قـــال :

" سادة الناس فى الدنيا الاسخياء وساده الناس فى الاخرة الاتقيـــاء وبين السيادتين من التفاوت مثل ما بين الدنيا والاخرة "(٣)

هذا يبين لك ما بين الكريمين من تفاوت الفضيلة .

والكرم الذاتي (منه) (٤) :

قـــولك : فلان على كريـــم

وقال النبي عليه الســـلام :

" اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه "(٥)

وهو السيد النسيب الذى يرفع لعظـــم قدره ونزاهته على الرذائـــل

---

(١) سورة المائدة من آية ٢٧ .

(٢) سورة الحجرات من اية ١٣ .

(٣) الرسالة القشيرية ج ١ ص ٣٥١ .

(٤) في جميع النسخ : والكرم الذاتي من قولك : ووضعت (منه) ليستقيـــم المعنى ، لأنه عطف عليه ما بعده فقال : ومنه ــ كما سياتي ــ .

(٥) رواه ابن ماجة في كتاب الادب باب اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه رقم الحديـــث ٣٧١٢ وانظر تخريجه بتوسع في كتاب : ابو زرعه الرازي وجهوده فـــي السنة النبوية ج ٢ ص ٤٧١ . وانظر فيض القدير ج ١ ص ٢٤٢ وقد نقـــل قول الذهبي فيه بأن طرقـــه كلها ضعيفه وله شاهـــد مرسل ، وحكـــم ابن الجوزى بوضعـــه .

ومنه : كرائم الملك (١) وهن الوجيهات المرفعات الاقدار عنده ليس ذلك بأنهن يعطين للملك (٢) شيئا لكن لعظم اقدارهن عنده .

ومنه قولهم :

من كرم عليه ما يطلب هان عليه ما يبذل .

ومن هذا المعنى : هو الكرم الذاتى الموصوف به رب العالمين فى قوله :

" ... ذو الجلال والاكرام " (٣)

اى الوجود كله يجله ويكرمه لعظم قدره لانه نزيه برى عن رذائل الاوصاف وبهذا الوصف كان كريما فى احديسة ازليته قبل وجود الافعال التى تكرم بها وجاد على الموجودات.

وكذلك المتقى الذى اتقى الذنوب ظاهرا وباطنا كرم عند الله لسلامته من دنيات الافعال لان الذنب تجريح فى فاعله والتجريح مسقط للقدر عند المجرح والمعدل ، فافهم .

وايضا فان الطاعة فى ترك المعاصى اكثر من الطاعة لله فى فعل الطاعات ولذلك قالوا ليس كل من عمل بطاعة الله كان حبيبا لله لكن من ترك ما نهى الله عنه كان حبيبا لله فان الطاعة (٤) لو اجتهد العبد فى تكثيرها غاية الاجتهاد كان الذى بقى له من طاعة الله اكثر اضعافا مضاعفة فانه لا يقدر ان يطيعه بجميع انواع الطاعات.

---

(١) فى ظ : كرائم المال .

(٢) فى ظ : للمالك وهو اصح .

(٣) سورة الرحمن من اية ٢٧.

(٤) فى ت : فان الطاعات.

واذا اتقى المخالفات لله تعالى فقد اطاعة بترك العصيان لله (١) كله فافهم .

فالشر كله هو العصيان والخير كله هو الطاعات (٢) فهذا فى ناحية وهذا فى ناحية فاذا اتقى العصيان فقد ترك الشر كله واذا دخل فى الطاعة لم يأخذها كلها ولا يقدر على ذلك قال النبي عليه السلام فى هذا المعنى :

" اذا امرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شىء فانتهوا "(٣)

وقد بين الله معنى ما ذكرناه من كرم التقوى فى اية من كتابه فقال :

" . ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته . . . "(٤)

والخزى : ضد الاكرام . ولا يدخل العبد النار الا بمعصية ، فالتقوى فى مقام الاسلام : حفظ الجوارح عن المنهيات وعن نقص الطاعات وتركها والتقوى فى مقام الايمان : اتقاء الاخرة وشدائدها واهوالها على اختلاف انواعها ، كما قال :

- " واتقوا النار . . . "(٥)

" واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله . . . "(٦)

---

(١) فى خ ، ت : بترك العصيان كله .

(٢) فى خ : هو الطاعة .

(٣) اخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم الحديث ٧٢٨٨ ، ومسلم فى كتاب الفضائل باب توقيره صلى الله عليه وسلم رقم الحديث ١٣٣٧ وابن ماجه فى المقدمة الحديث الاول والثانى .

(٤) سورة ال عمران اية ١٩٢ .

(٥) سورة ال عمران من اية ١٣١ .

(٦) سورة البقرة من اية ٢٨١ .

وتقوى النفس وخواطرها (١) الداعية في الغيب الى المحظورة والصفات المهلكـــه •

وتقوى الشيطان في التحذر منه ومن اغوائه وانواع (٢) خواطـره •

والتقوى في مقام الاحسان تقوى الله وحده وهو حقيقة التقوى لان تقـــوى ما سواه من المخلوقات مجاز وتقواه هو الحقيقة وفي هذا المقام للصديقـين احوال واسرار لا يجدها الاهم من هجمات الحقيقة وسطوات التجلـــي وغير ذلك وهي ثمرة كل تقوى قال الله عز وجل في ذلك •

" يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكـــم تتقـــون " (٣)

اى لعلكم تبلغون الى التقوى بعد العبادة فوصف التقوى انها ثمـــرة العبادة وان بعدها تكون وتحصل وذلك انه اذا استنار القلب بنـــور الفرقان ورأى فضل البارى على ما سواه وجلالة قدره اتقت العقـــول ان يفوتها وتحذرت من الاعراض (عنه) (٤) الى سواه الى غير ذلـــك مما يحسن ترك الكلام فيه ويجمل السكوت عنه لان المتكلم فيه ليـــس هو حاله وان كان يجده علما •

من الله علينا وعليكم بما من به على اوليائه المقربين (٥)

---

(١) في أ : وتقوى النفوس وفي خ : وتقوى النفس خواطرها •

(٢) في خ : ومن انواع خواطره •

(٣) سورة البقـــرة آية " ٢١ " •

(٤) كلمة عنه من " ط " •

(٥) في خ ت : على المقربـــين •

فالمتقى كريم القدر برئ من الريبه ونزيه عن الرذائل وطاهر من الاوساخ وزكي النفس . ومن اجتمعت فيه هذه الخصال قرب من الزكي النزيه الطاهر البر الكريم جل جلاله قرب الرتبة لاقرب المسافة فافهم قرب المقربين (١) المتقين وذلك ان ينظر العقل الى صفات باريه في مقام الاحسان ونزاهته وما هو عليه فيتقرب منه بالاتصاف على قدر طاقته .

جعلنا الله واياكم بكرمه منهم في عافية آمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) في خ لم تذكر كلمة " المقربين " .

الشعبة التاسعة والعشرون : الــــــورع :

اما كونه من شعب الايمان فدليله الحديث المشهور فى الصحيـــــح :
روى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
" الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير مـــــن الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ...." (١)

فجعل اتقاء الشبهات استبراء للدين والعرض ، والدين هو الاســـلام .

ودخل الحسن البصرى (٢) مكه فرأى غلاما من اولاد على بن أبــــى طالب رضى الله عنه وقد اسند ظهره الى الكعبة وهو يعظ النـــاس فوقف عليه الحسن فقال :

ما مـــلاك الدين ؟ فقال : الــورع (٣)

فجعل ملاك الدين الورع .

وروى قتادة عن مطرف بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال :

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الايمان باب فضل من استبرأ لدينه رقم الحديـث ٥٢ ورواه مسلم فى كتاب المساقاة باب اخذ الحلال وترك الشبهـــات رقم الحديث ١٥٩٩ .

(٢) هو ابو سعيد الحسن بن يسار البصرى ولد فى خلافة عمر بن الخطـــاب رضى الله عنه بالمدينة [illegible] و.. سكن البصرة وكان سيد اهل زمانه علما وعملا واخباره كثيرة وله كلمات سايره مات فى رجب سنة عشر ومائة وله من العمر ثمان وثمانون سنة .
انظر ترجمته فى : الزهد للامام احمد ص٢٥٨ وسير اعلام النبلاء ج٤ص٥٦٣ وميزان الاعتدال ٥٢٧/١ والحلية ١٣١/٢ .

(٣) الرسالة القشيرية ج ١ ص ٣٥٩ وتكملته : فقال له : فما آفة الدين فقـــال الطمع فتعجب الحسن منه .

فضــــل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكـم الـورع "(١)

فجعل الورع من الدين وخير الدين .

وروى من طريق اخر عن صعصعة بن سعيد عن ابيه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" فضل العلم احب الى من فضل العبادة وخير دينكم الورع "(٢)

فالورع : شعبة من الايمان وهو من باب التقوى المتقدم قبل هـذا

الا ان التقوى في الحرام كله . والورع عن الشبهات كلها ولكون الشبهة

قريبة من الحرام كان الورع ايضا قريبا من التقوى فمرة يعبر بهـذا

عن هذا وبهذا عن هذا في مواضع ومرة يمتاز هذا عن هذا لهـذه

العلة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات "(٣)

فجعل الشبهة شيئا زائدا على الحلال والحرام ، فالتقوى يقع علـى

---

(١) اخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٢٨ . وابـو خيثمه في كتاب العلم ص ١١٢ رقم الحديث ١٣ ضمن رسائل اربـع تحقيق الالباني وقد روى عندهما موقوفا وقال الالباني في تخريجه لـه : ثبت هذا مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني عن ابن عمـر وحذيفه وحسن سنده المنذري ، والحاكم عن سعد بن ابي وقاص وصححـه هو والذهبـي .

واخرجه ايضا ابونعيم في الحلية جـ ٢ ص ٢١٢ موقوفا ومتصلا .

(٢) لم اجده بهذا السند ولعله محرف عن : مصعب بن سعد عن ابيـه ـ وبهذه الطريق اورده الحاكم في المستدرك جـ ١ ص ٩٢ كتاب العلم وقـال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) تقدم في اول هذه الشعبة قريبا .

الحرام كله من المكاسب وغيرها من الافعال الظاهرة والباطنه كما تقدم
والورع يقع على الشبهة في المكاسب وجميع الافعال الظاهرة والباطنه
ايضا فهو على ضربين ظاهر وباطن .

فأما الظاهر منه فهو الكف عن القدوم على الاعمال الظاهرة (المشتبهه)(١)
في عالم الحس ومقام الاجساد كما ورد في الحديث :
" لا ورع كالكف " (٢)

والورع ايضا جار حكمه على الجوارح كلها مثال ذلك في اللسان :
اذا عرضت لك كلمة مشتبهه لا تدري اهي غيبة ام لا ؟ فالواجب
عليك الكف عن ذكرها فان من الغيبه ما هو حلال وما هو حرام والشبهه
ما لا يدري احلال هو ام حرام .

وكذلك في الاكل ، اذا عرفت الطعام حلالا فهو حلال واذا عرفته
حراما فهو حرام واذا لم تدر احلال هو ام حرام فهو شبهة لاختلاطه .
وكذلك فيما تتناوله الايدي والفروج وتبصره الابصار وتصغي اليه
الاذان فان نكاح الرجل للمرأة على الوجه الذي لا خلاف فيه : حلال
ونكاح الزنا وغير ذلك من الانكحة الممنوعة حرام .
ونكاح المرأة بوجه منعه (٣) قوم من العلماء واباحه اخرون شبهة كالذي

---

(١) كلمة " المشتبهة " لم ترد في ظ ، ت .
(٢) جزء من حديث تقدم تخريجه في الشعبة التاسعة وهو بتمامه
" لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق "
(٣) في ت : يوجه متعه منعه قوم .. وهو خطأ ولم يكن مراد المؤلف
ذلك كما هو ظاهر العبارة .

يقول من العلماء : للمرأة ان تزوج نفسها وتباشر عقد النكاح بنفسهـا اذا كانت رشيده لقوله تعالـى :

" ... أن ينكحن ازواجهن ..."(١)

وقولــه :

" ... حتى تنكح زوجا غيره ..."(٢)

وقولـــه :

" ... لاجناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف ..."(٣)

وقال اخرون :

لا يجوز : لقوله جلا جلاله :

" الرجال قوامون على النساء ..."(٤)

ولقوله البنى عليه السلام :

" لانكاح الابولـى "(٥)

فالاولى ترك هذا النـــكاح والاخذ بالولـــى للخروج من الشبهـــــة

---

(١) سورة البقرة من اية " ٢٣٢ "

(٢) سورة البقرة من اية " ٢٣٠ "

(٣) سورة البقرة من اية " ٢٣٤ ".

(٤) سورة النساء من اية ٣٤.

(٥) اخرجه الترمذى فى كتـــاب النكاح رقم الحديث ١١٠١ وابو زذر ايضـــا فى كتاب النكاح رقـــم الحديث ٢٠٨٥ وابن ماجـــه فيه ايضـــــــا رقـــم ١٨٨٠.

وانظر نبيل الاوطار للشوكانى ج ٦ ص ١١٨ باب الانكاح الابولى فقـــد اتم الكـــلام فيه من حيث اسناده ومعناه وذكر ان ابن حبان والحاكـــم صححـــاه.

وغير هذا من المسائل (١) في الطلاق والنكاح كثير لا ينحصر.

وكذلك مشيك بالقدم الى طاعة او في طريق مسلوكة غير مغصوبـــة : حلال ، ومشيك الى معصية او في طريق مغصوبة حرام ، ومشيك الـــى شيء لا تدري اطاعة هو ام معصية او في ارض مختلف فيها شبهـــة وهكذا جميع الجـــوارح .

وهذا كله مكتوب (٢) في كتب العلم في المكاسب وغيرها . وقد قالـــوا : الورع في المنطق اشد منه في الذهب والفضة .

وكقولهم : فيما ملكت (٣) الايدي من المـــكاسب في رجل توفي وكان غير حافظ لكســـبه .

فمذهب طائفة من كبار العلماء : التنزه عن اخذه من غير تحريم

ومذهب طائفة من كبار العلماء : اخذه وترك وزره على من اكتسبه وانـــه حـــلال .

ومذهب طائفة من كبار العلماء : تركه كله .

ومذهب مالك : ان (٤) علم الوارث انه ظلم اقواما باعيانهم رد الظلامة اليهم وان لم يعرف المظلومين وعرف المظالمة (٥) تصدق بها عنهـــم اذا لم يعلم لهم وارثا وهذا عدل من القول ان شاء الله .

والشبهات في جميع الافعال والجوارح اكثر من أن تحصى فالورع عنهـــا

---

(١) في ظ ، خ ، ت : وغيرها من المسائل .

(٢) في ظ ، خ ، ت : كله مذكور .

(٣) في خ : فيما كسبت الايـــدي .

(٤) في خ : انه ان علم .

(٥) في أ : الظلامـــه .

فى الظاهر فى مقام الاسلام تركها والخروج الى البين الذى لا اشكال فيه فان الشبهة مشكلة لولا اشكالها لم تسم شبهه وقد قال النبى عليه السلام فيها :

" ... لا يعلمها كثير من الناس ..." (١)

ولا شتباهها اختلفوا فى تحديدها :

فقالت طائفة : الشبهة ما غاب عين اصله فلم يعرف احلال هو ام حرام

وقالت طائفة ما اختلف فيه فقال قوم حلال وقال قوم حرام .

وقالت طائفة :

الشبهة ليست فى الاموال فان المال لا يعرف الا حلالا او حراما

وقالت طائفة الشبهة اكثرها حلال .

والحقيقة فى تحديدها ان شاء الله :

ان ما لم يتبين لك ولم تقطع عليه يقينا احلال هو ام حرام فهو شبهة لقول النبى عليه السلام :

" الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات " (٢)

فقد قامت الشبهة وجودا ثالثا بين الحلال والحرام .

واما الباطن : فعلى ضربين ومقامين :

ضرب فى مقام الايمان والنفس

وضرب فى مقام الاحسان والروح والعقل .

---

(١) قال ذلك فى حديث " الحلال بين والحرام بين " المذكور فى اول هذه الشعبه ؛

(٢) تقدم فى اول هذه الشعبه .

فاما الضرب الاول فى مقام الايمان : فان الايمان فى القلب منبسط على المؤمنات كلها الاخراوية قد احاط بها الايمان والتصديق والخواطر مزدحمة على القلوب من قبل النفس والهوى والامل والامانى والشياطين والملئكة ومن قبل الروح والعقل بجميع انواع الخير والشر فى كل وقت وحين فيجب الوقوف عن الاقدام على الخواطر بغير (١) تبين وعلم ، والوقوف هو الورع والكف حتى يتبين الشيء لان كثرة الخواطر الواردة على القلب يوجب اشتباهها وقد شبه القلب فى تقلبه بالخواطر كورقه تحركها الرياح وقيل كالقدر امتلأت غليانا .

فالورع فى ذلك المقام هو الوقوف والنظر حتى يتبين الاشكال منها وتمتاز خواطر الملك من خواطر الروح (٢) والنفس والشيطان والهوى الدنياوى فينفذ ما يجب تنفيذه ويرد ما يجب رده .

هذا كله فى امور الاخرة وامور الدنيا والدين .

واما الضرب الثانى الباطن فى مقام الاحسان فان النظر والفكر فى هذا الباب ينقسم قسمين :

نظر فى المخلوقات

ونظر فى خالقهما .

والاستدلال بها عليه لانه بها عرف فيجب التوقف والتمييز بين صفات الخالق وصفات المخلوق ولا يؤخذ الامر جزافا فيقع العبد فيما لا ينبغى من التشبيه والشبهات .

---

(١) فى ظ : على الخواطر الوارده على القلب بغير ..

(٢) فى ظ ، خ ، ت : من خاطر .

وقد ضل كثير من النظار في هذا الباب (١) وزاغوا لقلة ورعهم وايثارهم الرأي والمعقول بقلة الورع وترك الشرع المنقول فضلوا واضلوا وذلك كاقدام العقول والقلوب على ما لم يتبين لها من العلوم ولذلك كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول :

" اتهموا الرأي فانه انما كان مصيبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢)

وقال الله تعالى في هذا المعنى :

" هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ..." (٣)

ومن اجل قله ورع الزائغين في هذا الباب وقعوا في المراء لان الشيء اذا لم يتبين : وقع فيه المراء وورد في المراء :

" المراء في القران كفر " (٤)

---

(١) جملة " في هذا الباب " لم ترد في ت.

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص ١٦٤ واعلام الموقعين لابن القيم ج ١ ص ٥٤.

(٣) سورة آل عمران اية ٧ وقد وردت في ت هكذا واقتصرت بقية النسخ الى قوله تعالى ... في قلوبهم زيغ ... الاية.

(٤) اخرجه الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح عن ابي هريره رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
وقال : رواه احمد وابو داود ، ثم قال الالباني في تخريجه له : اسناده حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو صحيح باعتبار ان له شواهد صحيحه.
راجع مشكاة المصابيح كتاب العلم ص ٧٩ رقم الحديث ٢٣٦.
وانظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص ١١٣.

فالوقوع في المراء عقوبة ترك الورع ، وكذلك اخبر النبي عليه السلام في قوله :
حرام بين وحلال بين وشبهات بين ذلك امور مشتبهة فمن ترك
ما شك فيه من الاثم كان لما استبان له اترك .
ومن اجترى على ما شك فيه من الاثم يوشك ان يواقع ما استبان له .
فاذا لم يكن العبد من الراسخين فليكن من المتبعين الورعين المصدقين
بالتصميم الجزم فهي طريق السلامة ولا يكن من الزائغين المشبهين
القائلين بارائهم .
والناس في هذا الباب ثلاثة :

راسخ : يتبين له المشتبه لرسوخه فصار محكما في حقه .
وزائغ : احال المعنى الى غير ما اريد به ، كالذي يعتقد في يد
الله جارحه وفي الاستواء : الاستقرار على المكان وغير ذلك
من المسائل المشتبهات .(١) فهذا لا حق بالحرام الذي

---

(١) من كلام المؤلف هنا يتبين لنا انه يجعل الصفات الخبرية كاليد والاستواء من المتشابه ، ويهمنا معرفة السلف في ذلك ويتضح لنا الامر من هذا النص لابن تيمية رحمه الله :
واما ادخال اسماء الله وصفاته او بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله او اعتقاد ان ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله ... فاني ما اعلم عن احد من سلف الامة ولا من الائمة لا احمد ابن حنبل ولا غيره انه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الاية ونفى ان يعلم احد معناه وجعلوا اسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الاعجمي الذي لا يفهم ،ولا قالوا : ان الله ينزل كلاما لا يفهم احد معناه ، وانما قالوا كلما لها معان صحيحه قالوا في احاديث الصفات : تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وابطلوها التي مضمونها تعطيل النص عما دلت عليه .
راجع : مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٣ ص ٢٩٤ .
وانظر : التحفة المهدية جـ ١ ص ١٥٨ .

حـــرم اعتـــقاده (١) .

والثالث : رجل لم يصل درجة الرسوخ فالواجب عليه التصديق الجـــزم بمعنى ما يستحيل اعتقاده في المسأله واقرار الاخبار كمـــا وردت مع نفي التشبيه والتمثيل وهذا هو الورع على الحقيقة ، وضده الاعتراض بالرأى وتأويلها على الهوى بغير دليل قاطع، ولا علم راسخ فيجب الورع والايمان بالاخبار كما وردت مـــع نفي التشبيه والتعطيل .

وعليـــه درج :

مالك ، والشافعي رحمهما الله ، وسفيان الثورى ، وابن عيينـــه وابن المبارك ، والبخارى ، والترمذى ، وجميع المحدثين مـــن الســـلف والخلف في فتواهم رضوان الله عليهم وهو الورع وهـــو طريق سابق درج عليه اكثر السلف (في الفتوى) (٢) وهذا هـــو معنى الاثر الذى ورد :

" انما الامور ثلاثة : امر استبان لك رشده فاتبعه وامر استبان لك غيبه فاجتنبه وامر اشتبه عليه فكلـــه الـــى عالمــــه " او كما ورد (٣) .

---

(١) قول المؤلف : فهذا لاحق بالحرام .. الخ

ان كانت الاشارة بقوله " هذا " الخ احالة المعنى الى غير ما اريد به فهو حـــق وان اراد تأويل الاستواء بالاستقرار .. فهو مردود لان هذا التأويل هو مما ذهب الى القول به السلف فمن معاني الاستواء عندهم : استقر كما سيأتي بيانه ان شـــاء الله في الشعبة الثانية والثلاثين .

(٢) كلمة " في الفتوى " ذكرت في ت.

(٣) تقدم في الشعبة السادسة والعشرين ، في تخريج حديث : لا تؤتوا الحكمـــة غير اهلها ... وهذا الحديث تكمله له في بعض الروايات . وذكر الالباني فـــي تخريجه في المشكاة ان الهيثمي ذكره وقـــال رجاله موثوقون ثم عقب الالباني على ذلك فقال : وفيه نظر فان من رواته ابا المقدام واسمه هشام بن زياد وهو متروك .. راجع ج ١ ص ٦٤ ـــ ٦٥ .

ومن اجل هذه المسألة وقف من توقف من الصحابة فى وقت الحرب زمن الفتنه التى كانت.

وورد عن على بن ابى طالب رضى الله عنه : انه كان يقول لابنه محمد ابن الحنفيه يوم الجمل وقد قدمه امامه : اقدم اقدم ومحمد يتأخر وهو يلمزه بقائم الرمح فالتفت اليه محمد ابنه وقال له : هذه الفتنه المظلمة العمياء فوكزه على برمحه وقال : تقدم لا ام لك اتكون فتنه ابوك سائقها وقائدها.

فكان على يقدم على امره لانه كان من الراسخين (فى العلم)(١) على يقين وكان محمد ابنه يجبن لانه كان فى مقام الشبهة.

والورع هو الجبن عن الهجوم والاقدام والوقوف عند المشكلات.

واليقين هو الاقدام على الاشياء ببصيرة والقطع فى الامر على علم وهذه هى صفة العلماء الموثوق بهم الراسخين لا يحسنه سواهم

وكان الثورى يقول :

" انما العلم الرخصة من ثقه فاما التشديد فكل احد يحسنه " يعنى ان التوقف والجبن صفة المؤمنين وهو الورع ومن اجل هذا حسن الصمت لان الاقدام لا يحسنه كل احد وفيه ورد :

" ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات "(٢)

فقد تبين مما تقدم ان الورع ترك الشبهات كلها ظاهرا وباطنا كذلك قال ابراهيم ابن ادهم رضى الله عنه : (٣)

---

(١) كلمة " فى العلم " وردت فى ظ.

(٢) لم اجده فى الكتب الستة.

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٤٦ وانظر مدارج السالكين ج ٢ ص ٢١.

" الورع ترك كل شبهة "

والكشف عن حقيقة هذه المسألة خطير جدا لان الورع مقامه من الدين عظيم ، جزاؤه خفه الحساب ، قال الله تعالى :

" فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا "(١)

(وقيل فى هذا المعنى : ثواب الورع قله الحساب)(٢)

وقيل فى هذا المعنى ايضا : الورع الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس مع كل طرفه .

وهذا حال من اقام نفسه فى الدنيا مقام وقوفه بين يدى الله تبارك وتعالى فى القيامة .

فقد تبين والحمد لله : ان الورع عام فى جميع مقامات الاسلام والجسد الظاهر وفى مقامات الايمان والنفس فى الباطن وفى مقامات الاحسان والروح العقلى كساير مقامات الدين فمن تبين الاشياء على ما هى عليه فهو من الراسخين ومن حرفها او زاد فيها او نقص بالرأى فهو من الزائغين والمخلطين ومن توقف فصدق بالشئ وآمن به على ما هو عليه وهرب من التأويل الباطل والحرام البين فهو من المهتدين .

واصل التوفيق فى ذلك كله الورع والوقوف حتى يتبين او يسترك الشئ الى عالمه وانما تتبين هذه المسألة على الحقيقة بفهم هيئة العالم على ما هو عليه وفهم قول النبى صلى الله عليه وسلم :

" الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات "(٣)

---

(١) سورة الانشقاق اية ٧ ، ٨ .

(٢) جملة (وقيل فى هذا .. الى قوله الحساب سقطت من ع .

(٣) تقدم فى اول هذه الشعبة .

وذلك ان الله تعالى خلق الجنة والنار وجعلهما دارين :

احداهما جهة اليمين

والاخرى جهة الشمال

هذه خير كلها صرف ، وهذه شر كلها صرف .

وانزل الدين بالامر والنهي على معنى الدارين .

فالامر هو الحلال اخذه يدخل الجنة والنهي هو الحرام اخذه يدخل النار (١) .

ثم خلق دار الدنيا بين الدارين ومنهما وبعدهما (٢) ، فالجنة من القبر الى اعلى عليين والنار من القبر الى اسفل سافلين ،

" روضه من رياض الجنة او حفرة من حفر النار " (٣)

وقال ايضا (صلى الله عليه وسلم) :

---

(١) من قوله " وانزل الدين ... الى قوله يدخل النار " سقط من ت .

(٢) جملة : " ومنهما وبعدهما " سقطت من ت ، خ .
وأيضا قد سقط من ظ من قوله " وانزل الدين .. الى قوله : ومنهما وبعدهما .

(٣) هذا جزء من حديث اخرجه الترمذي عن ابي سعيد في كتاب صفة القيامة رقم الحديث ٢٤٦٠ وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وقال الشوكاني في الفوائد المجموعه ص ٢٦٩ : لم يصب من ذكره في الموضوعات فقد اخرجه الترمذي والطبراني وفي اسناده ضعف .

" والذى نفسى محمد بيده ما بعد الدنيا دار الا الجنة او النار "(١)

فهذا قسم من النبى صلى الله عليه وسلم : ان ليس بعد الدنيـــــــا الا الجنة او النار فالناس بعد الموت اما منعمهم او معذب فى جنه او نار فعلى هذا فالناس اذا فى الدنيا وقوف بين الجنة والنار حقيقة وهـــم لا يشعرون الا الموقنون منهم والدنيا مخلوقه من الجنة والنار فلذلـــك كانت شبهة (٢) لانها ممزوجه من هذه وهذه خلقتها على الحقيقـــة من اربعة معان :

معنيان ظاهران للحواس •

ومعنيان باطنان فى القلوب والذوات •

اثنان من قبل الجنة واثنان من قبل النار ويلتقيان فى ورود بعضهـــا على بعض فكان ذلك ظاهر الدنيا وباطنها ،

---

(١) لم اجده فى الكتب الستة ، وقد اسندة السمر قندى فى تنبيـــة الغافلين عن الحسن البصرى قال : طلبت خطبة النبى صلى اللـــه عليه وسلم التى كان يخطب بها كل جمعه اربع سنين فلم اقدر عليهـــا حتى بلغنى انها عند رجل من الانصار فاتيته فاذا هو جابر بـــن عبد الله رضى الله عنهما فقلت له : انت سمعت خطبة النبى صلى الله عليه وسلم التى كـــان يخطب بها كل جمعة قال : نعم سمعته يقـــول صلى الله عليه وسلـــم : ••• وذكـــر الخطبـة : وفى اخرها : فو الذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة او النار •

راجع : تنبيه الغافلين باب رفض الدنيا ص ٨٦ •

(٢) فى بقية النسخ : كانت مشتبهه •

(٣) فى ع : والشايكـات •

اما الاثنان من قبل الجنة :

فالواحد الظاهر هو ما ينزل الله من علو الى هذا العالم من الانوار والازهار والروائح والمياه والالبان وكل طيب وحسن ظاهر للحس ويصعد من النار فى مقابلته كل كريه من الحرور والبرود والظلمات والامراض والاسقام (والشكايات)(١) وكل مكروه ظاهر للحواس فيمتزج هذا بهذا وهذا بهذا فكان عنهما وجود ظاهر الدنيا .

وينزل من العلو بالمعنى الاخر الباطن وهو ما يجرى الله تعالى فى هذا العالم من الايمان والاعمال والاذكار الباطنه والاخلاق الحسنة منها والصلوات وجميع امور الديانات .

ويصعد من النار فى مقابلته الكفر والشرك والنفاق والاعمال القبيحة والغضب وجميع ما يكون من الفسوق والخذلان فيلتقيان فكذلك كانت امور الدنيا كلها مزجا خيرا وشرا .(٢)

فالاعمال والاحوال الواردة من الجنة هى التى احل للعبد فعلها وامر بها والواردة من النار هى التى حرم على العبد فعلها وهذا بمنزلة قول النبى صلى الله عليه وسلم :

" الحلال بين والحرام بين "(٣)

فاذا امتزجت الاعمال والعلوم والاحوال فهى شبهة يجب تنقيتها وتصفيتها او الوقوف قبل الفعل عنها .

---

(١) فى ع : والشايكات .

(٢) فى ظ ، خ ، ت : مزجا خيرا بشر .

(٣) تقدم فى اول هذه الشعبة .

فالورع واقف بجسده في الدنيا بين الجنة والنار والدنيا وارده عليه من الاخرة مع كل نفس ناظر الى الحلال والحرام في وروده‌ما من غيب الله وعلى ايدي ملئكته ، وناظر الى الشر من سفل على ايدى الشياطين فيترك الحرام بالتقوى ظاهرا وباطنا ويأخذ الحلال واذا اشتبه عليه الامر وقف ولذلك شاقت على الورعين الدنيا •

والحلال : هو كل فعل انحلت عنه المطالب كلها منا الله ومن العباد من اجل المظالم •

والحرام : هو كل ما حظر ومنع من كل فعل فمن اخذه طولب عليه من الله والعباد •

• فاذا قلت : لا اله الا الله مثلا وسلم القول والذكر من التزين والرياء والسمعة والاعجاب والشك والتشبيه وغير ذلك مما يمتزج معها حين القول — ان امتزج — : فقد انحلت عنها المطالبة (١) وجاءت من الجنة من عند الله ورجعت الى الله •

وكلمة الكفر والشك والرياء وغير ذلك اذا ورد على العبد حرم فعله ووجب تركه لانه حرام فيرد بالتقوى فاذا امتزج (القول والفعل) (٢) وجب تنقيته او الوقوف عنه وتركه وهو الورع والا حوسب العبد حسابا شديدا عليه •

وكذلك كل شيء من منكح او ملبس او مطعم او اي فعل كان اذا تبين بالشرع انه حرام وجب تركه واذا تبين انه حلال اخذ وفعل ان احتيج اليه فاذا امتزج وجب الوقوف عنه •

---

(١) في خ : المطالبات •

(٢) في ع : العمل والفعل وفي ت : العمل والقول •

فعالم الدنيا بين الجنة والنار كالشفق بين الليل والنهار ممتزج بظلام الليل وضياء النهار.

ودليل ما تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم :

" حبب الى من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة " (١)

فجعل الصلاة من الدنيا (٢) وفي حديث اخر :

" الدنيا ملعونة/ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه "

وفي اخرى :

---

(١) اخرجه احمد في مسنده جـ ٣ ص ١٢٨ والنسائي جـ ٧ ص ٦١ في كتاب عشرة النساء باب حب النساء وقال الالباني في تخريجه له في المشكاه كتاب الرقاق رقم الحديث ٥٢٦١ : اسناده حسن وقد اشتهر على الالسنة زيادة .. وهي " ثلاث " ولا اصل لها في شيء من طريق الحديث بل هي مفسده للمعنى كما لا يخفى .

(٢) ورد في خ بعد قوله : فجعل الصلاة من الدنيا زيادة لم تذكر في بقية النسخ وهي : " وقوله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا الدنيا فانها نعمت مطية المؤمن ، عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر الا وانه اذا قال الرجل لعن الله الدنيا قالت الدنيا : لعن الله اعصانا لربه) اهـ.

وقد وجدت في هامشها تعليقا على هذا الحديث قال فيه : هذا الحديث ليس من الاصل بل كأنه مكتوب في الطرة وهو لا يناسب ما استدل عليه اهـ.

" الا عالم او متعلـــم "(١)

فجمع الذكر وما والاه من كل خير والعلم والعالـــم : من الدنيـــــا وقال فيها :

" اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا "(٢)

---

(١) اخرجه الترمذى وابن ماجة : :

فعند ابن ماجه : الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او عالما او متعلمـــا .

وعند الترمذى : الا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله ومـــا والاه وعالم " او متعلم .

ابن ماجه فى كتاب الزهد رقم الحديث ٤١١٢ والترمذى فى كتـــــاب الزهد ايضا رقم الحديث٢٣٢٣ وقـــال الترمـــذى هـــذا حديـــث حســـن .

وانظر جامـــع الاصـــول ج ٤ ص ٥٠٥ رقم الحديث ٢٦٠١ .

(٢) جزء من حديثين رواهما الترمذى فى كتاب الدعوات باب ٨٣ رقـــــم الحديثـــين ٣٥٠٩ ، ٣٥١٠ الاول عن ابى هريرة رقم الحديـــــث ٣٥٠٩ وفيه : وما رياض الجنة ؟ قال : المساجد ..

وقال عنه الترمذى : حديث حسن غريب .

والثانى عن انس بن مالك رضى الله عنه . وفيه وما رياض الجنـــــة ؟ قال حلق الذكر واخرجه الثانى ايضا احمـــــد فى المسند ج ٣ص ١٥٠ .

ونقل الساعاتى قول المناوى عنه : شواهده ترتقى الى الصحة الفتـــــح الربانى ج ١٤ ص ٢٠٤/٢٠٥ .

فذكر انها من الجنة وردت فهذا هو المعنى الباطن

والمعنى الاخر من النار :

كلّ ملعون سوى ذكر الله وما والاه او العالم والعلم المذكور في

هذا الحديث المتقدم .

وقول الله تعالى :

" اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر

في الاموال والاولاد .. "(١)

وهذه احوال واعمال للقلوب والاجساد .

واما دليل المعنيين الظاهرين فقول النبي صلى الله عليه وسلم :

" ان النار اشتكت الى ربها (فقالت يارب أكل بعضي بعضا) (٢)

فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف ..." الحديث الى

اخره (٣) .

وقوله :

" ناركم هذه التي توقدون (٤) عليها جزء من سبعين جزءا من نار

جهنم "(٥)

---

(١) سورة الحديد من اية ٢٠ .

(٢) جملة : فقالت يا رب اكل بعضي بعضا وردت في : ظ فقط وهو الاصح كما ورد في الصحاح .

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة النار رقم الحديث ٣٢٦٠ ومسلم في كتاب المساجد باب استحباب الابراد بالظهر في شدة الحر رقم الحديث ٦١٧ .

(٤) في ظ : توقدونها .

(٥) رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ... الحديث/البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة النار رقم الحديث ٣٢٦٥ ومسلم في كتاب الجنة باب في شدة حر نار جهنم رقم الحديث ٢٨٤٣ .

ثم وصف المعنى الاخر النازل من الجنة فقال :

" ولولا انها ضربت بالماء مرتين ما انتفعتم منها بشئ "(١)

وقال عليه السلام :

" النيل والفرات وسيحون وجيحون من الجنة "(٢)

وقال الله تعالى :

" ٠٠٠ واسقيناكم ماء فراتا "(٣)

وقال في عموم جميع ما ينزل من الجنة :

" ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ٠٠٠ "(٤)

فكل رحمة من الجنة من نور او طيب وغيره لان الله

يقول فيما روى عنه : للجنة (٥)

---

(١) قال ابن حجر في شرحه للحديث السابق :
زاد احمد وابن حبان من وجه اخر عن ابى هريرة : وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما انتفع بها احد ونحوه للحاكم وابن ماجه عن انس ٠
راجع فتح البارى جـ ٦ ص ٣٣٤٠

(٢) اخرجه مسلم في كتاب الجنة ، باب ما في الدنيا من انهار الجنة رقم الحديث ٢٨٣٩ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة ٠ ولمعرفة مواضع هذه الانهار والمراد بكونها من انهار الجنة ٠
انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٥ ص ٦٩٧ ط كتاب الشعب ٠

(٣) سورة المرسلات من اية ٢٧٠

(٤) سورة فاطر من الاية ٢٠

(٥) في خ : لان الله عز وجل فيما روى عنه قال للجنة : وفي ظ : ٠٠ يقول للجنة فيما روى عنه :

" انت رحمتى ارحم بك من اشاء "(١)

وهذه الرحمة المفتوحة هى التى انزل من المائه التى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله :

" ان الله خلق مائة رحمة انزل الى الارض واحدة وامسك عنده تسعة وتسعين فاذا كان يوم القيامة قبض هذه الى تلك فرحم بها عباده المؤمنين "(٢)

وهذا تصديق لقول الله تعالى :

" ليميز الله الخبيث من الطيب .. "(٣)

وقوله فيما روى عنه فى الدنيا :

" ميزوا ما كان لى منها والقوا سايرها فى النار "(٤)

فالورع فى دار الدنيا اقام بنفسه هذا المقام (٥) من التميز فميز (٦) اعماله واحواله وعلومه واقوانه (٧) ويخلصها من الاشتباه فاذا ورد القيامة خف حسابه .

---

(١) من حديث رواه البخارى فى كتاب التفسير تفسير سورة " ق " رقم الحديث ٤٨٥٠ ومسلم فى كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء رقم الحديث "٢٨٤٦" .

(٢) بمعناه ورد فى صحيح البخارى فى كتاب الرقاق باب الرجاء مع الخوف رقم الحديث ٦٤٦٩ . وفى صحيح مسلم فى كتاب التوبة رقم الحديث ٢٧٥٢ ، ٢٧٥٣ .

(٣) سورة الانفال من اية ٣٧ .

(٤) تقدم فى الشعبة السادسة .

(٥) فى ظ ، ت : اقام نفسه هذا المقام .

(٦) فى ط : يميز .

(٧) فى ظ ، خ : بدل : اقواته : واقواله .

والذى اخذ الامر بالتخليط ـ امثالنا ـ يوقف عليه فيطول حسابه ومناقشته
على قدر تخليطه ومن كان الحرام غالبا/فالنار اولى به وهذه
اشارات وحكم ان فهمتها فهمت منها معانى الاخرة كلها ووقع لك
اليقين بها . وكذلك تفهم بها لاى شىء لا تأكل الارض اجساد
قوم وتأكل اجساد اخرين وتفهم منها احوال المعاد كلها ان شاء
الله ، وكذلك ينظر الحق فى مقام الاحسان ايضا فى المخلوقات وينظر
منها الى الخالق وينظر فى الكتاب والسنة ويكون ورعا كافا عن الاقدام
بغير بيان وبرهان كتابى وعقلى لئلا يقع العبد فيما وقع فيه الزائغون
الذين يقولون بنفى الصفات والذين يقولون بخلق القرآن والذين يقولون (١)
بالتشبيه والذين يقولون بحدوث الصفات وغير ذلك من ارائهم المجانبة
لاعتقاد اهل السنة وانما وقعوا فى ذلك لقلة الورع والاقدام والجرأة
بارائهم وتأويلاتهم الكاذبة المضلة مثل الله علينا وعليكم برحمة من
عنده وهداية كاملة ويسر شامل وعافية دائمة فى الدنيا والاخرة بكرمه
امين ،وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

---

(١) فى خ : بخلق القرآن واخرين يقولون بالتشبيه .

الشعبة الموفية ثلاثين : القناعــــة :

اما كونها من شعب الايمان فان مكحولا روى عن واثلة بن الاسقـــــع عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس ..." (١)

فجعل القناعة افضل مقامات الشكر والشكر نصف الايمان فكانت القناعــــة افضل شعب نصف الايمان .

ولانها ايضا من كنوز البر والبر هو (من) (٢) شعب الايمان كمـــا روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" القناعة كنز لا يفـــنى " (٣)

وورد في التفسير في قوله تعالى :

" ... فلنحيينه حياة طيبة ..." (٤)

قيل الحياة الطيبة في الدنيا القناعة (٥) والحياة من الايمـــان لانهـــا ليست حياة جسمانية .

وايضا فان القناعة غنى وعز بالله وضدها فقر وذل للغير وكان عليـــه

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد رقم الحديث ٤٢١٧ وقال محققه : في الزوائد : هذا اسناد حسن ..

(٢) حرف " من " ذكر في ظ فقط .

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفاء ج ٢ ص ١٠٢ وقال : رواه الطبرانــــى والعسكري عن جابر وكذا عن القضاعي عن انس ... ثم قال : قال الذهبي : واسناده واه

(٤) سورة النحل من الآية ٩٧ .

(٥) حكاه الطبري عن علي وعن الحسن البصري . انظر جامع البيـــان للطبري ص ١١٤ ، ١١٥ .

السلام يستعيذ بالله من اضدادها كالطمع والفقر واشباههما ومتى لم يقنع العبد لم يشبع ابدا وان كان له من المال ما لا يحصى فانه طامع فى الزيادة فاغرفاه يقول : هل من مزيد .

وورد فى الصحيح فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لو كان لابن آدم واديان ... لا (١) بتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب " (٢)

وقيل انه قرآن فعلى قدر ما عند الانسان من القناعة يكون عنده من شبع القلب والاستغناء بالله ، وبالضد لمن فقد القناعة او بعضها وعلى قدر ما يفقد من القناعة يكون عنده من ضدها ويذهب من دينه بقدر ذلك فاما أن يكون مشردا فى الاسفار فى طلب الزيادة المذمومة متبعا للهوى وموثرا الدنيا (٣) على الاخرة فاذا كان موثرا لطلب الدنيا على طلب الاخرة فقد نقص عمله ظاهرا وباطنا اعنى عمل قلبه وجوارحه وذلك نقصان دينه وان (٤) كان فقيرا ولم يقنع فاما ان يطلب المال من غير حله فيسرق اويغصب او يذل لابناء الدنيا وفى ذلك ذهاب بعض دينه كما ورد فى الخبر :

---

(١) فى ظ ، خ ، ت : واديان من ذهب و الروايات وردت فى الصحيحين واديان من مال .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنه المال رقم ٦٤٣٦ وبعدة احاديث الباب ورواه مسلم فى كتاب الزكاة باب : لو ان لابن ادم وادين .. رقم الحديث ١٠٤٨ .

(٣) فى ط ، خ ، ت : مؤثرا للدنيا .

(٤) فى ت واذا كان .

" من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه "(١) .

وانما تواضع له بالطمع الذي هو ضد القناعة ولو قنع لكان عزيزا والطمع هو الفقر الحاضر المستعاذ منه الذي كاد ان يكون كفرا حقيقيا وفي الزبور مكتوب :

" القانع غني وان جاع "(٢)

ففي القناعة الغنى والعز المحمود اللذان هما من اجل صفات المؤمنين وفي فقدهما التعبد للغير كما ورد في الخبر :

" تعس عبد الدنيا وتعس عبد الدينار (٣) .. الى اخر المعنى (٤)

ويقال في الفعل الثلاثي من لفظه القناعة قنع قناعة (٥) اذا رضي فالفاعل منه قانع اي راض بما اوتي فلم تطمع نفسه في غيره(٦) .

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٤١ وقال : رواه البيهقي عن ابن مسعود من قوله .. الى ان قال وللطبراني عن انس رفعه ... ثم قال في المقاصد : وهما واهيان جدا حتى ان ابن الجوزي ذكرهما في الموضوعات لكن قال الجلال السيوطي في التعقبات : ولم يصب في ذلك فقد رواه البيهقي عن ابن مسعود وانس بلفظ : من دخل على غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه . قال في كل منهما اسناده ضعيف اهـ .

(٢) في ظ : وان كان جائعا ، ورد هذا الاثر في الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٥٩ .

(٣) في خ : تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم .

(٤) رواه البخاري في كتاب الجهاد رقم الحديث ٢٨٨٥ وفي الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال رقم الحديث ٦٤٣٥ وهو بلفظ .
تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفه والخميصه ....
ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب "٨" في المكثرين رقم الحديث ٤١٣٥ و ٤١٣٦ .

(٥) في ظ ، خ ، ت : قنع يقنع قناعة .

(٦) في ت : نفسه لغيره .

اذا نصبه

ومن الرباعى : اقنع الرجل رأسه يقنع/قايما مرتفعا فلم يلتفت يمينا ولا شمالا ولم يطاطئ راسه ، وكانه بصره تلقاء وجهه ومنه الاقناع في الصلاة ومن هذا قوله تعالى :

" ... مقنعي رؤسهم ..." (١) .

اى رافعى رؤسهم فاذا فهمت هذا فاعلم ان القناعة تظهر فى الظاهر والباطن فاذا امتنع العبد بالحلال لم يقع فى الحرام بجميع جوارحه كالذى لا يقنعه شرب الماء فليشرب (٢) النبيذ الحلال وليقنع به فان لم يقنع شرب الحرام وكالذى ينكح واحدة من النساء فان لم يقنع امر بالزيادة الى اربع فان لم يقنع فملك اليمين فان لم يقنع وقع في الحرام وذل بذل المعاصى .

وهكذا فى كسب الاموال وسعى الجوارح كلها .

واصل ذلك كله عدم القناعة من القلب واذا لم يقنع بقليل المال طلب الزيادة وطمع فيها فهو لا يشبع ابدا وناله الذل بالتعبد للهوى

وقال وهب "٣" رحمه الله فى هذا المعنى :

" ان العز والغنى خرجا يجولان فلقيا القناعة فاستقرا "(٤)

---

(١) سورة ابراهيم من الاية ٤٣ .

(٢) فى ت : كالذى لم يقنع بشرب الماء فليشرب ..
وفى ظ : فالذى لا يقنع بشرب الماء فيشرب

(٣) وهب هو وهب بن منبه الصنعانى مؤرخ كثير الاخبار عن الكتب القديمة عالم باساطير الاولين يعد فى التابعين روى عن معاذ بن جبل وابى هريرة وروى عنه من التابعين جماعة ، ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها وله مؤلفات مات سنة ١١٠ وقيل ١١٤ هـ . راجع الاعلام للزركلى وصفة الصفوة حـ ٢ ص ٢٩١ والحلية جـ ٤ ص ٢٣ .

(٤) الرسالة القشيرية جـ ١ ص ٤٥٩ .

وكذلك قيــــل :

ان العقاب عزيز في مطاره فاذا طمع في جيفة معلقة على مصيـــــــده وقع عليها فتعلق في المصيدة وصار (١) ذليلا٠

فالقانع : عزيز بربه غني بعطائه وهذه صفة الايمان

قال الله تعالى :

" ٠٠٠ ولله العزه ولرسوله وللمؤمنين ٠٠٠"(٢)

وقال تعالى :

" فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون ٠٠٠"(٣)

وقال تعالى :

" ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين "(٤)

وانما كانوا اعلين واعزة باعتزازهم وعلوهم بالله وحسن العز بالله كحســن الذل له سواء ، وحسن الاستغناء به كحسن الافتقار اليه سواء٠

فالقناعة مقام رفيع من مقامات الدين رافعة لقلوب اهلها في الحــــال الى عليين قال الله تبارك وتعالى في اوصافهم :

" يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ٠٠٠"(٥)

والتعفف هو حال القانع ووصف القناعة ٠

---

(١) في ظ : " فصار "٠

(٢) سورة " المنافقون " من اية ٨٠

(٣) سورة محمد اية ٣٥ وقد ورد بعد " الاعلون " وان كنتم مؤمنين " وليس من الاية بل هو خلط بين الايتين في بعض النسخ ٠

(٤) سورة ال عمران اية ١٣٩ وهذه الاية ذكرت في ظ ، خ فقط وبقية النســـخ خلطت بينها وبين الاية التي قبلها كما تقدم٠

(٥) سورة البقرة من اية ٢٧٣٠

وفى هذا المعنى قيل :

الفقراء كلهم اموات الا من احياه الله بعز القناعة •

فيخرج من هذا ان القناعة بالشىء استغناء به عن غيره •

وقال :

من رضى من الله بالقليل من الرزق (اى قنع)(١) رضى الله منه بالقليل من العمل •(٢)

---

(١) الزيادة من ظ ت خ •

(٢) اورده السيوطى فى الجامع الصغير عن على بن ابى طالب رضى الله ورمز له بالضعف وانظر فيض القدير جـ ٦ ص ١٢٧ •

فصـــــــل :

واعلم ان القناعة على ثلاثة اضرب على عدد الذوات (الثلاث) (١) : الجسم والنفس والروح • وعلى عدد مقـــامات : الاسلام والايمان والاحســـان :

فضرب ظاهر في مقام الاسلام وعالم الحــس•

وضربان باطنان في مقام (٢) الايمان والاحسان والنفس والروح •

فاما الضرب الظاهر في مقام الاسلام فهو ما تقدم ذكره من القناعـــــة بامور الرزق وامور الدنيا ، وقد تقدم شيء من الكلام عليهما •

واما الضرب الباطن في مقام الايمان فان (العبد) (٣) اذا نظر بايمانه الى الاخرة ونظر الى الدنيا وراى ما بينهما من التفاوت والبون قنـــع بالاخرة واغنته وصار مشتغلا بما قنع به عن غيره•

وهذه حالة رفيعة نفع الله بذكر اهلها امين وقد ورد في الاثـــــار: " ان اهل القناعة يحشرون يوم القيامة منطقين بمناطق النور علـــــى اوساطهم يزينون اهل الحشر وتتعجب الناس من حسنهم " او كمـــا ورد (٤)

واما الضرب الباطن من القناعة في مقام الاحسان فانه لا هل الهمـــــم

(١) الزيادة من ظ ، ت وورد في خ : هنا بعض التقديم والحذف •
(٢) في ت : في مقامي •
(٣) كلمة " العبد " وردت في أ ، ظ ، ت وهي اصح من الكلمة التي وردت في ع وهي " القلب " •
(٤) لم اجده في الكتب الستة •

الرفيعة فان الناس فى القناعة درجات ولهم فى القناعة مقامات رفيعه ،
فمنهم من يقنع بالاخرة عن الدنيا كما قنع اهل الدنيا عن الاخـــــرة
ومنهم من ارتفعت همته فقنع بالله عن الكل اذ وجد فيه غنيه عن الكـــل
فهولاء هم القانعون بالله وهم الذين غلب عليهم مقام الاحسان الروحانى
فطوبى لهم باى كنز تنعوا وبأى موجود اظفروا .
وقال بعـــض اهل هذه الهمم لاحدهم .
" انظر ان اعطاك جميع مافى الملك فلا تقنع بشئ دونه بدلا منه "
او كما قال :
فالطالبون لهذا المقام مجدون فى طلب مرغوبهم لا يجدون راحة الا بالظفر
بمطلوبهم وفى الخبر :
" لا راحة لمؤمن دون لقاء ربه "(١) .
ومنهم من يلقاه حالا ومآلا كل على حسب رزقه وقسمه وهذه صفة العقـــول
الراجحه السليمة الكاملة لان صفة العقل (الراجح)(٢) ان يخـــتار
الافضل على المفضول والكامل على الانقص ويقنع به عن غيره فـــان فعل
ضد ذلك كان منحوس الحظ لقناعة بالانقص عن الكامل وبالمفضول عـــن
الافضل وانما يظهر هذا الغبن عيانا يوم التغابن وفى دوام الخلـــود
فيقف كل عقل فى مقامه الذى قنع به فى مقام تعبده فى الدنيا ومن ذلـك
المقام يكون امداد مزيده فى دار الشقاوة والسعادة رزقنا الله واياكـــم
الحظ الاكبر والنصيب الاوفر بمنه وكرمه امين وصلى الله على محمد واله وسلـم
تسليمـــا .

---

(١) اورده ابن تيميـة رحمة الله فى كتاب : احاديث القصاص تحقيق محمد الصباغ ص ٧٢ الحديث رقم (٥) وقال عنه : هذا من كلام بعض السلف وقال المحقق : رواه وكيع فى الزهد من قول ابن مسعود . قال العجلونى : قال فى الدرر : اورده فى " الفردوس " عن ابى هريرة مرفوعا ولم يسنده ورفعه بعضهم ... وانظر كشف الخفاء للعجلونى جـ ٢ ص ٣٦٢ رقم الحديث ٣٠٦٦ .
(٢) كلمة الراجح " وردت فى خ .

الشعبة الموفية احدى وثلاثين (١) :

الايمان بالله تبارك وتعالى بالغيب (٢) :

وهذا هو الذى يقع عليه صريح اسم الايمان فى اللغة وهو التصديق بالشىء وما سوى ذلك، من شعب الايمان فروع تتفرع منه .

قال الله تبارك وتعالى :

(... وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) (٣)

اى ما أنت بمصدق لنا فقول اللسان :

لا اله الا الله محمد رسول الله يسمى اقرار منه .

وتصديق القلب بما أقربه اللسان يسمى ايمان .

ومعناه : التصديق بوجود الله أنه حق (٤) والوجود هو الله (٥) واسم الله واقع على الذات فهو الاسم العلم الواقع على الوجود (٦) الحق جل جلاله فلو قال الانسان :

لا اله الا الكريم او الحليم ولم يقل (٧) لا اله الا الله (٨) لم يستقم ايمانه حتى يقر ويصدق بالاسم الأعظم الواقع على الوجود لأن الأسماء غيره واقعة على الصفات ومن أقر بالصفات ولم يقر بالذات لم يصدق بموجود لأن الصفات لاتكون الا لموصوف ولا يصح وجودها دون الذات

---

(١) فى خ : الشعبة الأحدى والثلاثون .

(٢) فى ظ ،خ ،ت : بالقلب

(٣) سورة يوسف من آية ١٧

(٤) فى أ ،ت : أنه حي

(٥) فى ظ ،خ ،ت : والوجود هو الذات

(٦) فى ظ : الموجود

(٧) فى خ : فلو قال الانسان الكريم او الحليم ولم يقل ...

(٨) فى ظ : ولم يقل الا الله .

والذات هو الذى عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولـــه :

(تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى ذات الله (١))

وهو المعنى بقوله عليه السلام :

(لا شخص أغير من الله ولا شخص أحب اليه العذر من الله .

من أجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص أحب اليه المـدح

من اللـــه من أجل ذلك وعد الجنه (٢))

فذكره الشخص واقع على وجود الذات سبحانه وهو الذى عنا خبيـب فـــى

شعره حيث قال حين قتل فى الله رحمه اللــه :

وذلك فى ذات الاله وان يشــــأ

يبارك على أوصـــال شلو ممزع (٣)

---

(١) قال ابن حجر فى فتح البارى جـ١٣ ص ٣٨٣ : وحديث ابن عباس: تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله" موقوف وسنده جيد أ . هـ وخرجه الأرناؤوط محقق كتاب الابانه للأشعرى فقال فى ص٩٣ : أخرجه أبو الشيخ فى كتـاب العظمة عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو ضعيف وقد ثبت من حديث ابـن عباس وابن عمر رضى الله عنهما من طرق عند الطبرانى فى الأوسط وابن عدى وابى نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان بلفظ: تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله" او ((تفكروا فى الاء الله ولا تفكروا فى الله)) وقد تقدم ص ١٧٥ ايضا .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه ، فى كتاب اللعان رقم الحديث العام ١٤٩٩ ، وذكـره أبو عاصم فى كتابه " كتاب السنه " وقال الألبانى فى تخريجه له : اسناده صحيح على شرط الشيخين والحديث أخرجه البخارى ومسلم من طرق أخرى عن ابـى عوانه أ . هـ جـ١ ص ٢٣٠

وانظر صحيح البخارى جـ ١٣ باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: لا شخـص أغير من الله . كتاب التوحيد ص ٣٩٩

(٣) صحيح البخارى جـ ١٣ كتاب التوحيد باب ما يذكر فى الذات . . رقم الحديث ٧٤٠٢ ومسند أحمد جـ ٢ ص ٣١٠

وهذا الباب ينقسم في النظر على ثلاثة أقسام :

نظر ظاهر في مقام الاسلام والحس الذى هو عالم الجسد

وضرب في مقام الايمان وعالم النفس الاخراوى

وضرب في مقام الاحسان الروحاني

فأما الضرب الأول : في عالم الأجساد فينظر الناظر في الأجساد فينفي الجسمانيه (١) عن باريه ويؤمن ويصدق أن ربه ليس بجسم (٢) ولا يشبه الأجسام ولا الجواهر والأعراض المؤتلفه منها الأجساد فيصح اذ ذاك ايمانه بباريه وتصديقه ويكون مؤمنا بالله على ما هو عليه .

وأما الضرب الثاني : من النظر الايماني في مقام الايمان فان العالم على قسمين ظاهر وهو ما تقدم

وباطن وهو عالم الغيب النفساني والروحاني

فينظر أيضا في عالم النفس واختلاف النفوس وعظم موجودات الآخرة واختلافها فيرى عليها آثار الحدث وولا ثله فينفى أن يكون ربه من قبيلها وان كانت موجوداتها أشرف من عالم الأجساد فيؤمن أن ربه أعلى وأجل من ذلك وانه ليس مثلها .

---

(١) في أ : فينفى الأعراض الجسمانية وفي ت ، خ : الجسمية

(٢) تقدم في أول الكتاب ان ذكرت ان السلف كانوا يراعون لفظ القرآن الكريم والحديث فيما يثبتونه وينفونه في الله من صفاته وأفعاله .. ولفظ الجسم من الالفاظ المبتدعه ولم يرد في صحيح النقل ولا عن أحد من التابعين ولا سلف الأمة ان الله جسم أو أنه ليس بجسم ..

راجع ص ٥ — ٨ وص ١٦

وأما الضرب الثالث من النظر فى مقام الاحسان فينظر الأرواح صادرة من أمر ربها فكانت خلقتها أغرب وأعظم من غيرها من الأجسام والنفوس لأنها بسيطة لطيفة جدا فيرى أيضا عليها آثار الحدث فينفى عن ربه (١) أن يكون من قبيل الأرواح والعقول ويشهد على الوجود كله جسمانيه ونفسانيه وروحانيه بالحدث (٢).

فان البارى ليس من قبيل ذلك كله فيصدق به أنه ليس مثل شىء من الأشياء فحينئذ يصح ايمانه وتصديقه.

وقد ضل خلق كثير فى الأرواح والنفوس فقالوا بقدمها (٣) وآخرون: بقدم الكل جسدا كان أو غيره (٤)

---

(١) فى خ : فينفى عن باريه

(٢) فى خ : بالحدوث

(٣) ممن ذهب الى ان النفس قديمة "أفلاطون" وتبعه ابن سيناء : انظر الملل والنحل للشهرستانى تحقيق الاستاذ أحمد فهمى ج ٢ ص ٣٠٨
وانظر المسأله السابعه عشرة من كتاب الروح لابن القيم وهى هل الروح قديمة أو محدثه مخلوقه ، وقد بين فى هذه المسألة اجماع العلماء على انها مخلوقه وأورد الأدلة الكثيرة على ذلك ص ١٩٣ ـ ط ١ ١٤٠٢ هـ

(٤) ومن القائلين بذلك ارسطو وبرقلس : انظر الملل والنحل ج ٢ ص ٣٨٢ و ٤٢٧ وصفحة ٤٢٩ ،
ولست أرى ما يحوج الى التوسع فى ذكر هذين المذهبين والقائلين بهما والرد عليهما لوضوح بطلانهما .

وآخرون : نفوا الصانع ولم يصدقوا به حين لم يشاهدوه ولا أدركوه (١)

وآخرون شبهوه (٢)

---

(١) هذه شبهة قديمة للدهرية لما رأوا أنهم لا يدركون الخالق سبحانه بحواسهم انكروا ونفوا وجود الخالق لأنهم لا يؤمنون الا بالمحسوس(وقالو ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) الجاثية آية ٢٤

وشبهتهم تلك هي من شبه الجاحدين المعاندين اليوم لوجود الله تعالى مع أن فطرتهم التى فطرهم الله عليها ومع ان كل شيء فى هذا الكون من آيات محسوسه وغير محسوسه كلها تدعو هؤلاء المتجبرين : للايمان بالله تعالى . والعلم بمكتشفاته يدعو للايمان أيضا .

انظر : الملل والنحل للشهرستانى تحقيق أحمد فهمى جـ٣ ص ٢٥٨

المنقذ من الضلال للغزالى ص ٩٦

قصة الايمان نديم الجسر

تبسيط العقائد حسن أيوب ص ٢٣ — ٥٧

(٢) هم جميع من شبه الله بشيء من مخلوقاته من جميع أهل الملل والنحل ومن ذلك : اليهود :

شبهوا الله فى عقيدتهم المحرفة بكثير من الصفات التى لا تليق الا بالمخلوق كوصفهم لله تعالى بأنه يأكل ويشرب ويصارع الانسان فزعموا أنه صارع يعقوب حتى صرعه يعقوب سبحان الله عما يصفون ووصفوه بأنه بعد أن خلق السموات والارض فى ستة أيام استراح فى اليوم السابع ورد الله عليهم بقوله تعالى : (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ...) ق ٣٨

وشبهوه بغير هذه الأوصاف ..

وكذلك النصارى فى عقيدتها المحرفة كثير من الأوصاف التى لا تليق الا بالمخلوق ومن أعظمها فرية على الله ان ذكروا ان عيسى ابن الله وانه ثالث ثلاثه .

وكذلك كل من شبه صفة من صفات الله تعالى بصفات خلقه فقال علمه كعلم خلقه أو يده أو رحمته أو انه جسم وجثه واعضاء . الخ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

والسلامة من ذلك كله أن يؤمن العبد ويصدق ان البارى موجود وأنــــه ليس كمثله شيء من الوجود ، الا انه يحتاج المصدق بقلبه أن يعتقـــد بتصديقه أنه ليس كالأشخاص ولا ذاتــه كالذوات ولا وجوده كوجود شـــيء من الموجودات والا كان معتقدا لشيء متوهم أو متخيل أو مشبه والا لـــه سبحانه يتعالى عن ذلك .

وانما يستقيم له هذا العقد وينتفى عنه الباطل فى اعتقاده بتصديقه بتسعة أشياء بها ينتفى عن وجود الله ما لا يليق بــه :

أولها : التصديق بوجود الله أنه حق ثابت (١)

: أنه قديم لا أول لــه .

: انه باق لا آخـــر له .

= انظر " مقارنة الأديان لاحمد شلبى ، اليهودية ص ١٧٥ وما بعدها
" محاضرات فى النصرانيه لأبى زهره ص ١٠٣
" اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى حـ ٢ ص ٣
" ونقلت ما ذكرته عن تشبيهات اليهود من مذكرة للدكتور عـــوض الله حجازى نقل نصوصها من أسفار اليهود .
وانظر الطحاوية ص ٢٣٩ — وانظر شرح التوينة للهراس ص ٤٤٨

(١) ان قضية وجود الله تعالى قضية مفروغ منها لأنها فطرية فى الانسان فما من انسان الا وعنده شعور ذاتى اقوى من الشعور بالجوع والعطش بأنــــه مخلوق وأن لــه خالقا وأن للعالم الذى يعيش فيه ويتمتع به موجدا حكيما قادرا على كل شيء .

وقد تقدم نقد السلف للمتكلمين اذ يهتمون باثبات توحيد الربوبية وهو الأمر الفطرى الذى لا ينكره الا معاند على حساب تقصيرهم فى اثبات توحيـــد الالوهيه فان دعوة الرسل كانت منصبة على تحويل اممهم من عبادة غير اللــه وهم مقرون بالله الى عباده الله وحده مباشرة بدون وأسطة .

راجع التعليق ص ١٣٧ وانظر تبسيط العقائد الاسلاميـة .
للشيخ حسن محمد أيوب ص ١٩ — ٢٢

: (انه مخالف للأشياء) (١)

: ولأنـه ليس بجوهر وأنه ليس بجسم مؤلف من جواهر وأنه ليس بعرض من الأعراض

: وأنه ليس مختصا بجهة .

: وأنه ليس مستقرا على مكان

: ولا حالا فى شـئ

: وأنه واحد لا ثانى معـه .

فأما دليل الأصل الأول من القرآن أعنى أن وجوده حق ، فقوله تعالـى :

(ذلك بأن الله هو الحـق ...) (٢)

ودليله من العقل :

ان العالم كله حادث بعد ان لم يكن ولا بد للحادث من فاعـل لقوله (تعالى) :

(ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون) (٣)

اى من غير رب

وأما القدم فدليله قوله تعالى :

(هو الأول ...) (٤)

---

(١) هذه الجملة وهى قوله : انه مخالف للاشياء لم تذكرها جميع النسخ وذكرها المؤلف فى تفصيله لهذه الأمور التسعة فلعلها سقطت من نسخة المؤلف المنقول عنها .

(٢) سورة الحج آية ٦٢ وسورة لقمان من آية ٣٠

(٣) سورة الطور آية ٣٥

(٤) سورة الحديد من آية ٣

ودليله من العقل :

استحالة التسلسل واذا بطل التسلسل ثبت القدم لواحد قديم

ودليله البقاء قوله :

(... الآخر ...) (١)

وقوله :

(كل من عليها فان ويبقى وجـه ربك ذو الجلال والاكرام) (٢)

ودليله من العقل :

ان (٣) ما ثبت قدمه استحال عدمه لأنه قبل الأفعال كلها وكل فعل من الأفعال لا يكون بنفسه فكيف يعدم البارى نفسه بفعله أو يعدمه غيره لأن كل فعل واقع فى العالم فعله .

ولا يقال أيضا :

انه ينعدم من ذاته لانه لو جاز أن ينعدم شىء بنفسه دون أن يفعل فيه العدم لجاز ان يتكون شىء بنفسه دون ان يكونـه مكون .

ودليل مخالفته للأشياء وأنه ليس بجوهر ولا جسـم ولا عرض من النقل قولـه تعالى :

(... ليس كمثله شىء ...) (٤)

لأن الأشياء كلها لا تخلو عن هذه الثلاثة الأشياء وهى :

الجوهر والجسم والعرض (٥)

---

(١) سورة الحديد من آية ٣

(٢) سورة الرحمن الآية ٢٦ ، ٢٧

(٣) حرف "ان" ورد فى ظ فقط

(٤) سورة الشورى من آية ١١

(٥) انظر ما تقدم فى موقف السلف من هذه الألفاظ التى لم يرد بها الشـرع وانه لا بد من معرفة المعنى المراد بهذه الألفاظ: ص ٦ — ٨ ، ١٦

ودليله من العقل :

ان الجوهر هو الموضوع فى الحيز المحصور فيه فقد ظهرت فيه صورة الوضع فى حيزه (١) بسكونه (٢) والسكون عرض وحال معه بحدوثه فى الحيز بعد الحركة التى صار بها الى الحيز وحينئذ سكن فى الحيز فقد ظهر أن الجوهر مفعول لغيره بالبرهان .

وأما الجسم :

فانه لو كان جسما لكان مؤلفا من جواهر كثيرة ولم تكن تلك الجواهر مؤلفة الا بعد افتراقها فقد ظهرت فى الجسم صورة التأليف والمؤلف مفعول لغيره .

وأما العرض (٣) :

فلو كان عرضا لكان حالا فى الأجسام والجواهر لأن العرض لا يكون موجودا بانفراده انما يوجد اللون والحركة وغير ذلك من الأعراض فى الجواهر والأجسام فاذا كان حالا فيها لا يوجد الا معها فقد ظهرت فيه الصنعة كما ظهرت فى الجسم والجوهر لأنه طارئ عليها .

وأما دليل أنه ليس مختصا بجهة فقوله (٤) (تعالى) :

---

(١) فى ت : بحيزه

(٢) فى خ : لسكونه

(٣) تقدم الكلام عن الجسم والعرض ، وموقف السلف منها فى الصفحات : ٦ — ٨ ، ١٦٠ — ١٧ وفى غيرها

(٤) تقدم الكلام عن الجهة وبيان موقف السلف من ذلك ، مما يغنى عن تكراره هنا وذلك فى الصفحات : ٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩

(الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل . وهو معكم أينما كنتم) (١)

---

(١) أورد المؤلف هذا النص القرآني على أنه آية متصلة فيما يظهر لي وليس الأمر كذلك، فقوله تعالى (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) من سورة الزمر آية ٦٢ .

وقوله تعالى (... وهو معكم اينما كنتم ..) من سورة الحديد من الآية ٤
ويريد المؤلف أن يقول ان المعية في الآية معية اختلاط لا يصح معها ان يكون الخالق سبحانه مختصا بجهة :

وهذا مردود بما قد تبين لنا مما يثبته السلف من معنى الجهة ، وأنه تعالى فوق سمواته على عرشه على على خلقه وهو سبحانه مع خلقه أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله تعالى :

(هو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) سورة الحديد آية " ٤ "

قال ابن تيمية :

ليس معنى قوله : (وهو معكم انه مختلط بالخلق فان هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما اجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من اصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان .

وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع اليهم .

راجع مجموع فتاوى ابن تيميه جـ٣ ص ١٤٢

وقد بين ابن تيميه وغيره من السلف أن لفظ المعيه في اللغة — وان اقتضى المجامعة والمصاحبه والمقارنة — فهو اذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه :

فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان وهي المعية العامه
ويخص بعضهم بالاعانه والنصر والتأييد وهي المعية الخاصة

وحكى ابن تيميه : ان ابن عبد البر وغيره حكوا الاجماع على أن معنى المعيه في الآية هو كونه معهم بعلمه :

انظر مجموع الفتاوى جـ ٥ ص ٤٩٥

وانظر الاعتقاد على مذهب السلف للبيهقي ص ٤٣

ودليله من العقل انه لو كان فى جهة لغابت عن الجهة الأخرى لكونــــه محدودا .

والدليل على أنه ليس مستقرا على مكان ، ولا حالا فى شئ قوله تعالى :

(لاتدركه الأبصار ...) (١)

(.. ولا يحيطون بشئ من علمه ...) (٢)

(... ولا يحيطون به علما) (٣)

ومن العقل :

أنه لو كان على شئ أو فى شئ لادركته الأبصار والأوهام والأمكنـة والحواس وأحاطت بما يليها منه والله سبحانه يتعالى عن ذلك (٤)

---

(١) سورة الأنعام من آية ١٠٣

(٢) سورة البقره من آية ٢٥٥ وهذه الاية لم يذكرها من النسخ الا خ

(٣) سورة طه من الآية ١١٠

(٤) ينبغى ان نعرف ولو باختصار تفسيرهذه الآيات عند السلــف :
فمن الآية الثانية والثالثة يقول ابن كثير فى تفسيره لقوله تعالى " ولا يحيطون بشئ من علمه .. " اى لا يطلع أحد من علم الله على شئ الا بما أعلمـه الله عز وجل وأطلعه عليه .

ويحتمل أن يكون المراد : لا يطلعون على شئ من علم ذاتـــه وصفاته الا بما أطلعهم عليه كقوله (ولا يحيطون به علما) .

راجع تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٠٩

أما عن الآية الأولى والتى بنى عليها دليله العقلى :

فقد ذكر تفسيرها الأشعرى فى الابانه ص ٣٨ والبيهقى فى الاعتقاد ص ٤٦ وغيرهما ذكروا ان الله أراد به لاتدركه أبصار المؤمنين فى الدنيا دون الآخره ولاتدركه أبصار الكافرين مطلقا .. الى آخر ما قالــه السلف فى ذلك وناقشوا به المعتزله وغيرهم

فأن الآية يستدل بها المعتزله والجهمية على نفى رؤية الله على الاطلاق .. والمؤلف لم يكن مع المعتزلة فى افكارهم للرؤية فانه اتى فى الجزء الثانى بشعبه مستقله هى الشعبة الثالثة وليسعين وهى الايمان بالنظـر الى وجـه الله الكريم .

والدليل على انه واحد من النقل قوله تعالى :

(والهكم الـه واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم (١))

ودليله من العقل :

لو كانا اثنين لم يخل أن يكون الواحد أقوى من الآخر فالضعيـــف مغلوب والغالب هو الالـه .

أو يكونا ضعيفين لا يقدر واحد منهما على شيء فلا يكون واحد منهما الها أو يكونا قويين متساويين فى القوة لا يغلب هذا هذا ولا هذا هذا فاذا اراد احدهما ايجاد ملك له منعه الآخر فلا يوجد لواحد منهما فعل أبدا ، وقد ظهرت الأشياء ودلت (٢) على وحدانيته فثبت وجود البارى تعالى واحدا للعقول بالأفعال الدالة عليه لأن فعلا (واحدا) (٣) لا يوجد من اثنين ـ كما تقدم ـ ولا دون فاعل . وكيف تكون صنعة دون صانع والصنعة قبل صنعها عدم فما ليس بشىء كيف (٤) يكون شيئا بنفسه والى هذا نبه العقول فى كتابه فقال :

= وذكر فيها ما يمكن أن نوجهه به استدلاله هنا : حيث قسم البصر الى بصـــر نافذ وبصر قاصر والقاصر يكون فى الدنيا وهو لا يرى الشىء الا اذا كان فـى جهة ثم قال : والبارى لا يرى فى جهة بل كما تعلمه الأن لا فى جهة ولا فـى حد وأتى بالدليل العقلى على هذا المعنى وقد تقدم ص ٢٢٦ ما يصح اثباته ـن ـنى الجهة وسيأتى ـزيد توضيح عند تأويل المؤلف لمعنى " الاستواء " وانظر المتقى من منهاج الاعتدال ص ١٥١

(١) سورة البقرة آية ١٦٣

(٢) كلمة " ودلت " لم تذكر فى خ

(٣) كلمة " واحدا " وردت فى ظ

(٤) فى ظ : فكيـــف

(... أفى الله شك فاطر السموات والأرض ...) (١)

(... الم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا) (٢)

ويقول :

(ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ..) الى قوله (لآيات لقوم يعقلون) (٣)

اى يعقلون أن فعلا لا يكون دون فاعل .

(ومن آياته أن خلقكم من تراب)

كيف يكون التراب شخصا بنفسه حتى يتحرك ويقوم

وحيثما ذكر ((الله)) (٤) أفعاله سبحانه المراد بها الدلالة عليه .

فان قلت :

قد ثبت لى بحمد الله دلالة الفعل على الفاعل بالبرهان لكنى لست أدرى بالبرهان (٥)أن هذا العالم الذى وجدت فيه هل هو حادث مصنوع أم لا (٦) ؟ هكذا وجدته ووجده غيرى قبلى فلعله لم يزل هكذا

---

(١) سورة ابراهيم من آية ١٠

(٢) سورة النبأ آية ٦ ، ٧

(٣) سورة البقرة آية ١٦٤

وقد ورد فى جميع النسخ : الى قوله " ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " وليس فى الآية : ان فى ذلك .

وأورد ت خ قبل هذه الآية الآية ١٩٠ من سورة الى عمران :

(ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب)

(٤) اسم " الله " ذكر هنا فى ظ فقط

(٥) كلمة " بالبرهان " لم ترد فى خ

(٦) فى ظ ، ت : أولا

الفلك يدور دورة قبل دورة الى غير أول والحوادث تحت الفلك فـــى عالم الكون والفساد (١) تتعاقب كل ولد (٢) مسبوق بوالـــد (٣) وكل زرع مسبوق ببذر (٤) وكل بيضة مسبوقة بدجاجة وكل ليل مسبــوق (بنهار) (٥) هكذا الى غير أول فما ثبت لى بالبرهان حدث العالم بعد ان لم يكن فيتم لى به قيام البرهان على الصانع الحق ؟

فاعلـــم :

أن معرفة حدث العالم قد تقدم فى صدر الكتاب طرف من الكلام عليـــه وله أربعة أصول من فهمها بترهن له بالبرهان حدثـه :

أولها : اثبات الأعراض فى الجواهـر .

والثانى : اثبات استحالة وجود جوهر بلا عرض

والثالث : اثبات حدوث العرض

والرابع : (اثبات) استحالة وجود حوادث لا أول لها . (٦)

---

(١) كلمة "والفساد" لم ترد فى ظ ، ت ، خ

(٢) فى ظ : كل مولود

(٣) فى ت بوالده

(٤) فى ت : ببذره

(٥) كلمة "بنهار" وردت فى ت وهو الصواب وفى بقية النسخ : "بيوم"

(٦) تقدم فى ص ٢٢ أن تبينا أن طريقة المؤلف فى الاستدلال على وجود الله هى طريقة الأشاعرة والمبنية على بيان ان العالم حادث وحدوثه مبنى على القــول بتركيب الأجسام ... وقد ذكرت فى ذلك الموضع نقد العلماء لهذه الطريقة وأن طريقة السلف هى الطريقة الصحيحة السليمة وهى التفكر والاستدلال بذوات الأشياء وصفاتها على خالقها مباشرة .

فأما الأول :

وهو اثبات الأعراض ، فان الحركة والسكون عرضان وهما موجودات فى العالم كله فان كل جسم وجوهر من الوجود كلـه لا يخلو اما ان يكون ساكنـا أو متحركا ، وهذا يدركه كل أحد بلا تعب فكـرة فان من زعم أنه يـدرك جسما أو جوهرا لا متحركا ولا ساكنا فينبغى أن يعزى فى غريزة العقـل التى ليس عنده منها شىء .

فاذا ثبت له الحركة والسكون ثبت له الأصل الثانى وهـو :

استحالة وجود جوهر بلا عرض فانه لم يعقله الا ساكنا أو متحركا والحركـة والسكون غير الجسم والجوهـر .

وأما الأصل الثالث :

وهو اثبات الأعراض أنها حادثة فان ذلك مدرك بأقل تأمل فان الحركـة والسكون ضدان لا يوجد هذا الا بعد فقد هذا فاذا سكن الجوهـر فبالضرورة يعلم أن السكون حدث بعد ان لم يكن بعد ذهاب الحركـة وفنائها ثم اذا طرأت الحركة زال السكون وحدثت الحركة بعد أن لم تكن فتتعاقب الحركة على السكون والسكون على الحركة علم بالضرورة أنهمـا حادثان بعد ان لم يكونا فى الجوهر . والعرض لا يوجد منفردا بنفسـه لم يعقل قـط حركة ولا سكون بلا متحرك ولا ساكن ولا لون بلا متلون فالجوهر على هذا لا يسبق العرض ولا يوجد الا معه وفيـه والعرض لا يوجد الا فـى الجوهر والعرض حادث وما لا يكون له وجود الا مع الحادث فهو بالبرهـان حادث .

فان جواهر جسم السماء والأرض وكل شخص بالضرورة يعقل أنها مؤتلفـة بعضها الى بعض ومجتمعة حتى صارت جسما .

والتأليف لا يكون الا بعد الافتراق وهكذا كل جوهر فى الوجود لم يظهر من الغيب الذى هو العدم الى المشاهدة الذى هو (١) الوجود الا بحركة تحرك ثم سكن فلم يكن (موجودا) (٢) الا فى حين حركته للايجاد ثم سكن ثم تحرك أو سكن فيما (صرف فيه) (٣)

فلولا تجديد العرض له مع كل نفس لم يكن له وجود لأن الجوهر ليس له وجود الا بالعرض فلم يبق الا الأصل الرابع وهو :

ان حوادث بلا أول لها محال .

والدليل عليه انك ان قلت : ان الجواهر لم تزل تسكن وتتحرك حركة قبل حركة وسكونا قبل حركة الى غير أول وهكذا وجدت الاشياء فاعلم :

ان قولك هذا محال ونغرض (٤) القول فى الدورة الفلكية التى نحن فيها فنقول :

الفلك لا يخلو أن يكون دار دورة واحدة أو دورتين أو اكثر أو لم يدر لا واحدة ولا اثنين ولا اكثر .

فان قلنا لم يدر ولم يتحرك فهذا باطل بالضرورة فان الحركة والدوران مشاهد فيه .

فان قلنا دار دورتين فقط فالدورة التى قبل هذه التى نحن فيها قد انقضت ومضت . وهذه التى نحن فيها لها أول لأن وجودها بعد التى انقضت.

---

(١) فى ظ ، ت : التى هي

(٢) كلمة (موجودا) لم تذكر ع ووردت فى بقية النسخ

(٣) فى ع : فيما ضرب فيه

(٤) فى خ : " ويعرض القول " وهو مناسب هنا .

فان قلت هذه الثانية باقية فهذا باطل فان بالدورة الثالثة ينقضي وجود الثانية قبلها وبالرابعة ينقضي وجود الثالثة وبالخامسة ينقضي وجود الرابعة وبالسادسة ينقضي وجود الخامسة هكذا أبدا .

فقد ظهر بالضرورة وجود السادسة بعد ان لم تكن لأنها بعد الخامسة ووجود الخامسة بعد ان لم تكن لأنها بعد الرابعة وظهر وجود الرابعة بعد أن لم تكن لأنها بعد الثالثة وظهر وجود الثالثة بعد ان لم تكن لأنها بعد الثانية وظهر وجود الثانية بعد ان لم تكن لأنها الأولى والاولى قد انقضت.

ولو كانت قديمة لبطل عدمها لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه فبالضرورة يعلم ان الدورة الأولى حين انقضت كان لها نهاية وهو انقضاؤها عادة على بدايتها الأولى وتلك الأولى هي خروجها من العدم الى الوجود .

وهكذا كل ساكن ومتحرك من جميع الوجود وهكذا الكلام في جميع الأعراض اللازمة للجواهر فقد ثبت لك أن الجوهر لا يخلو عن العرض وأن العرض حادث على الجواهر لولاه لم يكن لهما وجود ولا يسبق واحد منهما صاحبه ولا يوجد واحد منهما منفردا بنفسه عن صاحبه .

والعرض حادث بالضرورة وما لا يسبق الحادث ولا يوجد الا معه فهو حادث مثله بالضرورة فالعالم كله اذا حادث بعد ان لم يكن وبحدوثه بعدان لم يكن دل على صانعه لأن فعلا لا يكون دون فاعل أصلا لأنه قبل ان لم يكن لا شيء . ولا شيء كيف يكون شيئا دون فاعل يجعله شيئا .

واعلم أن العرض لا يبقى زمانين لأن الجوهر به يتجدد وجوده أبدا ومتى تجدد وجود العرض تغير الجوهر بحدوثه فيه عما كان عليه قبل فاكسبه حالا لم يكن عليها ولو جاز أنه يبقى العرض زمانين لجاز بقاء الجوهر دون تغيره ولو ثبت (بقاؤه) (١) نفسا واحدا دون تغير لساوى بقاؤه بقاء البارى تعالى لأنه كان يكون قائما بنفسه وهذه صفة القديم الذى لا يطرأ عليه شئ وهو القيم (٢) بنفسه الباقى على ما كان عليه فافهم فهمنا الله واياك .

---

(١) كلمة " بقاؤه " وردت فى خ .

(٢) فى ظ : القايم

الشعبة الثانية والثلاثون :

الايمان بالأسماء والصفات (١) :

اعلم أن الكلام الذى تقدم انما هو فى الوجود الذى هو الذات وهذا الباب انما هو فى الأسماء والصفات فهى شعبة ثانية من الايمان (٢) لابد من التصديق بها ومن لم يصدق بالصفات فقد كذب (٣) بالقرآن والسنة واجماع أهل السنة وكذب العقل .

وقد أفرد البخارى رضى الله عنه كتابا وسماه : الرد على الجهمية (٤) لأن جهما أول من تناول (٥) ابطال حقائق الأخبار فى الصفات .

وقال الله تبارك وتعالى :

(... فاعلموا انما انزل بعلم الله ..) (٦)

---

(١) فى ظ ، ت : الايمان بالصفات والاسماء ، تقديم وتأخير

(٢) فى ظ ، ت : فهى شعبة لابد من التصديق بها .. فلم يذكر فيهما " ثانية من الايمان "

(٣) فى ظ ، خ : فقد كفر

(٤) هو الامام محمد بن اسماعيل البخارى ولد سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة ببلدة " بخارى " وكان والده اسماعيل شيخا فاضلا وعالما جليلا ومات الوالد ونزل ابنه صغيرا فكفلته امه وأحسنت تربيته فهيأت له سبل العلم حتى نبغ وعظم أمره فيه ورحل فى طلب العلم ومات سنةست وخمسين ومائتين وعمره اثنتين وستين سنه والكتاب الذى ذكره المؤلف هو كتاب خلق أفعال العباد وهو مطبوع بتحقيق الدكتورعبد الرحمن عميره وفى آخره : ثم كتاب خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل .

وانظر : الرد على الجهميه للامام ابن منده تحقيق د /على بن محمد ناصر الفقيهي . مقدمة المحقق ص٢٤ وانظرترجمة البخارى فى هدى السارى مقدمة فتح البارى .

(٥) كلمة " تناول " وردت فى ظ ، ت وهى أصح من " تأول " التى وردت بها بقية النسخ .

(٦) سورة هود آية ١٤

وقال :

(وسعت كل شيء رحمة وعلما ..) (١)

فأثبت لنفسه العلم والرحمة . وقال :

(.. يريدون أن يبدلوا كلام الله ...) (٢)

فأثبت لنفسه الكلام

وقال :

(سبحان ربك رب العزة ...) (٣)

اى ذو العزة والعزة صفة العزيز

وقال :

(... ذو الجلال والاكرام) (٤)

والجلال صفة الجليل

وقال :

(قد سمع الله ...) (٥)

فاثبت لنفسه السمع .

---

(١) سورة غافر من آية ٧
(٢) سورة الفتح من آية ١٥
(٣) سورة الصافات آية ١٨٠
(٤) سورة الرحمن من آية ٢٧
(٥) سورة المجادلة من آية ١

وقال (١):

((العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدة منهما قصمته (٢)))

وقال النبى عليه السلام :

((حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصـــــره من خلقه)) (٣)

والبصر صفة المبصـــر

ولو تتبعت هذا لطال الكلام به . والقرآن والحديث قد نطقا بأسمـــاء الله تعالى وصفاته وقد ورد فــى :

(قل هـو اللـه أحـد)

---

(١) هو حديث قدســى .

(٢) رواه مسلم فى كتاب البر والصله باب تحريم الكبر رقم الحديث ٢٦٢٠ بلفظ:
" ((العز ازاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعنى عذبتــه)) .
وأخرجه أبو داود فى كتاب اللباس رقم الحديث ٤٠٩٠ وكذا أخرجه ابــن ماجه فى كتاب الزهد رقم الحديث ٤١٧٤ وأخرجه احمد فى مسنـــــده فى مواضع منها ٢/٣٧٦ .
قال الخطابى فى معالم السنن فى شرح هذا الحديث: معنى هذا الكلام ان الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه اختص بهما لا يشركه أحد فيهمـــا ولا ينبغى لمخلوق ان يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل .
وضرب الرداء والازار مثلا فى ذلك يقول ـ والله اعلم ـ كما لا يشرك الانسان فى ردائه وازاره أحد فكذلك لا يشركنى فى الكبرياء والعظمة مخلوق .... والله اعلم .
راجع مختصر سنن أبى داود جـ ٦ ص ٥٣ ـ ٥٤

(٣) تقدم تخريج هذا الحديث وبعض الأقوال فــى شرحـــه فى مقدمـــة المؤلف ص١٩٤

انها صفة الرحمن فى الصحيح (١)

وأهل السنة والحديث قد نقلوا الينا أخبار الصفات ونطقوا بالصفات فلو كذبناهم فيما نقلوا من ذلك ونطقوا به وجب تكذيبهم فى كل ما نقلوا من الشريعة وكان ذلك هدما للاسلام فنعوذ بالله من الضلال .

---

(١) أخرجه النسائى فى سننه فى كتاب الافتتاح جـ ٢ ص ١٧٠ ، ١٧١ وأخرجه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه فى صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : سلوه لأى شىء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أخبروه أن الله يحبه . فى كتاب التوحيد رقم الحديث ٧٣٧٥

وانظر كيف اشتملت على جميع أوصاف الكمال فى فتح البارى فى شرحه للحديث جـ ١٣ ص ٣٥٧

فصـــــل :

وأما دليل ذلك من العقل فان الوجود كله على اختلاف أنـــواعـه (١) لا يخلو من جوهر وهو ذاتـه .

وعرض حال فيه وهو صفته القائمة (بالجوهر) (٢) لا يعقل الا هكـــذا ، ولو تصور جوهر بغير صفة يوصــف بها او اسم يسمى بـه لم يكن له وجــود فاذا فهمت (هذا) (٣) فالفرق بين القديم والمحدث في هذا :

أن الجواهر محدثه ، وصفاتها التي (٤) هي الأعراض محدثه عرضت فيـه بعد ان لم تكن ، كما حدث هو بعد أن لم يكن .

والباري سبحانه لم يزل قديم الذات قديم الصفات لم يطرأ عليه اسم ولا صفة ولا يتغير عما كان عليه ولا يزداد ولا ينقص فلذلك لا يقال في صفاته انهـــا أعراض لأنها لم تحدث قـط انما الباري لم يزل على ما هو عليه ولا يزال على ما كان (٥) عليه فلا تشبه ذاتـه الجواهر ولا تشبه صفاته الأعراض فليـــس بجوهر ولا عرض (٦) .

فان قال قائـل :

---

(١) جملة : " على اختلاف أنواعه " لم يذكر في خ

(٢) هكذا ورد في ظ ت والبقية : فالجوهـــر

(٣) كلمة " هذا " لم ترد في ج ، أ

(٤) في ظ ، ت : وصفاته التي وهو خطأ والصواب " وصفاتها " وكان يجب ان يقول " عرضت فيها

(٥) في أ : ولا يزال عما كان عليـه

(٦) جملة : فليس بجوهر ولا عرض لم تذكر في خ .

اذا قلنا بالذات والصفات فيلزمنا (١) ان نقول : ان البارى مجموع من ذات وصفات ومركب من صفات وذات (٢) ،

قلنا : هذا خطأ عظيم فى النطق

فانه باجماع من أهل العقول أنه لا يقال مجموع الا فيمن اجتمع بعد افتراق ،

ولا يقال مركب الا فيمن ركبه مركب وجمعه جامع ،

وهذه صفة الجواهر والأعراض .

والبارى سبحانه ـ كما قلنا ـ لم يزل ولا يزال على ما هو عليه فهو لا يشبه الأشياء كلها ،

ثم نفرض سؤالا على من يقول بنفى الصفات طلبا للوحدة فى زعمه فنقول :
(٣)
أولا : اذا قال القائل : زيد . فنعلم أن هذه كلمة (٤) أفادت فائدة واحدة (٥) وهي أن قولك زيد دلنا (٦) على وجود زيد فقط يعلم هذا قطعا .

فاذا قلنا : زيد عالم أفادنا (٧) قولنا عالم معنى آخر وهو العلم والا كان قولنا زيد عالم بمنزلة قولنا زيد زيد .

---

(١) وردت الجملة فى ظ، خ : ت هكذا :
اذا قلنا الذات والصفات يلزمنا

(٢) يتصور هذا القول ممن نفى الصفات من الجهمية والمعتزله

(٣) لم ترد كلمة " أولا " فى ظ ،ت

(٤) فى ظ : هذه الكلمة

(٥) كلمة " واحدة " لم تذكر فى خ

(٦) فى ظ : دلت

(٧) فى خ : أفاد قولنا

وكذلك اذا قلنا زيد ضارب كان قولنا هذا بمنزلة قولنا زيد زيد .

وهذا خلف من الكلام لمن يدعيه ليس عنده من العقل ما يخاطب بـــه

فكذلك اذا قلنا : الله عالم مميت مصور يلزمـه على قولـــه :

أن يفيدنا (١) ذلك في الثلاثة الاسماء ما يفيدنا (١) قولنا : اللـــه

الله اللــه ويلزمه أن يقول ان معنى قولنا : الله قديم : أن يكـــــون

بمعنى (٢) الله مكلم موسى ورافع عيسى وجاعل الليل سكنـا .

واذا قلنا :

الله (مرئى) (٣) كقولنا : الله حى ، واذا قلنا : الله حى كقولنـــا

الله السلام . . . واذا قلنا الله السلام (كقولنا) (٤) الله الظاهـــر

والآخـــر وهذا بين الفساد لا خفاء به فلا بد له من الرجوع الى الحق

فيقول اذا قلنا الله العليم افادنا : الله : الوجود ، وافادنا العلـم

صفة العلم .

واذا قلنا (الله) (٥) الحي أفادنا الحي صفة الحياة . وهكذا اسماؤه

وصفاته عصمنا (٦) الله من الزلل واياكم برحمتـه .

فالأسماء والصفات قديمة بقدمه لا يجوز أن يقـال شيء منها محـــدث

بعد أن لم يكن ، فكان البارى سبحانه يوصـف بالزيادة بعد النقصان

ولا يجوز أن تفارقه أو تزول عنه فيتغير ويحول عما كان بل هـو على ماكان

ولا يزال على ماكان .

---

(١) في خ : أن يفيد . . ما يفيد قولنا

(٢) الجملة في ظ هكذا : معنى قولنا الله قديم بمعنى قولنا الله مكلم . .

(٣) في ع : الله ربي بدل من مرئي

(٤) هكذا في خ ، ت : والبقية : كقولـه

(٥) اسم "الله" ورد في خ ، ت

(٦) في خ : اعاذنا اللـــه

فأما (١) قدم الاسماء

فان الخلق لم يسموا الخالق سبحانه ولو سموه باسم لكان ذلك الاسم محدثا لانهم جعلوا الله اسما يعرف به لم يكن ، ولذلك لم يجـــز أن يسمى الا بما سمى به نفسه فى كتابه اوعلى سنة انبيائـــه (٢) فانه أعلمهم بذلك ، أو اسم يوجب له الكمال والجلال من اجماع أو غيره فان ذلك وصف له بما هو عليه وما كان الله عليه فهو سمى نفسه بذلـك وحقيقة المعرفة بهذا الفن يحصل لك بمعرفة أربعة أشياء وهى (٣) :

المسمّى والمسمّى والاسم والتسميـــة

فالمسمّى والمسمّى واحد : وهو الذات

والاسم : المعنى الذى بيّن وجود المسمى أو دل على صفة ان كـان الاسم يدل على صفة بسموه وسميته (٤) التى يعرف بها عن غيـره (٥) من المسميات

والتسمية هى قول المسمي وكلامه الذى سمى به نفســه .

وكلامه قديم فالكل قديـم .

والحروف جعلها الله تبارك وتعالى دلالة على أسمائه وصفاته ولذلـك تقول فى المخلوق (٦) سميت زيدا تسمية فالتسمية فعل فعلته وقـــت تسميتك اياه وقول قلتـــه .

---

(١) فى ظ : وأما

(٢) فى ظ : أوعلى لسان نبيه وفى خ ت : أوعلى السنة أنبيائـه .

(٣) كلمة " وهى " نقص من خ .

(٤) فى ظ : (فسموه واسميتـــه)

(٥) فى ظ : من غيره

(٦) كلمة " فى المخلوق " لم ترد فى ت

والاسم هو المعنى الذى سميته به ليعرف فان كان ذلك المعنى (له) (١) حقيقة فى نفسه والا كان لقبا له يعرف بـه .

والبارى تبارك وتعالى سمى نفسه في قدمه بكلامه دون زمان فاسماؤه قديمة بقدم كلامه لانها من كلامه (٢) والكلام قديم لم يزل واسماؤه (٣) قديمة لم تزل فاذا فهمت هذا فاعلم ان أسماء الله تعالى تنقسم ثلاثة اقسام .

اسماء تدل على الذات وهو الوجود كشئ وموجود ومذكور وما كان مثل هذا فهذه الأسماء تدل على الذات المسمى نفسه (٤)

والقسم الثانى أسماء تدل على ذات وصفات ذات كالحي والعالم والقادر والمريد والسميع والبصير ونحو هذا فهذا القسم يدل على ذات وصفة ذات: وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة وغير ذلك .

والقسم الثالث: أسماء تدل على ذاته وصفة فعل كالمميت سبحانه والخالق والرازق فالمميت هو الله سبحانه والصفة هى الموت والاماتة وهى فعل الله تعالى فهى صفة فعل لا يرجع منها الى الذات (٥) ولو جاز ذلك لدل على ان الموت قائم بذات البارى تعالى وهو محال (٦) وكذلك الخالق هو الله والخلق هى الصفة وهى فعل فهى صفة فعل لا يرجع منها الى الذات شئ ولو جاز ذلك لدل على أن الخلق قائم بذات البارى والله سبحانه يتعالى عن ذلك .

---

(١) كلمة "له" وردت فى خ ، ت

(٢) انظر: قاعدة فى الاسم والمسمى فى الجزء السادس من مجموعة فتاوى ابن تيمية ص ١٨٥
وانظر البيهقى وموقفه من الالهيات د / احمد عطيه ص ١٣١ حقيقة الاسم والمسمى وآراء العلماء فى ذلك .

(٣) فى ظ فاسماؤه

(٤) فى ظ ، خ ، ت : تدل على المسمى نفسه فلم ترد فيها كلمة "الذات"

(٥) فى ت ، خ : الى الذات شئ

(٦) فى ظ ، خ : وذلك محال

وهكذا كل صفة فعـــل

فالأسماء لا تخلوا عن هذه الأقسام الثلاثه (١)

ثم ان الأسماء كلها من أى قسم كانت لكل اسم منها معنيان :

نفى واثبات :

فالاثبات اثبات ما يجـــب له حقيقه من معنى كل اســـم

والنفى نفى ما يستحيل عليه من صفات خلقه التى اتصفوا بها مجـــــازا

أو حقيقة كالقادر مثلا :

---

(١) أورد المؤلف فيما سبق أحد الأقوال فى : هل الاسم عين المسمى ؟
وبين أن اسماء الله تنقسم فى ذلك، الى ثلاثة أقســـام
وقد بين الدكتور أحمد عطيه فى كتابه : البيهقى وموقفه من الالهيات ان للعلماء فى هذه القضية أراء خمسة كما ذكر ذلك أيضا ابن تيميــه
وهذه الأراء هى باختصار :
الأول : ان الاسم عين المسمى وهو رأى اكثر المنتسبين الى السنة . .
الثانى : ان الاسم غير المسمى وهو رأى الجهمية والمعتزلـه . . . . .
الثالث : التوقف وأصحاب هذا الرأى جماعة من السلف . . . . . .
الرابع : ان الاسم للمسمى وهو اختيار كثير من المنتسبين الى السنه . . .
الخامس : التفصيـــــل .

وهذا الأخير هو ما ذكره المؤلف هنا : وذكر ابن تيمية انـه المشهور عن ابى الحسن الأشعرى وابن فورك واختاره البيهقى

وقد نقد ابن تيمية هذه الآراء جميعها حيث لم تخل من نقد وبيـــــــن أن الصواب هو التفصيل وهذا التفصيل بينه شارح الطحاويه بقوله :

وقولهم الاسم عين المسمى أو غيره طالما غلط كثير من الناس فى ذلـــك وجهلوا الصواب فيه (ثم بين الصواب فقال :)

فالاسم يراد به : المسمى تاره

ويراد به : اللفظ الدال عليه اخـــرى

فاذا قلت : قال الله كذا او سمع الله لمن حمده ونحو ذلك فهذا المراد به المسمى نفسه واذا قلت : الله اسم عربى والرحمن اسم عربى والرحيم من اسماء الله تعالى ونحو ذلك .

....

....

= فالاسم ها هنــا هو المراد لا المسمى .

ولا يقال غيره لما فى لفــظ الغير من الاجمال :

فان أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحــق .

وان اريد ان الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء أو حــتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال والالحاد فى اسمــاء الله تعالى .

وعقب الدكتور أحمد على هذا النص بقولــه :

فهذا تفصيل منطقى سليم بعيد عن التعقيد وأصحاب هذا الرأى هــــم جمهور أهل السنة وهم الذين يقولون : ان الاسم للمسمى وهم بهــــذا القول موافقون لصريح الكتاب والسنه بل وللمعقول أيضا لان الله يقول :

(ولله الاسماء الحسنى) وقال : (ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى)

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (ان لله تسعة وتسعون اسما ....) متفق عليــــه .

راجع البيهقى وموقفه من الالهيات تأليف الدكتور احمد بن عطيــة الغامدى ص ١٣١ ـــ ١٣٨ مع بعض التصرف والاختصار ومـــــن مراجعه فى ذلك :

مجموع فتاوى ابن تيميه جـ ٦ ص ١٨٦ ـــ ٢٠٧

وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٣١

وانظر الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٨٩ ، والانصاف للباقلانى ص ٦٠

فان اسم القادر واقع على الله حقيقة ويستحيل عليه العجز فهو القادر على كل شيء ولا يستحق التسمية بهذا الاسم الا هو لعدم العجز عنـده ، وان اتصف أحد من الخلق (١) بالقدرة فذلك مجاز والله تعالى يتنزه عن المجاز وهكذا اسم الخالق لله حقيقة ويستحيل عليه أن يخلق أحـد معه شيئا وذلك المستحيل منفي عنـه .

أو القدس (٢) فان معناه : الطاهر المنزه عن معاني الحدث وصفـات المخلوقين فالطهارة والنزاهة له حقيقة وخلافها الذي هو صفة المحدثين مستحيل عليه وهكذا في جميع أسمائه لا يساميه أحد فيها بوجه وان تسمى أحد بمعاني اسمائه وصفاته فان ذلك وصف مخلوق أو مجاز والله يتعالـى عنه وقد أشار الى هذا المعنى في قوله :

(... فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) (٣)

اى من يساميه أو يدانيه في رتبة الربوبية وما هو عليه من أسمائه وصفاته .

---

(١) كلمة " من الخلق " لم تذكر في خ

(٢) الذي ورد في النصوص هو " القدوس " يقال قُدوس بضم القاف وقَدوس بفتحها والضم اكثر ومعناه الطاهر من كل عيب المتنزه عن كل نقص وقيل : المبارك، وحكى الزجاج ان أصل الكلمة سرياني وانه في الأصل قدشا وهـم يقولون في دعواتهم : قديشي قديش فأعربته العرب قالت قدوس .
انظر فتح القدير للشوكاني حـ ٥ ص ٢٠٧ تفسيرا آخر سورة الحشـر .
وانظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣٠

(٣) سورة مريم من آية ٦٥

فصـــل :

اعلم ان النظر فى هذا الباب ينقسم ثلاثة أقسام كسائر الأبواب كلها :

قسم فى عالم الحس ومقام الاسلام

وقسم فى عالم النفس ومقام الايمان

وقسم فى مقام الاحسان وعالم الروح .

من أجل ان الذوات ثلاثة ولكل ذات صفات محدثة فوجب ان تكون صفات الباري لا تشبه صفات جميع الذوات كما لا تشبه ذاته جميع الذوات .

فأما الضرب الأول فى مقام الاسلام وعالم الحس :

فان الظواهر أجسام وصفاتها من نوعها كاليد مثلا الواقع على الجارحة الجسمية ، والقدم والعين والوجه وسائر الصفات فاذا سمع المؤمن ما وافق ذلك فى الاسمية من صفات الله وجب عليه أن يصدق أنها ليست مثل هذه الصفات الجسمية كما قال تعالى :

(ويبقى وجه ربك ...) (١)

فتعلم أن وجهه ليس كالأوجه .

وقوله :

(... يد الله ..) (٢)

وقوله :

(... بل يداه مبسوطتان ..) (٣)

وقوله :

(.. تجرى بأعيننا ..) (٤)

---

(١) سورة الرحمن من آيه ٢٧

(٢) سورة المائدة من آية ٦٤ وسورة الفتح من آية ١٠

(٣) سورة المائده من آية ٦٤

(٤) سورة القمر من آية ١٤

وكقول النبي عليه السلام :

(فيضع الجبار فيها قدمه . ويكشف عن ساقه) (١)

وغير ذلك من الصفات التي وافقت صفات الأجسام في الاسمية فينفي المؤمن جميع ذلك عن ربه ويقول :

يد لا كالأيدي ووجه لا كالأوجه (٢)

وكذلك ساير الصفات .

وأما الضرب الثاني في مقام الايمان فان النفس لها الارادة والقوة والرضى والغضب والعزم والقدرة والكلام الدائر في الخلد والحديث وغير ذلك من صفات النفس التي يكثر تعددها ويطول (حسابها) (٣) فالنظر الحق أن تعلم أن ذلك كله دليل على صفات الباري ولكن ليست صفة كصفة فان ارادة النفس تكون بتمن (٤) ولغرض ما .

والغضب منها يكون بألم وتعب وكلفة والرضى بابتهاج وسرور ونعيم وصفاتها كلها تحدث في النفس أحوالا تتغير معها (٥)

فالواجب أن ينظر الانسان في ذلك كله فيعلم أن صفات الباري تتعالى عن جميع ذلك فيؤمن أن صفاته ليست كصفات الخلق .

---

(١) هما جملتان كل منهما وردت في حديث :

فقوله صلى الله عليه وسلم : ".. فيضع الجبار فيها قدمه" في صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة "ق" "باب" وتقول هل من مزيد رقم الحديث ٤٨٤٨ و "٤٨٤٩" .

وفي صحيح مسلم في كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون .. رقم الحديث "٢٨٤٨"

وقوله صلى الله عليه وسلم : " ويكشف عن ساقه ..)في صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة : ن والقلم ، باب يوم يكشف عن ساق رقم الحديث" ٤٩١٩ "

وأخرجه مسلم في حديث طويل في كتاب الايمان رقم الحديث ١٨٣

(٢) اي يثبتها الله تعالى حقيقة وينفي مشابهتها لصفات المخلوقين : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

(٣) في ع : ويطول جلبها

(٤) في ظ : لتمن

(٥) في ظ : منها

وأما القسم الثالث أيضا في مقام الاحسان فان الروح موصوف بالادراك العلمي والحلم والنظر والتدبير والقيام بمملكه النفس والجسد والقضاء والحكم فيها وغير ذلك، مما يطول الكلام به لأنها كلها اعراض موجوده بعد ان لم تكن وليس منها (١) صفة في مقام النفس والروح الا وهي مربوطة بضدها لا تنفك عنه ابدا .

والبارى تعالى منزه في أوصافه عن ذلك كله فوجب على العبد أن يؤمن ويشهد ويقر أن صفات البارى تعالى منزهة عن صفات المخلوقين فهو أحدى الذات وأحدى الاسماء (٢) والصفات .

وقد بينا في باب التوحيد طرفا من ارتباط صفات (الخلق) (٣) بأضدادها والفرق بينهما وبين صفات البارى في ذلك فلينظر هنالك (٤) فقد عم الايمان بالصفات النظر في جميع المقامات (والعوالم) (٥) كلها .

والصفات كما قدمنا في صدر الباب على ثلاثة أقسام :

نفسية ، ومعنوية ، وفعلية .

فالنفسية : كالبقاء والدوام والقدم والنزاهة والرفعة والوحدة وشبه ذلك

والمعنوية : كالحياة والارادة والقدرة والكلام وغير ذلك .

والفعليه : كالتصوير والخلق والتقديم والتأخير والصنع والاتقان والايجاد وغير ذلك .

---

(١) في خ : وليس معها

(٢) في خ : فهو أحد في الذات وأحد في الأسماء

(٣) في ع لم تذكر كلمة " الخلق "

(٤) تقدم ذلك في ص ١٦١

(٥) هكذا وردت في جميع النسخ ما عدا ع: ففيها العالم

فالفعلية :هى غيره فاذا قدرت زوالها أو وجودها استوى ذلك فــــــى حق البارى تبارك وتعالى لأنها فعله (١) .

وصفات النفس : لو قدرت زوالها بطل وجود الذات ولم يكن للذات وجود .

وصفات المعانى : لو جاز أن تقدر عدمها لم يبطل وجود الذات وخلــف الصفة ضدها وهذا لا يجوز فى حق البارى سبحانه فى صفات المعانـــى وصفات النفس اعنى التقدير (٢) .

---

(١) هذا تكرار لما تقدم فى ص٥٦٩ وانظر التعليق فى ص٥٧٠ وما ارتضاه السلف فى هذه المسألــه حيث لا يصح عندهم أن يقال هى غيره لما فى لفــظ غير من الاجمال وذلك فى جميع الصفات ذاتيه كانت أو فعلية . فلا يطلــق الا مع البيان والتفصيل .

وانظر شرح العقيدة الطحاويه ص١٢٩

(٢) المثبتون للصفات الالهية ينقسمون من حيث تقسيمهم للصفات الى قسمين :

أ ــ فالسلــف :

قسموا الصفات الى قسمين :

صفات ذاتيــة

وصفات فعليــه

والذاتية :هى الصفات الملازمة للذات فلاتنفك عنها .

والفعلية هى الأمور المتعلقه بمشيئته تعالى وارادته يفعلها متى شاء

وكل من الصفات الذاتيه والفعليه تنقسم الى :

عقلى وخبرى وذلك بالنظر الى الأدلة التى ثبتت هذه الصفات بها :

فمنها ما دل العقل على ثبوته لله تعالى مع ورود النص بها .

ومنها ما كان طريق اثباته بالأدلة النقلية فحسب

ومثال ذلك فى الذاتية العقلية : العلم والارادة والقدرة والسمــــع

ومثاله فى الذاتية الخبريه : الوجــه اليدين العين الرجــل .

ومثال الفعلية العقلية : الخلق والرزق والاعطاء المنــع .

ومثال الفعليه الخبرية : الاستواء النزول المجيء .

. . . .

= وكل هذه الصفات يتصف بها تعالى في الأزل فلا يجوز ان يعتقد ان الله تعالى وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد ان كان متصفا بضده وهذا ما ذكره شارح الطحاوية وقال : ولا يرد على هذه : صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها كالخلق والتصوير والاماته والاحياء والقبض والبسط والطى والاستواء والاتيان والمجيء والنزول والغضب والرضى ونحو ذلك، مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وان كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله ولا ندخل في ذلك متأولين بأرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ولكن أصل معناه معلوم لنا كما قال الامام مالك رضي الله عنه لما سئل عن قوله تعالى :

(ثم استوى على العرش) الأعراف ٤ ٥ وغيرها . كيف استوى؟ فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول . . . .

ب ـ الأشاعره :

قسموا الصفات الى أربعة أقسام :

نفسيه ، سلبية معان معنوية :

فالنفسية : عرفوها بأنها الوصف الدال على الذات دون معنى زائد عليه وهى الوجود .

والسلبية : عرفوها بأنها التى سلبت أمرا لا يليق بالله سبحانه وهى عندهم خمس صفات .

القدم ،البقاء ، مخالفته تعالى للحوادث ، قيامه بنفسه ، والوحدانية .

وصفات المعانى : هل كل صفة قائمة بموصوف دالة على معنى زائد على الذات وهى سبع صفات

الحياة ، الارادة ، القدرة ،العلم، الكلام، السمع، البصر =

. . . .

والصفات المعنوية :

هى الحال الواجبة الثابتة للذات اذا قامت بها المعاني

فالاتصاف بها فرع عن الاتصاف بالسبع الأولى فهى :

كونه حيا ، كونه مريدا ، كونه قادرا ، كونه عالما ، كونه متكلما

كونه سميعا ، كونه بصيرا .

واذا قارنا هذه التقسيمات المذكورة فى هذا التعليق مع تقسيم المؤلف " يتضح لنا مايلى :

فالمؤلف سبق له فى هذه الشعبة أن ذكر تقسيمين وهما لا يختلفان كثيرا عن بعض وقال فى التقسيم الثانى فيهما :

(والصفات كما قدمنا فى صدر الباب على ثلاثة أقسام . .) فلو نظرنا الى هذين التقسيمين رأينا المؤلف يسلك فيهما مسلك الأشاعرة ويخالفهم فى أمور

١ ــ انه جعل الصفات السلبية التى قام بها الأشاعرة صفات نفسية

٢ ــ انه لم يفرق فى تقسيمه الأخير بين الصفات المعنوية وصفات المعانى ومثل الصفات المعنوية بصفات المعانى وان كان أشار الى هذا الفرق فى التقسيم الاول .

انظر : شرح الطحاويه ص ١٢٧ ــ ١٢٨

البيهقى وموقفه من الالهيات ١٤٩ــ ١٥٠

دعوة التوحيد للهراس ٢٧٣

الاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى ١٠٠ــ١٠١

وقد أطلق العلماء والأئمة فى الصفات (١) عبارة حسنة فقالوا فيها :

لاهى هو ولا هى غيره

لأنك ان قلت : هى هو فقد نفيت عنه الصفات واثبت الذات منفردة (٢) بلا صفات وأثبت الصفات منفرده وبقيت الذات لأن قولك : هى هو يحتمل معنيين :

أحدهما : أن تقول هى هو اى الصفات هى الذات فتكون الذات صفات

وهذا محال لأن الصفة لا تكون هى الموصوف لا تعرف الصفة الا لموصوف ولا يكن لها وجود الا بكونها قائمة بالموصوف الذى هو الذات .

والمعنى الثانى : أن تقول هى غيره اى هى غير الذات فتفرد الذات بغير صفة .

وهذا مذهب المعتزلة وكثير من المخالفين لأهل الاسلام فيقولون عالم بلا علم وقادر بلا قدرة ونحو هذا .

والصواب :

ما اطلق علماء أهل السنة فقالوا :

لا هى هو ولاهى غيره لأنك ان قلت هى غيره فقد أثبت الغيريه

---

(١) مراده بالصفات صفات الذات وصفات النفس على حسب تقسيمه أما الصفات الفعليه فقد قال : هى غيره وتقدم التنبيه على ذلك .

(٢) فى خ : منفرد

وأن الاله غيران ، وان قلت هي هو فقد نفيت الصفات فافهم (١)

والعمدة في هذا الباب أعنى معرفة الصفات المعنويه : معرفة عشرة

أصول ينتظم لك فيها ما بقى من معرفة الصفات ان شاء الله وهى :

الحياة ، العلم القدرة الارادة والكلام والسمع والبصر (٢)

---

(١) تقدم بحث : هل الاسم عين المسمى ؟ ورأينا أن هذا القول الذى نسبه المؤلف الى أهل السنه هو قول الأشعرى وابن فورك والبيهقى ومن وافقهم.

وقد بين ابن تيميه رحمه الله موقف السلف فى هذا الموضوع حيث قال رحمه الله : لم يعرف عن أحد من السلف أنه قال : الاسم هو المسمى بل هذا قاله كثير من المنتسبين الى السنة بعد الأئمة وأنكر أكثر أهل السنه عليهم ومنهم من أمسك عن القول فى هذه المسألة نفيا واثباتا اذ كان كل من الاطلاقين بدعة كما ذكره الخلال . . . وكما ذكره أبو جعفر الطبرى . . الخ وقول ابى جعفر الطبرى الذى أشار ابن تيمية اليه هنا وذكربعضه نقله اللالكائى فى أصول اعتقاد اهل السنة حيث أورد اعتقاد ابن جعفر محمد بن جرير الطبرى . ومنه قوله فى هذا الموضوع :

(وأما القول فى الاسم أهو المسمى أو غير المسمى ؟

فانه من الحماقات الحادثة التى لا أثر فيها فيتبع ولا قول من امام فيستمع والخوض فيه شين والصمت عنه زين وحسب أمرىء من العلم به والقول فيه أن ينتهى الى قول الصادق عز وجل وهو لـ قوله :

(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعو فله الاسماء الحسنى)الاسراء ١١٠

وقوله :

(ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) (الاعراف ١٨٠)

راجع فتاوى ابن تيمية حـ٦ ص ١٨٨ و (٢٠١)

وأصول اعتقاد أهل السنه والجماعه جـ ١ ص٨٣ او ص ١٩٨

(٢) هذه الصفات السبع التى يثبتها المنتسبون للاشعرى وينازعون فى بقية الصفات ويجعل نسبتها الى الله على سبيل المجاز ويسلك فى ذلك أحد طريقين أما تأويل الصفة بصفة اخرى كتفسير المحبة بالاراده .

وكمال الادراك للطعوم والروائح وغير ذلك

وأنه قديم الصفات لم يزل موصوفا بها ولا يزال

وانه منزه عن شبه الحوادث وطردها عليه

فأما الأصل الأول : وهى الحياة

فدليله من القرآن :

(الله لا اله الا هو الحى القيوم ...) (١)

فوصف نفسه بالحياة لأن اسم الحى دل على ذات ومعنى وهى الحياة

ودليله (من العقل) (٢)

ان الحى على الحقيقة هو : الدراك الذى له شعور بنفسه وبغيره ،

والميت : هو الذى لا يدرك نفسه ولا غيره ولا شعور له بشىء ولو كان

ذلك لما صح وجود الأشياء عنه (٣) فان الحياة شرط فى وجود

(العلم والقدرة والاراده) (٤) وجميع الصفات .

= واما تفسير الصفة ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات مثل تفسير اليد بالنعمة والغضب بالعقوبة .

راجع التحفه المهدية شرح الرسالة التدمريه جـ١ ص ٤٦ / ٤٧

وانظر شرح المواقف تحقيق احمد المهدى ص ٧٧

والاقتصاد للغزالى ص ٥٣ وغيرهما من كتب الأشاعره

(١) سورة البقرة من آية ٢٥٥

(٢) كلمة " من العقل " لم ترد فى ع ووردت فى بقية النسخ

(٣) فى أ : لما صح وجود الأشياء والقدرة عنه .

(٤) هكذا وردت فى جميع النسخ ما عدا ع ففيها (شرط فى وجود العالم والاراده) ......

ومن أجل هذه اللطيفة اشار من أشار الى ان الحي هو الاسم الأعظم لأن الحياة شرط فى وجود جميع الصفات الكاملة بالموصوف اذ لو لم يكن حيا لما كان عالما ولا قادرا ولا مريدا ولا سميعا ولا بصيرا ولا أدرك شيئا ولا صح منه وجود شيء وقد ثبت ايجاد الأشياء عنه فقد ثبت حياته بالبرهان ..

والحمد لله .

وأما الأصل الثانى وهو العلم فدليله من القرآن :

(.... وسعت كل شيء رحمة وعلما ....) (١)

ودليله من العقل :

ان الجاهل لا يصدر منه الفعل المتقن ولا الصنعة المرتبة الكامله (٢) بل العالم هو الذى يصدر ذلك عنه ومن نظر فى مخلوقات الله تبارك وتعالى واتقانها وترتيب اشخاص (٣) الموجودات واعضاء الحيوانات حتى النمله وأقل منها يتبين له من لطف الخلقه وتزيين الصنعة وترتيب الحكمة ما يبهر العقل واللب .

فحينئذ يعلم ان هذا الصنع المحكم الغريب (٤) والملك المرتب العجيب لا يصدر الا من عالم عظيم لا يعزب عنه مثقال ذرة (فى السموات والأرض) (٥) فى جميع الملك ولو لم يكن عالما لما صدر

---

(١) سورة غافر من آية ٧

(٢) فى ت ،خ : المحكمة

(٣) فى ت : الأشخاص

(٤) فى خ : المحكم الترتيب

(٥) ما بين القوسين وردت فى ت

عنه شيء من ذلك، فقد ثبت علمه بالبرهان كما ثبت علمه بالخبر والقرآن . والحمد لله .

الأصل الثالث : القدرة :

أما دليله من القرآن فقوله تعالى :

(... وهو على كل شيء قدير) (١)

فقدير دل على ذات ومعنى هي القدرة ،

ودليله من العقل :

أن العاجز هو الذى لا يقدر على شيء ولا يصدر منه فعل بوجه وقد وجدت الأفعال ضرورة فقد ثبتت قدرته بأقل تأمل ونظر والحمد لله .

الأصل الرابع : الاراده :

أما دليله (٢) من القرآن فقوله تعالى :

(... ان الله يفعل ما يريد ..) (٣)

(... وربك يخلق ما يشاء ويختار ..) (٤)

---

(١) سورة المائدة من آية ١٢٠ ووردت في سور أخر

(٢) في خ : اما دليل الاراده من القرآن

(٣) سورة الحج من آية ١٤

(٤) سورة القصص من آية ٦٨

ودليله من العقل :

ان الذى يتصف بعدم الاراده هو المهمل فى نفسه ومن كان بصفة الاهمال فانه لم يصرف قدرته الى احدى الجهتين : الايجاد أو ترك الايجاد فان القدرة انما تصدر الأفعال عنها بصرف الارادة اياها الى الفعل ولا يترك المريد الفعل الا بترك الاراده للفعل .

وكذلك التكوين بالكلام كما قال تعالى :

(انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون .) (١)

فقدم الارادة على التكوين بالكلام فكيف يصح وجود فعل عن القدرة والكلام بغير ارادة والاراده متقدمة على الاحداث بالقدرة والكلام فلا يكون فعل من الفاعل حتى يريد الفاعل (٢) .

ولو صح وجود فعل بلا ارادة (٣) لكانت افعاله غير مخصصه بالتقديم والتأخير والرفع والخفض والقبض والبسط ، وكان يكون ملكه مهملا كما تصدر حرارة النار عن النار والمعلول عن العلة فكان يكون مضطرا .

والاله سبحانه وتعالى يتنزه عما يتوهمه الجاهلون .

ولو صدرت أفعاله أيضا من غير ارادة — كما زعم كثير من الضالين — لكانت أفعاله التى أحاط بها علمه تصدر عنه جملة فى وقت واحد فلا يبقى عنده فعل يوجده ويصدر عنه ويكون ملكه وأفعاله محصورة وتامة لا تزيد ولا تنقص ولا تتحول ولا تتغير ولا تتقدم ولا تتأخر .

---

(١) سورة النحل آية ٤٠

(٢) فى ظ ، ت ، خ : حتى يريد الفعل

(٣) فى خ : من غير اراده

وهذا مستحيل (١) من قبل أن المريد هو الذى يوجد ما يشاء ويترك ايجاد ما لم يشاء ايجاده ويؤخر ايجاد ما شاء (٢) تأخيره الى الوقت الذى شاء تأخيره ، (ويخص) (٣) شيئا بما لم يخص به غيره فقد دلت التخصيصات فى الأشياء والتقديم والتأخير على ارادة البارى تعالى برهانا بينا كما نطق به القرآن والخبر) (٤) والحمد لله .

الأصل الخامس : الكلام :

اما دليله من القرآن فقوله تعالى :

(... وكلم الله موسى تكليما) (٥)

(... وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ...) (٦)

وقوله :

(... يريدون ان يبدلوا كلام الله ...) (٧)

وغير ذلك .

---

(١) فى ظ ،ت : وهذا محال

(٢) فى ظ : ما يشاء

(٣) فى ع : وخص وفى البقيه ويخص

(٤) كلمة "والخبر" لم ترد فى ع ،وردت فى بقية النسخ .

(٥) سورة النساء من آية ١٦٤

(٦) سورة الشورى من آية ٥١

(٧) سورة الفتح من آية ١٥

ودليله من العقل :

ان القرآن العزيز الذى هو كلامه ثبت بالتواتر والتواتر برهان قاطع أبين من كل برهان فان من لم يدخل مكة ولم يرها قط قد استوى علمه بوجودها مع (علم) (١) من دخلها ورآها . وكذلك مصر وبغداد وجميع البلدان المشهورة قد استوى علمه بوجود جميعها مع علم من دخلها ورآها وانما ثبت هذا بالتواتر والشهرة .

وثبت للعقول أنه كلام الله وأنه ليس كلام آدمى ولا خلق : بالاعجاز الذى فيه فانه قد اعجز (٢) الخلق كلهم على فصاحتهم ونبلهم ومكيدة عقولهم عن أن يأتوا بسورة (من) (٣) مثله أو بعشر أو بقرآن مثله (٤) ثم كان الرسول الذى أتى به أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر فكان ذلك منه أبين بيان على أنه كلام الله تبارك وتعالى .

ثم انه تحدى الكل وقال لهم :

(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٥)

---

(١) كلمة " علم " وردت فى خ

(٢) فى ظ ، خ ، ت قد عجز

(٣) حرف " من " لم يرد فى ع

(٤) كان القرآن الكريم فى تدرجه مع المعاندين المعارضين للقرآن على عكس ما قال المؤلف فقد تدرج معهم حيث تحداهم أولا بالاتيان بمثله فلما لم يستطيعوا تحداهم بالاتيان بعشر سور منه فلما لم يستطيعوا تنازل معهم الى سورة واحدة ثم اخبر أنهم لن يستطيعوا شيئا من ذلك أبدا فقال : (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) الآية ٢٤ من سورة البقره وانظر تفسيرها فى ابن كثير وانظر اعجاز القرآن لمصطفى الرافعى ص ١٧٠ ط ٩

(٥) سورة الاسراء آية ٨٨

اى معينا فلما لم يستطع أحد أن يأتي بمثله أو بمثل سورة منه علــــــم

بالبرهان القاطع والدليل الساطــع انه كلام الله جل جلالــه .

فاذا ثبت أنه كلام الله ثبت أنه غير مخلوق ولو كان كلام بشر لكان مخلوقـــا

مثل المتكلم به فافهم (١) .

وروى عن امام العلماء وسيد الحكماء على بن أبى طالب رضى الله عنـــه

حين قالت له الخوارج :

حكمت فى دين الله المخلوقين فقال : والله ما حكمت مخلوقا ما حكمـــت

الا القرآن (٢) فاذا تحققت هذا علما فاعلم (٣) :

---

(١) فى شرح السنه للبغوى فى باب الرد على من قال بخلق القرآن جـ١ ص١٨٦
قال :
وقد مضى سلف ،هذه الأمة وعلماء السنة على أن القرآن كلام الله ووحيه ليس
بخالق ولا مخلوق ، والقول بخلق القرآن ضلالة وبدعة لم يتكلم بها أحـــد
فى عهد الصحابة والتابعين رحمهم الله وخالف الجماعة الجعد بن درهــم
فقتله خالد بن عبد الله القسرى بذلك، فخطب بواسط فى يوم أضحى وقال :
ارجعوا أيها الناس ضحوا تقبل الله منكم فاني مضح بالجعد بن درهم
فانه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما سبحانه
وتعالى عما يقول الجعد . ثم نزل فذبحه . .
وانظر خلق افعال العباد للامام البخارى تحقيق د /عبد الرحمن الوكيل ص٢٩

(٢) ذكره البيهقى فى الاعتقاد على مذهب السلف . ص٣٨ وانظر تلبيس ابليس
ص ٩٠ — ٩٤

(٣) عرفنا فيما مضى ص ان مذهب المؤلف فى صفة الكلام هو مذهب الأشاعرة
وقد اوردت فى تعليقى هناك مذاهب الناس فى مسألة الكلام ونقلت الأقوال
فى ذلك من شرح العقيدة الطحاوية .
وهنا أورد المؤلف مذهبه ببعض التفصيل والاستدلال فيهمنا مناقشته فـــى
ذلك على ضوء ما يراه السلف :

ان كلام الله تعالى ليس بصوت ولا حـرف.

والكلام الحقيقى هو كلام النفس (١) كما قال الشاعر :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا (٢)

---

(١) السلف لا يرتضون ان يكون كلام الله كلاما نفسيا اذ لا يدل لذلك عقل صحيح ولا نقل ويرون ان كلام الله تعالى كلام حقيقي وأنه لم يزل متكلما اذا شـاء ومتى شاء وكيف شاء بصوت يسمع .

وان نوع الكلام قديم وان لم يكن الصوت المعين قديما وكلامه لا يشبه كـلام خلقـه .

والوصف بالتكلم حقيقه من أوصاف الكمال . والوصف بأن الكلام كلام النفس من أوصاف النقص اذ لا يقال لمن قام به الكلام النفسانى ولم يتكلم به ان هذا كلام حقيقة والا لزم ان يكون الأخرس متكلما اذ الأخرس له خواطر يريد التكلـم بها ولكنه مع ذلك لا يستطيع فالله سبحانه منزه عن مثل هذا العجز الذى يعتبر نقصا فى المخلوق .

انظر شرح الطحاويه ص ١٨١ و ١٩٦

والبيهقى وموقفه من الالهيات ٢٠٠و٢٠١

(٢) هذا البيت للأخطل وقد استدل به الأشاعرة فى هذا الموضع المهم مـن العقيده وأترك نقده لشارح الطحاوية رحمه الله حيث قال :

(وأما من قال انه — (اى كلام الله) معنى واحد واستدل عليه بقـول الأخطل :

ان الكلام لفى الفؤاد وانمـا جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فاستدلال فاسـد .

ولو استدل مستدل بحديث فى " الصحيحين " لقالوا :هذا خبر واحد ويكـون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به . فكيف وهـذا البيت قد قيل انه موضوع منسوب الى الأخطل وليس هو فى ديوانـه . =

. . . .

. . . .

= وقيل انما قال : "ان البيان لفى الفؤاد . . ." وهذا اقرب الى الصحة وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به فان النصارى قد غلوا فى معنى الكلام وزعموا ان عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت اى شىء من الاله بشىء من الناس :

افيستدل بقول نصرانى قد ضل فى معنى الكلام على معنى الكلام وترك ما يعلم من معنى الكلام فى لغة العرب ؟ !

وأيضا فمعناه غير صحيح اذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلما لقيام الكلام بقلبه وان لم ينطق به ولم يسمع منه .

راجع شرح العقيده الطحاويه ص ١٩٨

ثم أورد رحمة الله بعد ذلك أدله نقليه صريحه ترد قول من قال ان الكلام هو المعنى القائم بالنفس كالحديث المتفق عليه :

(ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به) فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس الا أن تتكلم ففرق بين حديث النفس وبين الكلام .

انظر شرح الطحاويه ص ١٩٩ والبيهقى وموقفه من الالهيات ص ٢٠١

فالأصوات والحروف انما وضعت بدلالات على كلام النفس (١) .

---

(١) هذا مذهب الأشاعرة في الأصوات والحروف .

وتوضيح مذهبهم في ذلك أن القرآن الموجود المقرؤ هو عبارة عن كلام الله تعالى فالقرآن عندهم نوعان :

أ ـ معان ، ب ـ الفاظ .

فالألفاظ عندهم : مخلوقة وهي هذه الالفاظ الموجودة وتتضمن الأصوات والحروف .

والمعاني قديمة قائمة بالنفس وهي معنى واحد قائم بالنفس ـ كما سبق استشهاد المؤلف عليه ببيت الأخطل .

وهذا المعنى النفسي عندهم ان عبر عنه بالعربيه كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرانية كان توراتا أو بالسريانية كان انجيلا فالتعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض انما هو حاصل في الدلالات لا في المدلول الذى هو كلام النفس وهذه العبارات والدلالات مخلوقة وانما سميت كلام الله لدلالتها على كلام الله وتأديه بها .

انظر : شرح المواقف تحقيق أحمد المهدى ص١٤٨ ـ ١٥٢

ومختصر الصواعق ص ٢٩١

والرسائل والمسائل لابن تيميه جـ ٣ ص ١٥٢

وقد رد السلف هذا القول وأنكروه على الأشاعرة لما يستلزم اعتقاده من مخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمـة .

وخلاصة مذهب السلف في صفة كلام الله تعالى هو كما ورد في شرح العقيده الواسطيه : (أن الله تعالى لم يزل متكلما اذا شاء وان الكلام صفة قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته فهو لم يزل ولا يزال متكلما اذا شاء وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقا منفصلا عنه ـ كما يقول المعتزله ـ ولا لازما لذاته لزوم الحياة ـ كما تقول الاشاعرة ـ بل هو تابع لمشيئته وقدرته ، والله سبحانه نادى موسى بصوت ونادى آدم وحواء بصوت وينادى عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بالوحي بصوت لكن الحروف والأصوات التي تكلم الله بها صفة له غير مخلوقه ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم كما أن علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده فان الله لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاته . . .

راجع : شرح العقيدة الواسطيه تأليف محمد خليل الهراس ص ٨١

ومن قلت له : اكتب أرضا او سماء أو فرسا او آدميا فكتب الذى أمليت عليه في ورقة او لوح ثم زعم أن الارض او السماء أو الفرس هو المكتوب فى الورقة فاقطع طمعك عن عقله وأقض بحماقته (١) .

---

(١) ذكر ابن القيم رحمه الله فى كتابه القيم : مختصر الصواعق كلاما مفيدا لابد لطالب الحق والصواب معرفته ، وبمعرفته وفهمه يتضح خطأ المؤلف فى ما ذهب اليه هنا وفى الفقرة التى تلى . قال ابن القيم رحمه الله :

كل ذى فطرة سليمة يعلم أن وجود الكلام فى المصحف ليس بمنزلة وجود الحقائق الخارجية فيها ، ولا بمنزلة وجودها فى محالها وأماكنها وظروفها ، ويجد الفرق بين كون الكلام فى الورقة وبين كون الماء فى الظرف . فهاهنا ثلاث معان متميزه لا يشبه كل منها الآخر ، فان الحقائق الموجوده لها وجود عين ثم تعلم بعد ذلك ، ثم يعبر عن العلم بها ، ثم تكتب العبارة عنها ،

فهذا العلم والعبارة والخط ليس هو أعيان تلك الحقائق بل هو : وجودها الذهنى العلمى فى محله وهو القلب والذهن .

ووجودها اللفظى النطقى فى محله وهو اللسان فى الآدمي .

ووجودها الرسمي الخطي فى : قوله وهو الكتاب أو ما يقوم مقامه من حفر فى حجر أو خشب ... (ـ الى ان قال رحمه الله) :

اذا عرف هذا فكون الرب تعالى واسمائه وصفاته فى الكتاب غير كون كلامه فى الكتاب فهذا شىء وهذا شيء ، فكونه فى الكتاب هو اسمه واسماء صفاته والخبر عنه وهو نظير كون القيامة والجنة والنار والصراط والميزان فى الكتاب انما ذلك اسماؤه والخبرعنها ،

واما كون كلامه فى المصحف والصدور فهو نظير كون كلام رسوله فى الكتاب وفى الصدور فمن سوى بين المرتبتين فهو ملبس أو ملبوس عليه .....

راجع مختصر الصواعق المرسله لابن القيم جـ٢ ص ٣١٨ — ٣١٩

وانظر ص ٣٢٢ منه .

وانظر شرح الطحاوية ص ١٩٨

ومن زعم أن حركة شفتيه أو صوته وكتابته بيده في الورقة هو عين كلام الله القائم بذاته فقد زعم أن صفة الله قد حلت بذاته ومست جوارحه وسكنت قلبه وأى فرق بين من يقول هذا وبين من يزعم من النصارى أن الكلمة اتحدت بعيسى عليه السلام (١).

(١) هذه المزاعم لا يمكن حصولها الا لمن لا يفرق بين ما هو من صفات الله تعالى ولائق به وبين ما هو من صفات المخلوق ولائق به ،
قال ابن تيميه رحمه الله :
وكثير من الخائضين في هذه المسألة ـ أى مسألة كلام الله ـ لا يميز بين صوت العبد وصوت الرب بل يجعل هذا هو هذا فينفيهما جميعا او يثبتهما جميعا فاذا نفى الحرف والصوت نفى أن يكون القرآن العربى كلام الله وأن يكون منادياً لعباده بصوته وأن يكون القرآن الذى يقرأه المسلمون هو كلام الله ،كما نفى أن يكون صوت (العبد صفة لله عز وجل ، ثم جعل كلام الله المتنوع شيئا واحدا لا فرق بين القديم والحادث وهو مصيب فى هذا الفرق (ـ اى فى كونه لا فرق بين القديم والحادث ـ) دون ذاك الثانى الذى فيه نوع من الالحاد والتعطيل حيث جعل الكلام المتنوع شيئا واحدا لا حقيقة له عند التحقيق ،
واذا أثبت جعل صوت الرب هو صوت العبد أو سكت عن التمييز بينهما مع قوله : ان الحروف متعاقبه في الوجود مقترنة فى الذات قديمة أزلية الأعيان فجعل عين صفة الرب تحل فى العبد أو يتحد بصفته فقال بنوع من الحلول والاتحاد يفضى لها نوع من التعطيل.
وقد علم أن عدم الفرق والمباينة بين الخالق وصفاته والمخلوق وصفاته خطأ وضلال لم يذهب اليه أحد من سلف الأمة وأئمتها بل هم متفقون على التمييز بين صوت الرب وصوت العبد ومتفقون أن الله تكلم بالقرآن الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم حروفه ومعانيه وأنه ينادى عباده بصوته.
ومتفقون على أن الأصوات المسموعه من القراء أصوات العباد وعلى أنه ليس شىء من أصوات العباد ولا مداد المصاحف قديما بل القرآن مكتوب فى مصاحف المسلمين مقرؤ بألسنتهم محفوظ بقلوبهم وهو كله كلام الله . . .
راجع مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية جـ ٣ ص ١٥٣

والحروف أيضا والأصوات مختلفة فيها خط حسن وأحسن منه وخط غير حسن يعاب عليه صاحبه (ويضرب) (١) وكذلك الأصوات مختلفة باختلاف الخلق فيها صوت مطرب وصوت خشين (٢) وصوت يشتم عليه صاحبه (٣) فأى صوت منها او أى خط هو كلام الله فيها (٤) والحروف والاصوات متقدمة بعضها على بعض فالألف قبل اللام والميم قبل اللام (٥) وآخر

---

(١) كلمة" ويضرب " لم تذكر فى خ

(٢) فى ت : صوت خشن

(٣) كلمة" صاحبه" لم تذكر فى خ

(٤) قال ابن تيمية رحمه الله :

لما كان السلف والائمة متفقين على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وقد علم المسلمون ان القرآن بلغه جبريل عن الله الى محمد وبلغه محمد الى الخلق وان الكلام اذا بلغه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه بل هو كلام لمن قاله مبتدئا لا كلام من بلغه عنه مؤديا فالنبى صلى الله عليه وسلم اذا قال :

(انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى) وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد حتى وصل الينا كان من المعلوم أنا اذا سمعناه من المحدث به انما سمعنا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تكلم به بلفظه ومعناه وانما سمعناه عن المبلغ عنه بفعله وصوته ، ونفس الصوت الذى تكلم به النبى صلى الله عليه وسلم لم نسمعه ،وانما سمعنا صوت المحدث عنه والكلام كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كلام المحدث فمن قال ان هذا الكلام ليس كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مفتريا .

وكذلك من قال ان هذا لم يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما احدثه فى غيره أو ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بلفظه وحروفه بل كان ساكتا أو عاجزا عن التكلم بذلك فعلم غيره ما فى نفسه فنظم هذه الالفاظ ليعبر عما فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم ونحو هذا الكلام =

. . . .

= فمن قال هذا كان مفتريا ومن قال ان هذا الصوت المسموع صوت النبي صلى الله عليه وسلم كان مفتريا .

فاذا كان هذا معقولا فى كلام المخلوق فكلام الخالق أولى باثبات مايستحقه من صفات الكمال وتنزيه الله أن تكون صفاته وأفعاله هى صفات العباد وأفعالهم ،أو مثل صفات العباد وأفعالهم . . .

راجع مجموعة الرسائل والمسائل جـ٣ ص ١٢٣

وقال رحمه الله فى موضع آخر :

فان قيل : فهذا الذى يقرأه القارىء هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه هو؟
قلنا :لا بل القارىء يؤدى كلام الله تعالى ، والكلام انما ينسب الى من قاله مبتديئا لا الى من قاله مؤديا مبلغا ،

ولفظ القارىء فى غير القرآن مخلوق ،وفى القرآن لا يتميز اللفظ المؤدى عن الكلام المؤدى عنه ولهذا منع السلف عن قول : لفظى بالقرآن مخلوق لأنه لا يتميز كما منعوا عن قول : لفظى بالقرآن غير مخلوق ،

فان لفظ العبد فى غير التلاوة مخلوق وفى التلاوة مسكوت عنه كيلا يؤدى الكلام فى ذلك الى القول بخلق القرآن وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه ،والله الموفق

راجع مجموعة الرسائل والمسائل جـ٣ ص ١٨٤

(٥) فى ت ،خ : فالألف قبل اللام واللام قبل الميم وله حد وأخر ونهايه . . . وهو الصواب لانه يريد " الم" .

ونهايه ، وصفات الله (١) لا توصف بالحد والنهايه والقبل والبعد (٢) .
ومع هذا كله فكلام الله مكتوب فى المصاحف مقرؤ بالألسنة محفوظ فى القلوب وليس حالا فى مصحف ولا فى جارحة وقلب بل هو المسموع والمفهوم (٣)
ولو كانت الحروف هى نفس كلام الله كيف كان عثمان رضى الله عنه يستخبر (٤) عنه ،أو كيف كان يتجرأ أو يقدم (٥) على حرق المصاحف بمحضر الاف من الصحابه وهم العلماء القدوة رضى الله عنهم ، كلا بل علم عثمان (٦) والصحابه رضى الله عنهم :
ان كلام الله ليس بأشخاص ولا حروف فتحرق باحراق الأوراق والمداد ، وتبين بفعله ذلك رضى الله عنه الفرق بينه وبين الحشوية المجسمه التى تزعم أن كلام الله صوت وحرف ففيه اسوة حسنة لأهل السنة والحمد لله . (٧) .

---

(١) فى ظ : وصفات الاله

(٢) هذا عند الأشاعرة لان مذهبهم فى كلام الله مبنى على مسألة انكار قيام الافعال والأمور الاختياريه بالرب تعالى ويسمونها مسأله : حلول الحوادث
انظر مختصر الصواعق المرسله لابن القيم جـ٢ ص ٢٩٢

(٣) راجع التعليق السابق فى ص

(٤) فى ظ ،ت ،خ : كيف كان يستخير عثمان رضى الله عنه او كيف . . .

(٥) فى ظ ،ت ،خ : يتجرأ أن يقدم

(٦) من قوله : بل علم عثمان . . الى قوله : والحمد لله سقط من : خ

(٧) تعليق :
ان احراق عثمان رضى الله عنه للمصاحف بحضرة من حضر من الصحابه وموافقتهم على ذلك ، وجمعهم على مصحف واحد كان ذلك لمصلحة عظيمة هى جمع الأمة حين تفرق المسلمون فى الأمصار فكان أهل كل اقليم يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابه فحدث اختلاف فى حروف الاداء ووجوه القراءه واستفحل بينهم الخلاف حتى كفر بعضهم بعضا وكادت تكون فتنة عظيمة فى الأرض بين المسلمين قال الزرقانى فى كتابه : مناهل العرفان : جـ١ ص ٢٤٨ : ==

....

ولم يقف هذا الطغيان عند حد بل كان يلفح بناره جميع البلاد الاسلاميه حتى الحجاز والمدينه وأصاب الصغار والكبار على السواء : اخرج ابن أبي داود في " المصاحف " من طريق أبي قلابة أنه قال :

لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضا فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال :انتم عندى تختلفون فمن نأى عني في الأمصار أشد اختلافا ..

وبهذا يتضح ان احراق المصاحف المخالفة للمصحف الذى اتفق الصحابة على جمع الناس عليه واتلافها لم يكن لأن عثمان ومعه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتقدون ان القرآن ليس كلام الله او أن كلام الله ليس بصوت وحرف فلا تجب له الحرمه والتكريم والاجلال .

ولقد أعظم المؤلف الفرية على الصحابة رضوان الله عليهم وعلى أتباعهم في زعمه أن الصحابة كانوا يعتقدون في كلام الله أنه كلام نفسي ليس بصوت ولا بحرف وان احراقهم للمصاحف كان بناء على عدم اعتقادهم لحرمة القرآن وأنه ليس بكلام الله فهو استدلال من المؤلف واهٍ ضعيف بعيد عن الصواب فاولئك العلماء رضوان الله عليهم هم الذين نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المعتقد السليم الواضح في الله تعالى وفي اسمائه وصفاته وما يجب له ولكتبه ولرسله ولملائكته ولرسالته ... الخ فهم أعلم ممن جاء بعدهم بحرمة القرآن الكريم وهم أعظم اجلالا له وتقديرا وفعله ذلك كان من تمام حفظ الله لكتابه ..

وقد حذر ابن القيم رحمه الله من هذا المأزق الخطير الذى يقع لكل من يعتقد في القرآن انه ليس بكلام الله أو أنه كلام نفسي ليس بحرف وصوت فقد قال رحمه الله بعد أن حقق التشابه بين المذهبين المشار اليهما :

ومن هنا استخف كثير من أتباعهم بالمصحف وجوزوا دوسه بالأرجل لأنه بزعمهم ليس فيه الا الجلد والورق والزاج والعفص ،والحرمة التى ثبتت له دون الحرمة التى ثبتت لديار ليلى وجدرانها بكثير فان تلك الديار حلت فيها ليلى ونزلت بها ، وهذا الجلد والورق انما حل فيه المداد والأشكال المصورة الدالة على عبارة كلام الله المخلوقة ..... الى ان قال رحمه الله :

. . . .

= أليس هذا الكتاب الذى قال الله فيه :

(وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (فصلت ٤١ — ٤٢)

وقال :

(انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون) (الواقعه ٧٧— ٧٨)

وقال :

(والطور وكتاب مسطور فى رق منشور) (الطور ١ — ٣)

أو ليس الحبر والورق قبل ظهور الحروف المكتوبه لا يمنع من مسه المحدثون

واذا ظهرت الحروف المكتوبه صار (لا يمسه الا المطهرون)

اليس هذا الكتاب الذى قال فيه صاحب الشريعه تنزيها وتجليلا :

(لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو مخافة أن تناله أيديهم .) . . . .

ولمزيد المعرفة لمذهب واراء السلف فى هذا الأصل الهام فى العقيده

والذى حاد المؤلف فيه عن مذهب السلف الصالح وأتى بما يخالفه ويناقضه

يراجع : مختصر الصواعق المرسله لابن القيم جـ٣ ص ٢٨٦ من عند قوله :

فصل : اختلف أهل الأرض فى كلام الله تعالى فهو بحث جدير بالقراءة لمعرفة

الصواب الذى كان عليه السلف رضوان الله عليهم .

الأصل السادس : البصـــــر :

دليله من القرآن قوله تعالى :

(وكان الله بكل شيء بصيرا (١))

ودليله من العقل :

ان البصير هو الذى يتصرف بنظره فى ملكه ويضع الأشياء مواضعها ولو كـان عادما لصفة البصر كيف كان يتصرف فى ملكه وينفذ أفعاله فى جميع ملكوتـــه فقد ثبت بجميع الأفعال (٢) وتصرفه فى ملكه بصره بالبرهان البين والحمد لله لأن من عدم البصر كان به (آفة) (٣) العمى والأعمى وان كان عالمـــا لا يهتدى سبيلا ولا يتصرف فيما يحب .

الأصل السابع : السمـــع :

أما دليله من القرآن فقوله (تعالى) :

(قد سمع الله) (٤)

وقوله :

(... اننى معكما اسمع وأرى) (٥)

---

(١) فى ظ ،ت : (والله بكل شيء بصير) ولم أجد عن طريق المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم آية بهذا النص . والآيات التى فيها اثبات صفة البصـر كثيرة فى القرآن كقوله فى سورة الملك (انه بكل شيء بصير) آية ١٩ وقولــه (ان الله كان سميعا بصيرا) النساء ٥٨ .

(٢) فى ظ ،ت : فقد ثبت بوجود الأفعال

(٣) كلمة" أفة" وردت فى ظ ،خ ،ت

(٤) اول سورة المجادله

(٥) سوره طه من آية ٤٦

ودليله من العقل :

أستجابته لخواص عباده الأنبياء عند بعثهم الى الامم وتكذيبهم اياهم (واقتراحهم عليهم المعجزات) (١) فيسألونه ويدعونه فيجيبهم ولو لم يسمعهم لما أجابهم وقد ثبتت عقوبات الأمم واهلاكهم بعد دعاء الأنبياء واستجابة الله لهم بالبرهان المتواتر الذى لا شك فيه كقول نوح عليه السلام :

(... رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) (٢)

فكان استجابته له موافقا لدعائه .

وكقول أيوب عليه السلام :

(... مسنى الضر وأنت ارحم الراحمين ..)

ثم قال :

(... فاستجبنا له ..) (٣)

وكقول زكريا عليه السلام :

(... رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين)

ثم قال :

(فاستجبنا له ووهبنا له يحي ..) (٤)

وكقول ذى النون :

(.. لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين)

ثم قال :

(فاستجبنا له ..) (٥)

---

(١) كذا ورد فى جميع النسخ ما عدا ع ففيها " وافترائهم عليهم بالمعجزات" وهو خطأ

(٢) سورة نوح آية ٢٦

(٣) سورة الأنبياء من الآيتين (٨٣ ، ٨٤)

(٤) سورة الأنبياء من الآيتين (٨٩ ، ٩٠)

(٥) سورة الأنبياء من الآيتين (٨٧ ، ٨٨)

وكقول عيسى عليه السلام

(... اللهم ربنّا انزل علينا مائدة من السماء .. قال الله انى منزلهـا عليكم ..) (١)

وأمثال ذلك لاتحصى (٢)

فقد تواتر فى حق كل من غاب عن تلك المواطن كما ثبت مشاهدة فى حق كل من حضر (٣) تلك المعجزات والتواتر والمشافهة فى العلم بوجود الشـىء سواء فى حق غير الأنبياء .

والاجابة للأولياء (٤) كثير وهو أفضل الكرامات فيعطيهم ما يسألون ولو لم يسمعهم لما أجابهم قال الله تبارك وتعالى فى هذا المعنى .

(واذا سألك عبادى عنى فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ..) (٥)

وعبادة العالم كلها (٦) اكثرها بالأذكار سرا أو جهرا وحركات الوجـود كله أصوات خفية وجليه وهو يعلم الخلق (بأسرار أقوالهم) (٧) وجهرهـا كقوله تعالى :

(الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجـون بالاثم والعدوان ..) (٨)

وكقوله :

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ..) (٩)

ولو لم يسمع ذلك لما اعلم به كما سمعه فافهم.

---

(١) سورة المائدة من الآيتين (١١٤ — ١١٥)

(٢) كلمة : لاتحصى لم ترد فى خ

(٣) فى ظ ،ت : ثبت مشافهة وفى خ : كما ثبت فى حق كل من حضر

(٤) فى ظ ،ت : لأولياء الله

(٥) سورة البقره آية ١٨٦

(٦) فى ظ ،ت : كله أكثرها .

(٧) فى ع : بأقوال أسرارهم وهو خطأ

(٨) سورة المجادلة من آية ٨

(٩) سورة المجادلة من آية ١

الاصل الثامــن :

كمال الادراك : للطعوم والروائح والملموسات (١) :

---

(١) بين ابن تيمية رحمه الله ان مثبتة الصفات لهم في هذه الادراكات ثلاثـــة أقوال معروفة وهذا تلخيص لما ذكره :

الأول :

اثبات هذه الادراكات لله تعالى كما يوصف بالسمع والبصر .
وهذا قول القاضي ابي بكر وأبي المعالي (وقال) وأظنه قول الاشعري نفسه ،بل هو قول المعتزله البصريين الذين يصفونه بالادراكات .
وهؤلاء يقولون تتعلق به الادراكات الخمسة كما تتعلق به الرؤية . .

الثاني :

قول من ينفي هذه الادراكات الثلاثـه . . .
وهذا قول طوائف من الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد وكثيـر من أصحاب الأشعري وغيره .

الثالث :

اثبات ادراك اللمس دون ادراك الذوق لأن الذوق انما يكـــون للمطعوم فلا يتصف به الا من يأكل ولا يوصف به الا ما يؤكل ، واللـــه سبحانه منزه عن الأكل بخلاف اللمس فانه بمنزلة الرؤية واكثر أهـــل الحديث : يصفونه باللمس لأنه كمال لا نقص فيه وقد دلت عليــــه النصوص بخلاف ادراك الذوق فانه مستلزم للأكل وذلك مستلزم للنقص.

راجع مجموع فتاوى ابن تيميه جـ ٦ ص ١٣٥
وانظر الانصاف للباقلاني تحقيق الكوثري ص ٢٥

أما دليل ادراكه لها من القرآن فكقوله تعالى :

(... من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ..) (١)

وكقوله تعالى :

(... لم يتغير طعمه ..) (٢)

دليله أنه يدرك ما تغير طعمه .

وكقوله :

(..من ماء غير آسن ....) (٣)

دليله ادراكه للآسن ..

وكقوله :

(.. كلوا من طيبات ما رزقناكم ..) (٤)

فخص الطيب وهو الحلال وما فيه اللذة أيضا فدل بتخصيصه اللذيذ أنه يدرك الكريه المطعم المر المذاق .

وكقوله فى الروائح :

(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ..) (٥)

وليس شىء انتن من رائحة (الحيض)

وكقوله :

(من صلصال حما مسنون) (٦)

اى منتن متغير

وكقوله :

(.. انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ..) (٧)

---

(١) سورة النحل من آية ٦٦

(٢) سورة محمد من آية ١٥

(٣) سورة محمد من آية ١٥

(٤) سورة البقرة من آية ٥٧

(٥) سورة البقرة من آية ٢٢٢

(٦) سورة الحجر من الآيات : ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣

(٧) سورة الأحزاب من الآية ٣٣

أى النتن (١) كما قال تعالى :

(.. فزادهم رجسا الى رجسهم ..) (٢)

اى نتنا الى نتنهم لان الكافر رجس نجس (٣)

وقال فى رائحة يوسف عليه السلام :

(... انى لأجد ريح يوسف ..) (٤)

لأن كل طيب له رائحة طيبة كما كانت توجد رائحة (٥) محمد عليه السلام

---

(١) فسر الشوكانى الرجس بأنه الاثم والذنب المدنسان للأعراض الحاصلان بسبب ترك ما أمر الله به وفعل ما نهى عنه فيدخل تحت ذلك، كل ما ليس فيه للـــه رضا .

فتح القدير جـ ٤ ص ٢٧٨

(٢) سورة التوبة من آية ١٢٥

(٣) يظهر أن المؤلف يحمل الرجس فى الآيتين على النجاسة الحسية ويرى ان الكافر نجس حسا وحكما وهو على خلاف ما يرى الجمهور من ان نجاسة الكافر حكمية اى أنه نجس نجاسة اعتقاد واستقذار . قال ابن تيمية رحمه الله فـى معنى قوله تعالى :

انما المشركون نجس) سورة التوبة ٢٨ :

هذه النجاسة لاتفسد الماء بدليل أن سؤر اليهودى والنصرانى طاهر وآنيتهم التى يضعون فيها المائعات ويغمسون فيها أيديهم طاهرة وقد اهدى اليهودى للنبى "ص" شاة مشوية واكل منها لقمة مع علمه أنهم باشروها . . .

راجع: مجموعة فتاوى ابن تيميه جـ ٢١ ص ٦٧

وانظر مبحث: القول فى الكافر طهارة ونجاسة فى نيل الاوطـــار للشوكانى حـ ١ ص ٢٠

(٤) سورة يوسف من آية ٩٤ ولا يخفى بعد استدلاله هنا فالمدرك للرائحه كما هو صريح الآيه انما هو ابو يوسف، فالايه : (قال أبوهم انى لأجد ريح يوسف .)

(٥) فى ت : توجد طيب رائحة . . . .

وقال :

(.. ولا رطب ولا يابس ...) (١)

فعبر عن الملموس الرطب واليابس(٢) : وقال :

(نار حاميه (٣))

اى حارة وانما يجد المخلوق حرارتها بلمسها وقال :

(يقلب الله الليل والنهار ...) (٤)

اى بما فيهما . وهذا كثير لاتحصى شواهد ادراكه للاشياء من جميع الوجود على الكمال الأرفع .

ودليله من العقل :

ان ادراكه لذلك كمال وفقده نقصان ولو كان بعجزه شيء لا يدركه لكان ناقصا ، والاله لا يكون ناقصا .

ولأن ا مخلوقاته مثل بنى آدم وغيرهم يدركون جميع ذلك بحواسهم وذلك كمال فضلوا به على غيرهم (٥) فمن لم يدرك (٦) ذلك فهو ناقص فكيف يكون خلقه تبارك وتعالى اكمل منه . فافهم (٧) .

---

(١) سورة الأنعام من آية ٥٩

(٢) فى ت ،خ : بالرطب واليابس

(٣) سورة القارعة آية ١١

(٤) سورة النور من آية ٤٤

(٥) فى خ : عن غيرهم

(٦) فى ت ،خ : فمن لا يدراه

(٧) فى ظ ، فافهم ذلك

الأصل التاسع :

العلم بأنه منزه عن شبه الحوادث وطروها عليه .

اعلم ان البارى تبارك وتعالى مخالف فى أوصافه لجميع الأشياء ليس ادراكه كادراك الخلق ولا كما يتوهمه الجاهلون بل هو جل جلاله عالم بغير قلب ولا دماغ وقابض وباسط وفاعل ومالك بغير جارحة ومريد بغير تمن ولا فكر ومتكلم بغير لسان ولا صوت ولا حرف وسميع بغير اذن ولا اصغاء وبصير بغير حدقة وجفن ولا مقابلة ومدرك للطعوم بغير شفة ولا ذوق وللروائح بغير انف ولا شم وللرطب واليابس ويقلب الليل والنهار بما فيهما والقلوب والوجود كله بغير ملاصقة ولا لمس .

وكذلك يجيء بغير حركة وينزل بغير هبوط ولا سفول (١) ويغضب من غير تغير ولا تشف ويرضى من غير استبشار ولا طيب نفس ويحب من غير سرور ولا فرح ويقرب من غير تلاصق ولا اتصال ويبعد من غير تناء وانفصال ويعلو على جميع الأشياء من غير استقرار ولا مكان بل بعلو الرتبة والمكانة وسمو الرفعة والجلالة . واحذر مزلة الوهم والخيال فان هذا الصراط أدق من الشعر وأحد من الموس (٢)

(١) فى خ : ولا سفل .

(٢) الذى عليه السلف رضوان الله عليهم ان الله تعالى لا يشبه المخلوق فى اسمائه ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، وكذلك المخلوق لا يشبه الله فى شىء منها كما قال ابو حنيفه رحمه الله فى الفقه الاكبر :ص١٣ : "لا يشبه شيئا من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شىء من خلقه ...) .

والسلف رضوان الله عليهم يلتزمون بمنهج القرآن والسنه فى اثبات ما اثبته الله لنفسه ونفى ما نفاه الله عن نفسه باثبات مفصل ونفى مجمل " ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) ويسكتون عما أمسك عنه .

....

= والمؤلف هنا خالف هذا المنهج وسلك طريق المتكلمين فأتى بنفى مفصل اشتمل على حق وباطل فقد اشتمل كلامه هنا على نفى صفات ثبتت بالنص كصفة الصوت والفرح والعلو بمعنى الاستقرار وغير ذلك من الصفات وقد بين شارح الطحاويه رحمه الله :

ان أهل الكلام المذموم يأتون بالنفى المفصل والاثبات المجمل يقولون : ليس بجسم ولا شبح ولا جثه ولا صورة ولا لحم ... الى آخر ما نقله ابو الحسن الاشعرى رحمه الله عن المعتزله ....

ثم قال : وفى هذه الجمله حق وباطل ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة ، وقال : والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الالهية هو سبيل أهل السنة والجماعة ...

وبين أن الطحاوى عند ما قال " ولا شىء يعجزه " ان ذلك ليس من النفى المذموم .

فان الله تعالى قال (وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض انه كان عليما قديرا) فاطر ٤٤

وهذا دليل على التزام السلف بالألفاظ الشرعية النقلية .

راجع : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٨

والفقه الأكبر مع شرحه ص ١٣ — ١٥

وأمور البارى كلها أجل وارفع مما يتوهمه الجاهلون

ودليل ذلك من القرآن العزيز :

(... ليس كمثله شىء ..) (١)

وقوله (٢) :

(لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) (٣)

ودليله من العقل :

انه لو كان يشبه الأشياء فى أوصافه لوجب عليه ما يجب عليها لأن حقيقة الشبه أن يكون للواحد مثل ما للآخر (٤) ولو كان ذلك لما عرف الخالق من المخلوق ولا الرب من المربوب ولا المالك من المملوك لأنه كان يلزمه مثل ما لزمها فيصير مثلها وهى مثله واذا كان مثلها فهو واحد منها مصنوع كصنعتها لأن الاشياء مصنوعة قد شهدت العقول بالبراهين القاطعة وضع صورها وهيئة تأليفها وتركيبها فلو أشبهها فى شىء من (صفاتها) (٥) لكان مصورا مثلها مصنوعا فبالضرورة القاطعة وجب أن يكون مخالفا لها فى جميع صفاته واذا كان مخالفا لها لم تشبهه ولم يشبهها فما ورد عليك فى الشرع من المشتبهات فان كنت ممن ينهض فيها بطريق العلم الراسخ والا فارجع الى هذا الأصل وهو علمك بأنه مخالف لجميع الأشياء وانف عنه مالا يليق به وهو معنى (ليس كمثله شىء ..) (٦)

---

(١) سورة الشورى من آية ١١

(٢) فى خ : وهو قوله :

(٣) سورة الاخلاص الايتين ٣ و ٤

(٤) فى ظ : مثل ما فى الآخر

(٥) فى ع : من صفاته

(٦) سورة الشورى من آية ١١

الأصـــل العاشـــر :

العلم بأنه قديم الصفات :

أما دليله من القرآن فقوله جل جلالـه :

(... وكان الله على كل شيء قديرا) (١)

(... وكان الله بكل شيء بصيرا) (٢)

(... وكان الله سميعا عليما ..) (٣)

وأمثال هذا لاتحصى :

فمعنى " كان " في هذه الآيات وما أشبهها : كان الله في أزله ولا يجـــوز أن تصرف فيقال : كان يكون ولذلك أطلق بعض العلماء في كان فقال :

كان هو الله أشار به الى كأنه القديم جل جلالـــه

ودليله من العقل :

أن الله جل جلاله حين أوجد الأفعال والموجودات لو لم يتقدم له العلـم بوجودها والقدرة عليها والكلام المخاطب لها (٤) بالتكوين والارادة وجميع الأوصاف الموجبه له رتبة الربوبية والملك لما صح منه وجود الأفعال لأن وجود فعل من عاجز جاهل ضعيف غير قوي ولا مريد محال وقد وجدت الأفعـــال فقد صح قدم الصفات قبلها واذا صح قدم الصفات قبلها استحال عليه طريان الحوادث في صفاته لأنه (٥) لو طرأت عليه لا زداد علما وقدرة وبصرا وسمعا

---

(١) سورة الأحزاب من آية ٢٧ وسورة الفتح من آية ٢١

(٢) تكرر استشهاد المؤلف بهذه الجمله على أنها من القرآن وليست توجد آية بهذا النص .

(٣) سورة النساء من آية ١٤٨

(٤) في ظ : المخاطب " له " وهو خطأ لأنه يعود على الموجودات والأفعال .

(٥) في خ : لأنها لو طرأت .

وغير ذلك من أوصافه فكان يكمل بعد النقصان .

وعند طروها عليه كان يشتغل بالفكر (والروية) (١) واكتساب الفضائل فيشغله شأن عن شأن ولو أشغله تدبير أهل (٢) بلدة من البلدان أوجسد واحد من أجساد الحيوان عن تدبير شيء من الأكوان لبهت وتحير فبطل الملك والحدثان وكان يكون له في تكميل نفسه شغل شاغل على ممر الدهور والأزمان سبحان ربك رب العزة (عما يصفون) (٣) عما يقول المعتزله (٤) وجميع أهل الافك والبهتان .

وانما الحق الذي لا يجوز غيره أن تعلم أن صفات الباري سبحانه :
قديمة بقدم ذاته لم يحدثها هو لنفسه ولا حدثت عليه بل كان بها من غير افتتاح وجود ولا يزداد ولا ينقص عما كانت عليه (٥) ولا يفارقه أبدا ولا يحل في شيء أبدا بل هو منفرد بأوصافه عن جميع خلقه ولا يخلق منها بمعنى التبعيض شيئا بل الأشياء كلها فاعلها ومفعولها ارواحها وأجسامها مخلوقة لا من شيء والله جل جلاله ليس من شيء ولا منه على معنى التبعيض شيء ولا هو مثل شيء .

---

(١) في ع ، أ : " والرواية " وهو خطأ

(٢) كلمة أهل لم ترد في خ ت .

(٣) جملة " عما يصفون " وردت في " ت "

(٤) والذي تقوله المعتزله في هذا الباب . أن الله عز وجل ليست له صفات أزلية فليس له علم ولا قدرة ولا حياه ولا سمع ولا بصر ولا صفة ازلية . . .
انظر الفرق بين الفرق ص ٩٣ - ٩٤
وشرح الطحاوية ص ٧٦

(٥) تقدم في ص ان اوردنا كلام شارح الطحاوية وتقريره لمذهب السلف في الصفات واثباتهم لهذا الأصل وهو كون الصفات قديمة وأنه لا يجوز ان يعتقد ان الله وصف بصفة بعد ان لم يكن متصفا بها لان صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص ولا يجوز ان يكون قد حصل له الكمال بعد ان كان متصفا بضده وبين أنه لا يرد على هذا الأصل صفات الفعل والصفات الاختياريه =

. . . .

= ونحوها كالخلق والتصوير والاستواء والمجي والنزول والغضب . . . . الخ
وقرر مذهب السلف في ذلك وقد بين رحمه الله بعد ذلك، أن المتكلمين
عندما يثبتون هذا الأصل من كونه قديم الصفات يطلقون معه نفي حلول
الحوادث بالرب كما ذكر المؤلف ذلك، في هذا الأصل فبين رحمه الله
أن هذا الحلول المنفي في علم الكلام المذموم لم يرد نفيه ولا اثباته في
كتاب ولا سنه وفيه اجمال :

فان اريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من
مخلوقاته المحدثة أولا يحدث له وصف متجدد لم يكن : فهذا نفي
صحيح .

وان اريد به نفي الصفات الاختياريه من أنه لا يفعل ما يريد
ولا يتكلم بما شاء اذا شاء ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى
ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والاتيان كما
يليق بجلاله وعظمته فهذا نفي باطل .

شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٨

الشعبة الثالثة والثلاثون :

الايمان بالأقدار والقضايا الجارية على الخلق :

أما دليل كونها من شعب الايمان فان في حديث جبريل صلوات الله عليه الذى سأل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان قال :

((فأخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر كله خيره وشره قال : صدقت (١)))

فجعل الايمان بالقدر من جملة الايمان ومن أعداد شعبه .

وفي حديث آخر :

((ثلاثة من أصل الايمان :

الكف عمن قال : لا اله الا الله ولا يكفر بذنب ولا يخرج من الاسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل آخر امتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والايمان بالأقدار (٢)))

فجعل الايمان بالأقدار من أصول الايمان .

وحلف ابن عمر رضى الله عنه فقال :

((والذى يحلف به (عبدالله) (٣) بن عمر لو (كان) (٤) لاحدهم

---

(١) متفق عليه وقد تقدم .

(٢) رواه ابو داود فى سننه كتاب الجهاد باب فى الغزو مع ائمة الجور رقم الحديث ٢٥٣٢ وقال الحافظ المنذرى فى مختصر سنن أبى داود : الراوى عن أنس يزيد بن أبى نشبه وهو فى معنى المجهول ، جـ ٣ ص ٣٨٠ رقم الحديث ٢٤٢١

(٣) اسم (عبدالله) لم يذكر فى جميع النسخ ما عدا خ وقد ذكرته الروايات التى أخرجته كما سيأتى .

(٤) كذا ورد فى ع أما بقية النسخ ففيها : (لو أن) وهو الصواب كما ذكرته الروايات

مثل أحد ذهبا فانفقه في سبيل الله ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ((١))

فقال : يؤمن بالقدر فجعله من الايمان .

وعن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((لكل امة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنائزهم ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال ((٢))

فوصفهم بأوصاف مجانبة للايمان من أجل عدم هذه الشعبة العظيمة فيهم .

واعلم أن الايمان بالقدر من أعظم شعب الايمان لأنه من التوحيد فانه اضافة الأفعال كلها الى الله تعالى وأنها صادرة عن قدرته لا شريك له فيها (٣) .

---

(١) ورد هذا القول لعبد الله بن عمر رضى الله عنه فى روايته لحديث جبريل عليه السلام .

وقد تقدم تخريجه فى ص ١٧٨ ، وهو فى روايتى ابى داود والترمذى .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب السنة باب فى القدر رقم الحديث ٤٦٩٢ وأخرجه أحمد فى المسند ٥/٤٠٦ ، ٤٠٧

وسنده عند أبى داود هو :

عن عمر مولى غُفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة . .

وقال المنذرى : عمر مولى غفره لا يحتج بحديثه ، ورجل من الأنصار مجهول ، وقد روى من طريق آخر عن حذيفة ولا يثبت .

راجع : مختصر سنن ابى داود للمنذرى ج ٧ ص ٦٠

(٣) الايمان بالقدر خيره وشره من الله تبارك وتعالى أحد الاركان الستة ، وهو على أربع مراتب :

المرتبة الأولى : الايمان بعلم الله القديم المحيط بجميع الأشياء وأنه تعالى علم بهذا العلم القديم الموصوف به أزلا وأبدا كل ما سيعمله الخلق فيما لا يزال وعلم به جميع احوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والاجال .

فكل ما يوجد من أعيان وأوصاف ويقع من أفعال واحداث فهو مطابق لما علمه الله عز وجل أزلا .

—

فاذا اضاف العبد شيئا من الأفعال الى غير الله فقد أشرك به وهـــذا يلزم كل من كذب بالقدر ، ولأن تكذيب القدر تكذيب القرآن والحديـــث ومن كذب بالقرآن والحديث فقد كذب الله ورسوله :

= المرتبة الثانيه : ان الله كتب ذلك كله وسجله في اللوح المحفوظ فما علم الله كونه ووقوعه من مقادير الخلائـق وأصناف الموجودات وما يتبع ذلـك من الاحوال والاوصاف والافعال ودقيق الأمور وجليلها قد أمر القلم بكتابته .

وهذا التقدير السابق على وجود الأشياء قد كان ينكره غلاة القدرية قديما مثل معبد الجهني وغيلان الدمشقي وكانوا يقولون ان الأمـر انف . وراجع ما تقدم ص ١٢٤ .

المرتبة الثالثة : الايمان بعموم مشيئة الله تعالى وان ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يقع في ملكه الا ما يريد ، وأن أفعال العباد من الطاعات والمعاصي واقعة بتلك المشيئة العامه التي لا يخرج عنها كائن سواء كان مما يحبه الله ويرضاه ام لا .

المرتبة الرابعة : الايمان بان جميع الأشياء واقعة بقدرة الله تعالى وأنها مخلوقة له لا خالق لها سواه لا فرق في ذلك بين أفعال العبـــاد وغيرها . . .

اختصار من : شرح العقيده الواسطيه ص ١٣٠ — ١٣٤
ومعارج القبول لحافظ الحكمي جـ٢ ص٣٢٨—٣٦٧

قال الله تبارك وتعالى :

(انا كل شيء خلقناه بقدر) (١)

وقال :

(وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر (٢))

وقال :

(وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم (٣))

والايمان بالقدر على ثلاثة أضرب :

ضرب : في مقام الاسلام

وضرب في مقام الايمـــان

وضرب في مقام الاحسان

فأما الضرب الأول : في مقام الاسلام وعالم الحس فهو :

ان تؤمن بأن كل فعل في الوجود الظاهر ظهر بحركة الحواس وأشخاص العالم او سكون (٤) فهو (٥) فعل (٦) لله تعالى لا شريك لـه في شيء من ذلك خيرا كان أو شرا طاعة أو معصية .

---

(١) سورة القمر آية ٤٩

(٢) سورة القمر الآيتان ٥٢ ، ٥٣ ، وآية " ٥٢ " لم ترد في ت ، خ

(٣) سورة الحجر الآية ٢١

(٤) كلمة " سكون " لم ترد في ت

(٥) كلمة " فهو " لم ترد في خ

(٦) كلمة " فعل " لم ترد في ظ

وأما الضرب الثانى الباطن فى مقام الايمان فهو :

أن تصدق بأن الاستطاعة والقوة المنسوبة الى النفوس والأرواح على اكتساب الحركات والسكنات انما ذلك مجاز اعنى اضافتها الى الخلق والكل من عند الله هو يعطى القوة والاستطاعة ويخلقها ويخلق المقدور الذى تقع عليه القدرة والقوة هذا فى جميع الملكوت كله والجبروت سواء كان المقدور فعلا للنفوس او نظرا للعقول أو اى شيء كان (١) .

واما الضرب الثالث فى مقام الاحسان فهو مقتضى علم الله

- كما ان الضربين الأولين اللذين تقدم ذكرهما مقتضى قدرته جل جلاله وهو :

---

(١) راجع مذهب السلف فى أفعال العباد وقد تقدم ص ١٢٥ وخلاصة ما ذهب اليه السلف فى ذلك :

ان نصوص الكتاب والسنة دلت على ان الله سبحانه هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها . وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات فلا يقع منها شيء الا بتلك المشيئة وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته انما يكون وفقا لما علمه منها بعلمه القديم ولما كتبه وقدره فى اللوح المحفوظ وأن للعباد قدرة وارادة تقع بها أفعالهم وانهم الفاعلون حقيقة لا مجازا لهذه الأفعال بمحض اختيارهم وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء اما بالمدح والمثوبة واما بالذم والعقوبة وان نسبة هذه الافعال الى العباد فعلا لا ينافى نسبتها الى الله ايجادا وخلقا لانه هو الخالق لجميع الاسباب التى وقعت بها . . .

راجع شرح العقيدة الواسطية ص ١٣٦

أن ينظر العقل ويؤمن أن مقادير الموجودات كلها وما يجرى عليها سبق بها (١) علم الله قبل وجود أعيانها فقد كان الله عالما بالكون كله وبما يكون من الكون (٢) من الأفعال قبل وجود الكون وهذا هو القدر المعلوم الذى قال الله تعالى فيه :

(.. وماننزله الا بقدر معلوم) (٣)

اى معلوم قبل نزوله ووجوده ولو لم يكن ذلك، كذلك، على ما زعمه أهل الباطل لجاز على الله تبارك، وتعالى ضربان من المستحيل :

الضرب الواحد :

ان يطرأ عليه ما لم يعلمه حين وجود الفعل الذى لم يسبق به علمه وفى ذلك، اثبات حدوث العلم عليه واضافة النقايص اليه .

والضرب الثانى من المستحيل :

ان يطرأ فى ملكه سبحانه ما لم يعلمه أبدا من الأفعال كما يقول الذى ينسب اليه علم الكليات دون الجزئيات (٤) وغيرهم من القدريه (٥) ولو كان ذلك، كذلك، لأدى الى ان العالم أجهل والجاهل أعلم وهو محال كما أن القدرة لو لم يتأثر عنها الكون كله وأعماله وحركاته وسكناته على ما زعمه المخالفون لأدى ذلك، الى ان القادر اعجز وأن العاجز أقدر وكان الذى يصدر من الخلق من الأفعال اكثر من الذى يصدر عن الخالق سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

---

(١) فى خ : سبق بـه

(٢) فى ع : من التكوين وهو خطأ ، وفى ت : يكون بالكون

(٣) سورة الحجر من آية ٢١

(٤) تقدم ان ذلك، قول الفلاسفه راجع ص ١٠٠

(٥) وهم القدرية القدامى كما سبق بيانه فى المذاهب فى أفعال العباد راجع ص ١٢٤

وهؤلاء كانوا ينكرون علم الله السابق على وجود الأشياء ويقولون :الأمر انف

ومعرفة هذا ينحصر لك، في تسعة أصول تعرف بها حكمة الله في أفعالـه المقدرة كلها :

الأصل الأول :

العلم بأن الله خالق جواهر العالم (كلياتها وجزئياتها (١)) خلافا لمن يقول أن العالم الكلي والطبيعي يولد الجزئيات التي هي (المولدات)(٢) الثلاثه : المعادن والنبات ،والحيوان " (٣)

الأصل الثاني :

العلم بأن الله خالق أعمال العالمين : الحركة والسكون والصنائـع والأفعال خلافا للقدرية وأمثالهم (٤) الذين يضيفون الأفعال للمخلوقات (٥)

الأصل الثالث :

العلم بأن الأعمال كسب للعباد لا أنها خلق لهم وانهم (٦) لا يحيطون علما بأجزاء تفاصيل ما يصدر عنهم من الحركات المكتسبة والسكنات ولا بأعدادها والخالق لا يكون خالقا الا أن يعلم ما يخلق كما قال تعالى :

(الا يعلم من خلق ...) (٧)

---

(١) في النسخة المعتمده : ع : " كلياته وجزئياته

(٢) في النسخة المعتمده : الموردات

(٣) تقدم ان القائلين بذلك هم الفلاسفه ص ١٠٠ وانظر شرح الطحاوية ص ٣٠٥ و٣٠٦ وانظر ايضا " المنقذ من الضلال للغزالي ص ١٠٧

(٤) كلمة " وأمثالهم " لم ترد في ت

(٥) فأخرجوا بقولهم : ان الله لم يخلق أفعال العباد : الأفعال عن قدرة اللـه وخلقـه / انظر شرح الطحاوية ص ٣٠٥

(٦) في ظ ،ت : فأنهم

(٧) سورة الملك من آية ١٤

(ولا أنها) أيضا جبر محض فانهم بالضرورة يدركون التفرقة بين الحركة المقدورة بالاختيار وبين الرعدة الضرورية .

فلم يبق الا حالة ثالثه فعبر (٢) عنها بالاكتساب . وعلى ذلك يقع الثواب والعقاب والكل خلق الله . (٣)

---

(١) فى النسخة المعتمده : ولأنها " وهو خطأ

(٢) فى ظ ،ت : ثالثه عبر عنها .

(٣) سبق ان أشرت الى مذهب المؤلف وقوله بالكسب على ما هو مذهب الأشاعره وذلك فى ص ١٢٥

وقد سلك المؤلف فى هذا الأصل على نهجهم وأورد فى هذا الأصل ردين الأول قوله : أنهم لا يحيطون علما بأجزاء تفاصيل ما يصدر عنهم ... الخ واراد بهذا : الرد على القدرية فى قولهم ان العبد يحدث فعله بقدرته ومشيئته وليس للرب صنع فيه ولا هو خالق لفعله ولا مريد له ..

والرد الثاني قوله : ولا أنها أيضا جبر محض .. واراد به الرد على الجبريه فى قولهم ان الانسان مجبور على ما يصدر عنه من أفعال فلا قدرة له ولا اختيار .

ثم أتى بالحالة الثالثة التى يرى الأشاعرة اثبات كونها الصواب بين المذهبين اى بين كون الانسان خالقا لفعله وبين كونه مجبورا على فعله .

وقد تبين لنا فيما أشرت اليه فى السابق ومن كلام المحققين ان قول الأشاعره بالكسب يؤل بهم الى القول بالجبر اذ العبره بالنتائج .

فقول الجبرية بعدم قدرة العبد على الفعل وتسمية فاعلا على سبيل المجاز. وقول الأشاعرة بأن للعبد قدرة لكن لا أثر لها فى الفعل هما بمعنى واحد ولهذا قيل عن كسب الأشعرى أنه من الأمور التى لا تعقل .. كما صرح بذلك ابن القيم فى شفاء العليل ، :

حيث قد بين رحمه الله المذاهب المتقدمة ومعنى الكسب عند جميع الطوائف وأنها متفقه على الكسب . ومختلفون فى حقيقته الى قسمين الأول القدرية والثاني : الجبرية والأشاعرة على ما اسلفنا من أن نتيجة مذهبهما واحدة ثم بين مذهب السلف حيث قال : فما تقولون أنتم فى هذا المقام ؟

قلنا : لا نقول بواحد من القولين بل نقول هى أفعال للعباد حقيقة ومفعوله للرب فالفعل عندنا غير المفعول وهو اجماع من أهل السنه حكاه =

الأصل الرابع :

العلم بأن أعمال الخلق كلهم وان كانت كسبا لهم فانها مرادة لله تعالى ، ولو لم يرد الخير والشر جميعا لكان يعصى كرها ولو كان ذلك كما يزعم (١) المبتدعة وغيرهم من الضالين لكان الذى يجرى على ارادة ابليس وجنوده واتباعه من المكروه اكثر من الذى يجرى (٢) على ارادة الله من الخير .

وفى كتاب الله عز وجل دليل على أنه يريد الشر ممن اراده منه وهو قوله (تعالى) :

(انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون) (٣)

تقدير الكلام ويريد ان تزهق انفسهم على الكفر (٤)

= الحسين بن مسعود البغوى وغيره فالعبد فعلها حقيقة والله خالقه وخالق ما فعل به من القدرة والاراده وخالق فاعليته . .

راجع : شفاء العليل ص ١٢٢ و ١٣١

وشرح نونية ابن القيم د /هراس ج ١ ص ٤٢

والاحياء للغزالي ج١ ص ١١١ فبين كلام المؤلف فى هذا الأصل وبين كلام الغزالى هنا شبه شديد .

وانظر البيهقي وموقفه من الالهيات د / احمد الغامدى ص ٣٢٤

والمنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨

(١) فى ظ ،ت : كما تزعم وفى خ : كما زعم

(٢) فى ظ ،ت : من الجارى

(٣) سورة التوبة آية ٥٥

(٤) الذى يجب معرفته هنا أن جمهور السنة يفرقون بين الاراده والمحبة والرضا ويقولون : ان الله تعالى وان كان يريد المعاصى فهو لا يحبها ولا يرضاها بل يبغضها والمحققون يقولون الارادة فى القرآن نوعان : =

الأصل الخامس :

العلم بأن الله متفضل بالخلق والايجاد وبتكليف العباد لاعلى معنى الوجوب واللزوم خلافا للمعتزلة التى تقول بوجوب ذلك، عليه لما فيه من مصلحة العباد فان الذى يفعل ما يجب عليه يلحقه ضرر فى تركه فعل ما يجب عليه وينتفع بفعله اذا فعله وهذا وصف المضطر والذى يلحقه النفع والضرر والبارى سبحانه يتنزه عن الضرر وعن الحظوظ والأغراض فاذا لم يتضرر بترك، مصلحة العباد ولم ينتفع بها لم يكن للوجوب فى حقه معنى يعود عليه

الأصل السادس :

العلم بأن الله يجوز عليه أن يكلف عباده مالا يطيقون خلافا لقول المعتزله : وهذا مشاهد ومعلوم بالسمع فان الله تعالى يقول فى كتابه

(.. ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ....) (١)

فانهم لم يسألوه محالا ولو كان تكليف ما لا يطاق محالا لكانت الآية لغوا .

وذلك مشاهد أيضا : لأن الرسل خاطبت الكفار بالايمان وهم لا يطيقونه .

وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل وغيره من الكفار بالايمان وقد أعلمه (٢) بأنهم لا يؤمنون فقال تعالى :

= ارادة قدرية كونية

وارادة شرعية دينية

فالشرعيه هى المتضمنة للمحبة والرضا (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) والقدرية الكونية هى الشاملة لجميع الحوادث فما شاء الله كان وما لم يشـــأ لم يكن .

راجع المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٢١

وشفاء العليل ص ٢٨٠ ، ص ٢٦٩

(١) سورة البقره من آية ٢٨٦

(٢) فى " ت " : " وقرأ عليه " بدل من " وقد أعلمه "

(... سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) (١)

وقد أمره بالانذار والتبليغ والدعوة للكل الى الايمان فهذا تكليف مالا يطاق (٢) .

---

(١) سورة البقرة آية ٦ ويس آية ١٠

(٢) خالف المؤلف في هذا الأصل اراء السلف . ولذا أورد أهم الأراء في تكليف مالا يطاق . وان كان استقطاب الأراء وأدلتها في هذا الأمر مما يصعب جدا لتشتته وتشعبه ـ ويهمنا هنا معرفة رأى السلف وجوابهم على ما استدل به المؤلف .

١ ـ فمن حيث جواز ان يكلف الله عباده مالا يطيقون عقلا ذكر ابن تيمية رحمه الله في ذلك ثلاثه اراء فقال :

اكثر الأمة نفت جوازه مطلقا

وجوزه طائفة من المثبتة للقدر من أصحاب الأشعرى ومن وافقهم من أصحاب مالك، والشافعى وأحمد .

وطائفة ثالثه فرقت في الجواز العقلى بين :

الممكن لذاته الذى يتصور وجوده في الخارج كالطيران

وبين الممتنع عقلا كالجمع بين النقيضين .

راجع فتاوى ابن تيميه جـ ٨ ص ٤٧٠ و ص ٢٩٧

وشرح الطحاوية ص ٥٠٣

٢ ـ أما من حيث وقوع التكليف بمالا يطاق شرعا :

فالسلف يرون ان الله تعالى لم يكلف عباده مالا يطيقون في جميع ما كلفهم به من الأوامر والنواهي وهم مطيقون لجميع ما أمرهم به ونهاهم عنه وقادرون على ذلك وحكى الشاطبى في الموافقات الاجماع على ذلك، فقال :

الاجماع على ان تكليف ما لا يطاق غيرواقع . وكذا ذكره ابن تيمية

ومما قالوا تعليلا لذلك : ان عدم الطاقة فيه ملحقه بالممتنع والمستحيل وذلك، يوجب خروجه عن المقدور فامتنع تكليف مثله .

. . . .

وخص ابن تيمية هذا الاجماع باجماع الفقهاء وأهل العلم وذلك انه قد خالف طائفة من اهل الكلام ــ كالرازى ــ فذهبوا الى ان تكليف الممتنع لذاته واقع فى الشريعة وقد ذهب الى هذا الرأى المؤلف هنا واستدل ببعض أدلتهم .

ولذا نقتصر هنا على الجواب على أدلته من وجهة نظر السلف :

راجع : دقائق التفسير ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٦٨

الموافقات للشاطبى جـ ١ ص ١٥٠

فتاوى ابن تيميه جـ ٨ ص ٣٠٢

الفقه الاكبر ص ١١٩

اما استدلال المؤلف بالآية وحمله معناها على جواز التكليف بمالا يطاق فهو مردود بما أورده السلف فى تفسير قوله تعالى " لا يكلف الله نفسا الا وسعها) البقره من آيه ٢٨٦ ورد فى تفسيرها أن الصحابة رضوان الله عليهم حيــن سمعوا قوله تعالى

((. . . وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله . .)البقره من آية ٢٨٤ ظنوا أن الله تعالى يعذبهم بالخطرات التى لا يملكون دفعها وأنها داخلة تحت تكليفه لهم فأخبرهم سبحانه أنه لا يكلفهم الا وسعهم فنسخها بقوله تعالى :

(لا يكلف الله نفسا الا وسعها . . . .) .

وقد تضمن ذلك أن جميع ما كلفهم به أمرا ونهيا فهم مطيقون له قادرون عليه وانه لم يكلفهم مالا يطيقون وفى ذلك رد صريح على من زعم ان الله يكلــف مالا يطاق .

راجع : دقائق التفسير جـ ١ ص ٢٩٩ و ص ٢٦٦

وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٣٩

والفقه الاكبر ص ١١٩

وقال ابن تيمية فى معنى (. . . ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به . . . .) .

لما علموا أنهم غير منفكين مما يقضيه ويقدره عليهم كما أنهم غير منفكين عما يأمرهم وينهاهم عنه سألوه التخفيف فى قضائه وقدره كما سألوه التخفيف فى أمره ونهيه فقالوا :

(. . ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به . .) فهذا فى القضاء والقدر والمصائب وقولهم : (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) فى الأمر والنهى والتكليف . .

....

فسألوه التخفيف في النوعين :

وقال ابن الأنباري فى معنى الآية :

اى لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه وان كنا مطيقين له تجشم وتحمل مكروه .

قال : فخاطب العرب على حسب ما تعقل فان الرجل منهم يقول للرجل يبغضه : ما أطيق النظر اليك، وهو مطيق لذلك، لكنه يثقل عليه . . .

راجع : دقائق التفسير ج ١ ص ٢٦٩

وشرح الطحاوية ص ٥٠٣

وقول المؤلف بأن الرسل خاطبت الكفار بالايمان وهم لا يطيقونه :

الجواب عليه :

ان مالا يطاق يفسر بشيئين :

بمالا يطاق للعجز عنه فهذا لم يكلفه الله أحدا

وبمالا يطاق للاشتغال بضده فهذا الذى وقع فيه التكليف

فالاستطاعة فى الشرع هي

مالا يحصل معه للمكلف ضرر راجح كاستطاعة الصيام والقيام فمتى كان يزيد فى المرض أو يؤخر البرء لم يكن مستطيعا لأن فى ذلك مضرة راجحة .

وعدم استطاعة هؤلاء الذين خاطبهم الرسول بالايمان ليس من هذا القبيل بل حسدا منهم لمن خاطبهم بالايمان واتباعا للهوى وربن الكفر والمعاصي على القلوب وليس هذا عذرا فلو لم يأمر العباد الا بما يهوونه لفسدت السموات والأرض ومن فيهن .

والله سبحانه وتعالى يأمر بالفعل من لا يريده لكن لا يأمر به من لو أراده لعجز عنه فلو ارادوا الايمان لاطاقوه لكنهم شغلوا بضده .

راجع : دقائق التفسير ج ١ ص ٢٦٩

وشرح الطحاوية ٤٩٣

. . . .

= واما استدلال المؤلف بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خاطب أباجهل وغيره من الكفار بالايمان وقد أعلمه بأنهم لا يؤمنون . . فهذا تكليف مالا يطاق . فقد اورد شارح الطحاويه استدلالهم هذا وأجاب عليه بقوله :
ان هذا ليس تكليف مالا يستطاع فان الاستطاعة التي بها يقدر على الايمان كانت حاصلة فهو غير عاجز عن تحصيل الايمان فما كلف الا ما يطيق كما تقدم في تفسير الاستطاعه .
وانما التزم من قال بهذا القول من الأشاعرة بهذا الرأى لقولهم :
ان الطاقة التي هي الاستطاعة وهى القدرة لا تكون الا مع الفعل فكل من لم يفعل فعلا فانه لا يطيقه وهذا خلاف الكتاب والسنه واجماع سلف الأمة . .

راجع : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٠٤
وانظر : دقائق التفسير جـ١ ص ٢٦٩
والفتاوى ج ٨ ص ٢٩٩
وانظر ما تقدم ص ١٥٠

الأصل السابع :

العلم بأن لله ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه لا يعدوه .

فالظلم عبارة عن تصرف المالك في ملك غيره وهو محال على الله اذ لا يصادف لسواه ملكا وذلك مشاهد في البهائم فان ذبحها وما صب عليها من انواع المحن والعذاب ايلام لها ولم يتقدم لها جريمة .

فان قلت :

ان الله يختبرها (١) ويثيبها على ذلك ويجب عليه ذلك (٢)

فقد تقدم انه لا واجب على الله لانه لا يتضرر بتركه فعل من الأفعال والثواب منه لكل من صح أنه يثاب فضل ونعمة والعذاب عدل وحكمة (٣)

---

(١) في بقية النسخ : ان الله يحشرها

(٢) جملة " ويجب عليه ذلك " لم ترد في خ

(٣) تعليق :

يلاحظ ان كلام المؤلف في هذا الفصل أيضا هو كلام الغزالي في الأحياء ج ١ ص ١١٢ .

ومن المعلوم أن جميع الطوائف الاسلاميه قائلة بأن الله تعالى منزه عن الظلم لكن الخلاف بينها وقع في معنى الظلم الذي ينزه الله عنه :

فعند المعتزله :

ان ما كان من بني آدم ظلما وقبيحا يكون من الله كذلك ولذا عللوا الآلام انما تحسن من الله للعوض اذ أنها عندهم تحسن منه تعالى فيما يحسن من العباد في الشاهد وتقبح فيما يقبح منهم وذلك بقياس فعله تعالى على فعل عباده ، يقول القاضي عبد الجبار : (واعلم أنه تعالى لا يجوز ان يمكن أحدا من ايصال الألم الى غيره الا اذا كان في المعلوم عوض يستحقه اما على الله تعالى أو غيره)

راجع : شرح الاصول الخمسه القاضي عبد الجبار ص ٥٠٥ وانظر ص ٤٩٤

اما عند الجبرية : وعليه سار المؤلف هنا وهو مذهب الغزالي ومن وافقهم

. . . .

فالظلم عندهم هو التصرف في ملك الغير
وقالوا : لا يتصور تصرف الله في ملك غيره اذ كل ما سواه ملكه
فكل ما في ملكه فهو عدل منه ويستدلون لذلك بما يقع للحيوان
وغيره من الألم والتعذيب وقد خطأ السلف كلا المذهبين :
أما مذهب المعتزله فالرد عليه بقول المؤلف من أنه لا واجب على الله تعالى
ولما فيه من تمثيل لله تعالى بخلقه وقياسه عليهم والله سبحانه
هو الرب الغنى القادر وهم العباد الفقراء المقهورون . . . .
وأما مذهب المؤلف ومن قال بقوله :
فانه يلزم على قولهم هذا الا يكون الله تعالى منزها عن شيء من
الأفعال اصلا ولا مقدسا عن أن يفعله بل كل ممكن فانه لا ينزه
عن فعله بل فعله حسن . . . الى آخر ما يمكن أن يؤدى اليه هذا
القول من البطلان .
فرأى السلف اذا :

ان الظلم هو : وضع الشيء في غير موضعه والعدل هو وضع كل شيء
موضعه فالله سبحانه وتعالى حكم عدل يضع كل شيء في موضعه
الذى يناسبه ويقتضيه ولا يعاقب الا من يستحق العقوبة وكل ما قضى
على عبده من قضاء فهو واقع في محله الذى لا يليق به غيره .
فالله هو الحكم العدل الغنى الحميد وقد كتب على نفسه الرحمة
وحرم على نفسه الظلم والآيات والاحاديث في هذا المعنى كثيرة
وذكر شارح الطحاوية شيئا من ذلك من ص ٥٠٧ — ٥١١ وذلك كقوله
تعالى :
(ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما)
طه ١١٢
(ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد) ق ٢٩
(ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا) الكهف ٤٩
ومنه ما رواه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم وهو في صحيح مسلم :
((يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما
فلا تظالموا))

....

= ومن هذا نعلم ان كل ما يفعله الله تعالى انما يفعله لحكمة اقتضت ذلك كما ان الذى يمتنع عن فعله انما هو لحكمة تقتضي تنزهه عنه ومن ذلك ما يقع من الالام والتعذيب والكوارث وما يحصل للحيوان ايضا فذلك، انما هو لحكمة لا نعلمها قال ابن تيمية رحمه الله :

((كل ما فعله علمنا ان لله فيه حكمة وهذا يكفينا من حيث الجملة وان لم نعرف التفصيل وعدم علمنا بتفصيل حكمته بمنزلة عدم علمنا بكيفية ذاته وكما ان ثبوت صفات الكمال له معلوم لنا واما كنه ذاته فغير معلومة لنا فلا نكذب بما علمناه ما لم نعلمه

المراجع : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٠٧ — ٥١١
شفاء العليل ص ٢٧٥ — ٢٧٦
احياء علوم الدين جـ ١ ص ١١٢
الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١١٤
مجموع فتاوى إبن تيمية جـ٦ ص ١٢٧ — ١٢٨
وشرح المواقف تحقيق احمد المهدى ص ٣٢١
شرح النونيه للهراس ص ٢٥

الأصل الثامن :

العلم بأنه يفعل بعباده ما يشاء ولا يجب عليه رعاية الأصلح لهم خلافا للمعتزلة فى قولها :

ان فعل الأصلح لعباده واجب عليه

وقد قدمنا ان الوجوب لا يعقل فى حق الله سبحانه .

فان قيل : مهما قدر على فعل الأصلح لهم ثم سلك بهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة .

فالجواب : ان القبيح هو مالا يوافق الغرض . والشىء قد يكون قبيحا عند شخص وحسنا عند آخر لأنه وافق غرض أحدهما ولم يوافق غرض الآخر . وان اريد بالقبيح مالا يوافق غرض البارى فهو محال لأنه لا غرض له فلا يتصور منه قبيح بل هو الحكيم الحق والحكيم معناه :

العالم بحقائق الاشياء القادر على احكام فعلها على وفق ارادته فكيف يجب عليه بوصف الحكمة رعاية الاصلح وهو لا يستفيد برعاية الاصلح ثناء ولا ثوابا ولا يدفع عن نفسه ضررا أورقة أو حنه كل ذلك على الحكيم الحق محال .

والحكيم من الخلق يرعى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد نفعا وثناء وثوابا عاجلا او آجلا أو يدفع عن نفسه به رقه وحنة أو ضررا لأن له غرضا والبارى تعالى منزه عن الحظوظ والأغراض (١) .

---

(١) أورد المؤلف فى هذا الأصل مذهبه فى حكم رعاية الأصلح وهو ناقل لمذهبه هذا عن كلام الغزالى فى الاحياء جـ ١ ص ١١٢ وهو مذهب الأشاعرة وقد أشار المؤلف هنا أيضا الى مذهب المعتزلة ورد على أدلتهم وبهمنا معرفة الرأى الصحيح الذى يراه السلف فى المسألة

. . . .

= وقد بينها ابن تيميه رحمه الله بقوله :

قد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

أحدها :

أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة او مفسدة ولو لم يرد الشرع بذلك، كما يعلم ان العدل مشتمل على مصلحة العالم والظلم يشتمل على فسادهم فهذا النوع حسن وقبيح وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك، لا أنه اثبت للفعل صفه لم تكن ، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح ان يكون فاعله معاقبا فى الآخرة اذا لم يرد الشرع بذلك، ـ وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح وهذا خلاف النص قال تعالى :

(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الاسراء ١٥

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . . . .) النساء ١٦٥

. . . . والنصوص الدالة على أن الله لا يعذب الا بعد الرسالة كثيرة . . . . .

النوع الثانى :

ان الشارع اذا أمر بشيء صار حسنا واذا نهى عن شيء صار قبيحا واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.

النوع الثالث :

ان يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد هل يطيعه أم يعصيه ولا يكون المراد فعل المأمور به كما امر ابراهيم بذبح ابنه فلما اسلما وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح .

وكذلك حديث أبرص وآقرع وأعمى لما بعث الله اليهم من سألهم الصدقة فلما أجاب الأعمى قال الملك امسك عليك مالك فانما ابتليتم فرضى عنك وسخط على صاحبيك.

فالحكمه منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور بـه .

ثم عقب رحمه الله بقوله : =

. . . .

= وهذا النوع والذى قبله لم يفهمه المعتزله وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون الا لما هو متصف بذلك، بدون أمر الشارع.

والأشعرية ادعوا : ان جميع الشريعة من قسم الامتحان وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع .

واما الحكماء والجمهور فاثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب .

راجع : فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص ٤٣٤ — ٤٣٦

وانظر : الفصل لابن حزم جـ ٣ ص ١٦٤ : مبحث : الكلام فى اللطف والأصلح .

وانظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٩ وانظر : تنزيه الله تعالى عما اوجبه عليه المعتزلة د / احمد البنانى ص ٢١٦

موقف السلف من الصلاح والأصلح .

الأصل التاسع : (١)

العلم بأن معرفة الله وطاعته واجبة بايجاب الله وشرعه لا بالعقل كما تقول المعتزلة وغيرهم من المخالفين .

ومعنى كون المعرفة والطاعة واجبتين : ان فى تركها ضرر على تاركهما

ومعنى كون الشرع موجبا : انه يعلم ما يضر وينفع بعد الموت ، والعقل يفيد فهم ذلك، والاحاطة بامكان ما يخبر به منه فى المستقبل ،

ومن أين للعقل بمجرده دون الشرع أن يوجب الطاعة والمعرفة وأن يعرف الحسن والقبيح والضار والنافع (٢) .

وايجابه لا يخلو من ثلاثه أوجه :

اما أن يوجب الطاعة والمعرفة لغير فائدة وهو محال لأن العقل لا يوجب المحال .

والوجه الثانى :

ان يوجب الطاعة والمعرفة لفائدة وغرض الى المعبود جل جلاله وذلك أيضا محال فانه مقدس عن الفوائد والأغراض بل الطاعة والمعصية والكفر والايمان فى حقه سيان (٣)

---

(١) نقل المؤلف كلامه فى هذا الأصل من الاحياء للغزالى جـ١ ص ١١٣ الأصل الثامن

(٢) انظر مدارج السالكين ج ٣ ص ٤٩٠

(٣) انظر توضيح مذهب الأشاعرة فى أن افعال الله ليست معلله بالأغراض فى شرح المواقف تحقيق أحمد المهدى ص ٣٣٥ وقد قال ابن تيميه رحمه الله :
وأما الغرض فالمعتزله تصرح به . . . وأما الفقهاء ونحوهم فهذا اللفظ يشعر عندهم بنوع من النقص فلا يطلقونه فان كثيرا من الناس اذا قيل لهم : فلان له غرض أو فعل لغرض أرادوا أنه يفعل بهوى أو مراد مذموم والله منزه عن ذلك .
راجع المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٧
وانظر شرح النونيه للهراس ص ٢٥

والوجـه الثالث :

ان يوجب الطاعة والمعرفة بفائدة ترجع الى العبد وذلك، أيضا محـــال لأنه لا غرض له (١) فى المآل لأنه يتعب به وينصرف عن الشهوات الملائمة له بسببه وليس فى المآل الا الثواب أو العقاب فمن اين يعلم بمجـــرده أن الله يثيبه على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليهما والطاعة والمعصيـــة فى حقه جل جلاله يتساويان لا يتضرر ولا ينتفع بهما .

وانما عرف الوجوب وامتاز الحسن والقبيح بالشرع لأن البارى جل جلالـه ارسل الرسل وأطلعهم على مغيبات الأمور الضارة والنافعة فهم يقولـــون للخلق :

اما مكم المخوفات المهلكات والمحبوبات المنجيات ان نظرتم كما أمرناكم وأبصرتم ما به أخبرناكم واذا أبصرتم علمتم.

فبهم أوجب (٢) النظر الذى هو أول الواجبات عند أهل الأصول (٣) وسبب العلم والنجاه .

والعقل صالح ومهيأ لأن يبصر (٤) ما أخبروه ويرشد الى ما ضره وينفعـه اذا اقتدى بهداهم وسلك منهاجهم.

---

(١) فى ظ : لانه غرض له فى الطال وهو خطأ .

(٢) فى ظ ،ت ،خ : فبهم اوجبوا

(٣) تقدم الحديث عن أول الواجبات فى أول الكتاب ص٢

(٤) فى أ ،ظ ،ت : لان يتصور

وفى خ : لان ينظـــر

الشعبة الرابعة والثلاثون :

الايمان بالأنبياء والرسل بالقلب :

أما كون هذه الشعبة من الايمان فبين جدا لأن الله قد حتم على نفسه أن لا يقبل الايمان به الا مقرونا بالايمان برسله (١) ومن لم يفعل ذلك فهو كافر لقوله عز وجل :

(.. ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا ..) (٢)

ولولا الرسل ما اهتدى أحد من الخلق خلافا لمن يقول : لا فائدة في بعث الأنبياء لأن العقل يغنى عنهم ويهدى الى الأفعال المنجية في الآخرة (٣) وما زعموه باطل فان الأنبياء مشاهدون لامور الآخرة والعقل محجوب عن ذلك فكيف يهدى الى النجاة بما لم يشاهده وهو غيب عنه فاذاً لابد من الأنبياء ولاغنى عنهم بوجه ولا حال بل حاجة الناس الى الأنبياء كحاجة العمى (٤)

---

(١) في ظ ،ت : بالرسل

(٢) سورة النساء من الآيتين ١٥٠ ، ١٥١

(٣) ممن ينسب اليه ذلك الفلسفة اليونانية ،انظر ذلك في النبوة والأنبياء لأبي الحسن الندوى ص ٢٠ .

وانظر مبحث : العقل والعلم البشرى لايغنيان عن هداية الرسل ص ٤١ من كتاب الوحي المحمدى للاستاذ محمد رشيد رضا ط ٦

وما قال الألوسي في تفسير قوله تعالى : (... رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) النساء ١٦٥ .. :

الاية ظاهرة في أنه لابد من الشرع وارسال الرسل وأن العقل لا يغنى عن ذلك وزعم المعتزلة : أن العقل كاف وأن ارسال الرسل انما هو للتنبيه عن سنة الغفلة التي تعترى الانسان من دون اختيار

جـ ٦ ص ١٨

(٤) في ظ ،خ : العميان

الى الأدلاء فكما لا يمشى الأعمى الا بدليل فكذلك العقل اعمى فى أمور الآخرة لا يهتدى اليها الا بدليل وبذلك وصف الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال فى وصفه :

(يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر (١) ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح به أعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا) (٢)

فوصفه بأنه يبصّر من العمى ، فكل عقل لم يتبع الرسل فهو أعمى يقع ويقوم فى مهاو لا آخر لها حتى ياتيه الموت فاذا لم يكن عنهم غنى ولم يكن منهم بد وجب تمييزهم ومعرفتهم من غيرهم وانما عرفوا بالمعجزات التى اعجزوا بها الخلق ولما اتوا بما ليس فى طاقه البشر الاتيان بمثله ، والأنبياء بشر مثل الامم علم أن ذلك المعجز انما هو من عند رب العالمين فوجب الايمان بهم انهم رسل الله وانه بعثهم الى هداية الامم فلابد من معرفة المعجزة لانها شرط فى صدق الرسول (٣) وهو تمييزها من السحر والكرامة .

---

(١) فى ظ : ويغفر ويصفح

(٢) ذكره القسطلانى فى المواهب اللدنية عن وهب بن منبه قال : أوحى الله تعالى الى اشعياء . . . هـ ١ ص ٤٢٥ وذكره البيهقى فى الاعتقاد ص ١٢٨ وانظر سنن الدارمى جـ١ ص ٤

(٣) ذكره شارح الطحاويه : أن الطريقة المشهورة عند اهل الكلام والنظر تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات . . .

ثم قال : ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لكن الدليل غير محصور فى المعجزات فان النبوة انما يدعيها اصدق الصادقين او اكذب الكاذبين ولا يلتبس هذا بهذا الا على أجهل الجاهلين بل قرائن احوالهما تعرب عنهما وتعرف بهما والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى

فأما معرفة المعجزة فتعتبر بأمرين يغنيان عما وراء ذلك من الأمور :

أحد الأمرين :

صلاح الرسول فى نفسه وفضله على غيره فان الرسول لا يكون الا صالحا فى غاية من الفضل والعصمة من الكذب والفواحش.

والأمر الثانى :

تحدى الخلق بمعجزته وادعاؤه انهم لن يأتوا بمثل ما أتى به على كثرتهم ومعرفتهم حتى يوقفهم على العجز الضرورى فيقول لهم ان كنت عندكم ساحرا فان السحر يتوصل الى علمه فأتوا بمثله على كثرتكم وحذقكم فلما أعجزهم عن الاتيان بمثله وعرف صدقه وصلاحه وجب اتباعه وحرمت معصيته وخلافه .

وأما السحر فالفرق بينه وبين المعجزة أمران :

أحدهما :

أنه لا يظهر الا على يدى رجل فاسد غير مرضى الحال ولذلك يقتل اذا عثر عليه .

= النبوة فكيف بدعوة النبوة ؟

وما أحسن ما قال حسان رضى الله عنه :

لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين الا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز .

ثم بسط رحمه الله الموضوع . . . مما لا مجال لنقله هنا من ص ١٥٨ — ١٦٨

وانظر كتاب النبوات لابن تيميه ص ١٠١

وبما ذكره شارح الطحاوية هنا يتبين خطأ المؤلف وأنه مع المتكلمين فى كون المعجزة شرط فى صحة النبوة وصدقها فالسلف مع تقريرهم ان المعجزة دليل صحيح لكنهم لا يجعلونها شرطا فى صدق مدعى النبوة .

الثانـــي :

أنه يتوصل اليه بالتعليم كل من اشتغل به ويبطل عند ظهـــــور الحق عليه فلا يبقى لأنه تخييل والخيال يبطل عند ظهور الحقائق عليه قال الله تعالى :

(. . . ما جيئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلـــــح عمل المفسدين (١))

ولقد اجتمع على موسى عليه السلام سبعون الف ساحر مع كل واحـد منهم عصى وحبل فأبطل ذلك كله بعصاة واحدة فادخلهم فـــي الايمان شاؤا ام أبوا (٢) والحمد لله .

وأما الكرامة :

فالفرق بينها وبين المعجزة أمران :

أحدهما :

أنها لا تكون الا على يدى ولى ولا تظهر على يدى عـــدو

والثانى :

أنه مقر بأن كرامته بركة من بركات النبى ـ صلى الله عليه وسلـــم ـ الذى اتبعه واستن بسنته ولو ادعى النبوة (بها) (٣) لبطلـــت كرامته على الفور وعاد فاسقا وانما يدعى أنها كرامة اكرم بها ببركـة النبى المتبع فافهم فهمك الله

---

(١) سورة يونس آية ٨١

(٢) فى ظ ، ت : شاؤا او أبوا

(٣) كلمة بها وردت فى : أ ، ت

فقد ثبتت جميع النبوات بما أتى به الأنبياء من المعجزات الخارقة للعادات.
وثبت نبوة نبينا محمد عليه السلام الذى لا نبى بعده بالقرآن العظيم الذى
تحدى به كافة الفصحاء والبلغاء وهو باق بأيدى الخلق لم يقدر قط أحد
من الخلق ان يعارض منه آية واحدة والحمد لله .

ومن معجزاته :

انشقاق القمر وتسبيح الحصى وانطاق العجماء وجرى (١) الماء
من أصابع يديه الكريمتين واطعام النفر الكثير من الطعام اليسير
وغير ذلك من آياته صلى الله عليه وسلم واقواله الصادقة التى خرجت
وتخرج كما أخبر بها وعنها .
ومن أعظم معجزاته كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب ثم أتى الخلق ببحار
من العلم لا تنفد وينابيع من الحكم كل عقل منها يستمد .

ومن أهم أصول هذا الباب :

ان تعلم أنه لا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانه قد ختمت
به النبوة كما وصف الله تعالى فى قوله :
(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (٢)
وكل من أدرك وقته ولم يؤمن به وان كان على طريقة نبى من الأنبياء
قبله فهو كافر لا يقبل منه ايمانه لأن جميع الأنبياء قبله قد امرت
بالايمان به لاممها وبشرت به (٣) فالجاحد لنبوته والتارك لطريقته
كافر لأنه قد كفر بأمر نبيه الذى أمره بالايمان بمحمد عليه السلام.

---

(١) فى خ : واجراء الماء

(٢) سورة الأحزاب آية (٤٠)

(٣) فى خ : بالايمان قبله لاممها وبشرت به

قال الله تبارك وتعالى فى ايمان الأنبياء به قبل مبعثه :

(واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (١)

وقال عليه السلام :

(لو ادركنى موسى وعيسى ثم لم يؤمنا بى لاكبهما الله فى النار) (٢)

وانما اشار بهذا صلوات الله عليه من أجل اهل الكتابين اليهود والنصارى اتباع موسى وعيسى الذين يزعمون انهم على الحق لأنهم مؤمنون بالنبوة فقال :

لو ادركنى موسى وعيسى ثم لم يؤمنا بى لاكبهما الله فى النار فكيف بغيرهما ممن هو على شريعتهما بزعمه ولم يبدل ولم يغير ولم ينسب الى عيسى ما ليس هو له بأهل (٣) ولا افترى على الله كذبا من اليهود والنصارى (٤)

---

(١) سورة آل عمران آية ٨١

(٢) لم أجده بهذا النص وذكر ابن كثير فى تفسيره جـ ١ ص ٣٧٨ نحوه فقال :
(وفى بعض الأحاديث " لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الاتباعى)
وبمعناه وردت أحاديث . انظر الفتح الربانى لترتيب المسند جـ ١ ص ١٧٤ باب فى النهى عن التحديث عن أهل الكتاب .

(٣) فى ظ : له أهلا . وفى خ : مما ليس هو له بأهل .

(٤) ورد فى صحيح مسلم : كتاب الايمان رقم الحديث ١٥٣ قوله صلى الله عليه وسلم :
(والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من أصحاب النار .

وأما من بدل وغير فليس كلامنا عليه ولا يقع به اعتبار وانما لم يصح ان يفرق بين الأنبياء بالايمان من أجل انهم كلهم أولاد علات دعوتهم واحدة الى دين واحد يعبدون ربا واحدا فمن كذب واحدا منهم فقد كذب جميعهم ولذلك قال تعالى :

(كذبت قوم نوح المرسلين) (١)

ولم يكن نوح الا رسولا واحدا

(كذبت عاد المرسلين) (٢)

ولم يكن لهم نبى الا هود

(كذبت ثمود المرسلين) (٣)

(كذب أصحاب الأيكة المرسلين) (٤)

والأنبياء الذين وجب الايمان بهم عددهم مذكور فى حديث رواه أبو ذر عن النبى عليه السلام :

(قال أبو ذر قلت : يارسول الله كم الأنبياء ؟ قال مائة الف وأربعة وعشرون الف نبى .

---

(١) سورة الشعراء آية ١٠٥

(٢) سورة الشعراء آية ١٢٣

(٣) سورة الشعراء آية ١٤١

(٤) سورة الشعراء آية ١٧٦

قال : قلت يارسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال ثلاث مائة وثلاثة عشر جم غفير (١)

قلت يارسول الله : كثير طيب قال : نعم قلت من كان أولهم قال آدم عليه السلام قلت يارسول الله : أنبي مرسل ؟ قال : نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسواه قبلا ثم قال :

يا أبا ذر أربعة سريانون : آدم وشيث ، وخنوخ ، وهو ادريس وهو أول من خط بقلم ونوح .

وأربعة من العرب : هود وشعيب وصالح ونبيك يا أبا ذر .

وأول أنبياء بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى .

وأول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم)) (٢)

هؤلاء هم الأنبياء الواجب الايمان بهم اكرمهم على الله محمد عليه السلام فانه امام الكل وسيد الجميع .

---

(١) ورد فى الحليه جما غفيرا بالنصب

(٢) الحديث تقدم فى الشعبة السابعة والعشرين بعضه وهو ضعيف كما ذكر ذلك السيوطى فى الجامع الصغير ،وأورده الحافظ ابن كثير فى تفسيره عند تفسيره لقوله تعالى ((ورسلا قد قصصناهم عليك ...) الآية ١٦٤ من سورة النساء .

وقال أورده : ابن حيان ووسمه بالصحة وخالفه ابن الجوزى فذكره فى كتابه الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هشام .

راجع تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٨٦ .

فصـل :

فاذا تقرر هذا فان الايمان فى هذا الباب ينقسم ثلاثة اقسام :

قسم فى مقام الاسلام

وقسم فى مقام الايمان .

وقسم فى مقام الاحسان .

فأما الأول فى مقام الاسلام :

فهو التصديق بهؤلاء الأنبياء الذين ظهرت أشخاصهم فى عالم الحس المسمين بآسمائهم كنوح وهود وشعيب ومن ذكر منهم الى مبعث محمد عليه السلام ومن لم يذكر باسمه (١) وذكر مجملا فى سائر الأنبياء .

واما المقام الثانى الذى هو مقام الايمان :

فأن تؤمن بأن جميع الأنبياء أخذوا الايمان من الملئكة من عالم الغيب ومنهم تلقوا الشرائع والوحي والسنن خلافا لمن يقول : ان العقل يدرك النبوة وحده وذلك مذهب أهل الضلال الذين يقولون ان عقل الانسان هو الملك وهو النبى وبه يكتفى عن كل شئ (٢)

وأما المقام الثالث فى مقام الاحسان :

فهو التصديق بمقام الخصوصية للأنبياء والرسل وان القدرة قد صرفت ذلك المقام عن جميع الخلق وغيبته عنهم كما قال تعالى :

---

(١) فى ع : باسم

(٢) انظر توضيح هذا القول فى كتاب النبوات لابن تيميه وقد نسب هذا القول الى الفلاسفه ومن حذا حذوهم من المتصوفه كابن عربى وابن سبعين ص ١٧٢ وقبل ذلك من ص ١٦٨

(... وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ...) (١)

وقالت الرسل في هذا المقام لأممهم :

(... ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) (٢)

اى بالخصوصية .

فمقام الرسالة محجوب عن الخلق أعنى مقام الرسالة ولا يأتى أحد بكتاب ولا يشرع شريعة الا أن يكون رسولا مطلعا على مقام الرسالة لكن مقام الصديقية والالهام والفهم والرؤيا الصادقة قد بث الله معانى ذلك في الوجود ، وندب الى الارتقاء في تلك المقامات الشريفة ليفهم بها الموقنون مقامات الأنبياء ويرتفعون على آثار الأنبياء في الدرجات .

والنبوة التى هى علو الدرجه مندوب اليها (لكن على أثر الأنبياء (٣) والاقتداء بهم وذلك من بركات الأنبياء .

وفى ذلك (٤) المقام مقام (٥) الولاية والصديقية والمحادثة .

ومنهم أبدال النبيين (٦) وورثتهم من العلماء الراسخين ،

قال النبى عليه السلام :

---

(١) سورة آل عمران من آية ١٧٩

(٢) سورة ابراهيم من آية ١١

(٣) جملة : (لكن على أثر الأنبياء) لم ترد في ع .

(٤) في ت : وذلك . .

(٥) في ظ ،خ ، ت : مقامات

(٦) تقدم ص ٤١٦ فيراجع .

(ان منكم مكلمين — وفى رواية اخرى — محدثين وان عمـــــر لمنهم) (١)

وقال (صلى الله عليه وسلم) :

(الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جــزءًا من النبوة) (٢)

---

(١) روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : (لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا أنبياء فان يكن فى امتى منهم احد فعمر . .) كتاب فضائل الصحابه رقــــم الحديث ٣٦٨٩ . وروى مسلم نحوه عن عائشه وفيه : (قد كان يكون فـــى الامم قبلكم محدثون . . .) كتاب فضائل الصحابه رقم الحديث ٢٣٩٨
وورد فى كتاب السنه لابى عاصم تحقيق الألبانى رقم الحديث ١٢٦١ و ١٢٦٢ (وقد أورد ابن حجر فى فتح البارى فى شرحه لهذا الحديث الأقوال فــــى معنى " محدثون " ومما قال :
اختلف فى تأويله فقيل :
= ملهم قاله الأكثر قالوا : المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن . .
= وقيل من يجرى الصواب على لسانه من غير قصد . . . .
= وقيل مكلم أى تكلمه الملئكة بغير نبوه . . .
راجع فتح البارى جـ ٧ ص ٥٠
وانظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٥ ص ٢٥٩ طبعه كتاب الشعب ، ومدارج السالكين جـ ١ ص ٤٤
وانظر صيانه الانسان لمحمد بشير الهندى ص ١٤٤ ط ٥ ومسنـــــد الحميدى جـ ١ ص ١٢٣ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى .

(٢) رواه البخارى فى كتاب التعبير باب رؤيا الصالحين رقم الحديث ٦٩٨٣ ورواه مسلم فى كتاب الرؤيا رقم الحديث ٢٢٦٣ وما بعده فى الباب ، وانظر جامع الاصول فى أحاديث الرسول جـ ٢ ص ٥١٥ فى ذكر الرؤيا وأدابها .
وقد أورد ابن حجر الأقوال فى معنى كون الرؤيا جزءًا من النبوه حيث قال =

= وقد استشكل كون الرؤيا جزءًا من النبوة مع أن النبوة انقطعت بموت النبى صلى الله عليه وسلم فقيل فى الجواب :

= ان وقعت الرؤيا من النبى صلى الله عليه وسلم فهى جزء من أجـزاء النبوة حقيقة وأن وقعت من غير النبى فهى جزء من أجزاء النبـوه على سبيل المجاز .

= وقال الخطابى : قيل معناه ان الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لأنها جزء باق من النبوه .

= وقيل المعنى انها جزء من علم النبوه وان انقطعت فعلمها بـاق

= وقال ابن بطال : كون الرؤيا جزءًا من أجزاء النبوة مما يستعظم ولو كانت جزءًا من ألف جزء فيمكن ان يقال ان لفظ النبوة مأخوذ مـن الانباء وهو الاعلام لغة فعلى هذا فالمعنى أن الرؤيا خبر صادق من الله لا كذب فيه كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله لا يجوز عليه الكذب فشابهت الرؤيا النبوة فى صدق الخبر .

= وقيل ان الله أوحى الى نبيه فى المنام ستة أشهر ثم أوحى اليه بعد ذلك فى اليقظه بقية مدة حياته ونسبتها من الوحى فى المنام جزء من ستة وأربعين جزء لانه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين سنة علـى الصحيح . . .

وقد ذكر رحمه الله اقوالا غير هذه كثيرة ونقد بعضها وأورد رأيـا للحليمى ذكر فيه وجوها من الخصائص العلميه للأنبياء تبلغ ستة وأربعين خصيصة الرؤيا واحدة من تلك الوجوه ، وهذا الرأى قريب منه رأى ــ المؤلف فرأى المؤلف أن النبوة مشتقه من النبوة (وهى فى اللغه المكان المرتفع) فالنبوة : علو الدرجه فهى أعلى درجه من ست واربعيـن درجه ومنها الرؤيا الصالحه والصديقيه والمحادثه . . . . الخ ولا تكون بمجموعها الا لنبى ولا تحصل واحدة منهن الا ببركة إتباع ـ النبى .

راجع فتح البارى جـ ١٢ ص ٣٦١ ــ ٣٦٦

وجامع الاصول جـ ٢ ص ٥١٨

وانظر مدارج السالكين لابن القيم جـ ١ ص ٤٤

وقال (صلى الله عليه وسلم)

من أوتي القرآن فقد أوتي النبوة الا انه لا يوحى اليه) (١)

يعني أنه لا يكون رسولا فعلى قدر الارتقاء في درجات الصديقية ومقام الالهام والمحادثة والفهم في كتاب الله واتباع نبي الله يكون ارتفاع درجة العبد في مقام النبوة التي هي ارتفاع الدرجه .

واما مقام الارسال وشرع الشرائع فانه (٢) مقصور محجور على أهلـه .

أماتنا الله واياكم على سنته واستعملنا بما جاء به ورفع درجتنا في القرب منه آمين وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما .

---

(١) لم أجده ،وذكر الحليمي نحوه في المنهاج وقال محققه لم أجده في الكتب التسعة جـ٢ ص ٢٥٦

(٢) في ظ ث ،فذلك مقصور

الشعبة الخامسة والثلاثون :

الايمان بكتب الله المنزلة من عنده على انبيائه عليهم السلام :

اما كونه من شعب الايمان فلا يحتاج ايضا الى استشهاد عليـــــه ،

قال الله تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل علـــى رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ..."(١)

والكتب المنزلة على الانبياء هى النبوة والوحى والاشخاص المنزل عليهـــم هم الانبيـــاء.

وجملة الكتب المنزلة من عند الله تعالى المشهورة مائة كتاب واربعـــة كتب يجب الايمان بها .

وروى ابو ذر قال :

قلت يا رسول الله كم كتاب انزله الله عز وجل ؟

قال : مائة كتاب واربع كتب أنزل الله على شيث خمسين صحيفـــــة وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وانزل الله علـــى موسى قبل التورات عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل والزبـــــــور والفرقـــــان (٢)

---

(١) سورة النساء من اية ١٣٦ .

(٢) تقدم الكلام عن هذا الحديث فى الشعبة التى قبل هذه.
ولو صح هذا الحديث عند السلف لكان الايمان بهذا العدد الذى ورد فيه واجب لكنه لم يصح عندهم ولذا قالوا : نؤمن بما سمى الله مـــن الكتب فى القرآن من التوراة والانجيل والزبور ونؤمن بان لله تعالى كتبـا انزلها على انبيائه لا يعرف اسمائها وعددها الا الله تعالى .
انظر شرح الطحاوية ص ٣٥٠.

وكذلك يجب الايمان بكل ما (١) انزل الله الى جميع الانبياء عليهم السلام فى خاصية انفسهم وما امروا بتبليغه الى الخلق لان الله يقول :

" قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ..." (٢)

وقال :

" انا وحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم ... الى قوله ..:

" ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك .." (٣)

فالايمان بجميع ما انزل الله على جميع الانبياء واجب لانه وحى من عند الله ويجزى من ذلك كله الايمان بالقران العظيم فانه قد وجب الايمان بكل اية منه وقد ذكر فيه جميع الانبياء عموما وخصوصا وما انزل عليهم .

ففى الايمان به ايمان بجميع الكتب لانه مهيمن على جميعها وكذلك يجب الايمان بكل ما صح من حديث رسول الله (محمد) (٤) صلى الله عليه وسلم وهو شعبة من شعب الايمان بذاته لكن قرنته فى باب واحد مع الايمان بالكتب لانه وحى وقد (اخبر) (٥) الله عنه انه (٦) ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى .

---

(١) فى ع : بكل كتاب انزل الله .
(٢) سورة البقرة من اية ١٣٦ .
(٣) سورة النساء الايتان ١٦٣ ، ١٦٤ .
(٤) اسم " محمد " ورد فى ظ .
(٥) هكذا فى : خ ، ظ ، ت . وفى البقية قد نبه .
(٦) فى ظ ، بأنه .

فالايمان بحديثة واجب والمكذب به مكذب للرسول (١) .

وقد زعم قوم من المتأخرين بمجرد العقول (٢) انهم يستغنون بالعقل عن الكتب والانبياء وما زعموه باطل فان العقل لا يستغنى عن الشرع والشرع لا يقبل الا بالعقل لا يستغنى واحد منهما عن صاحبه ومن اجل هذه المقالة ضل جميع الخلق الا اتباع الانبياء دليل ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :(٣)

" ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم افاض عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل "(٤) .

والنور الذي افاض عليهم هو نور كتبه المنزله كما قال :

" ... واتبعوا النور الذي انزل معه ..."(٥)

" ... وانزلنا اليكم نورا مبينا "(٦)

" ... والنور الذي انزلنا "(٧) .

---

(١) في خ : مكذب للرسل وهو اصح .

(٢) في خ : بمجرد العقل .

(٣) في ظ : حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

(٤) الحديث ذكره ابن ابي عاصم في كتاب السنة وخرجه الالباني من عدة طرق انظر ذلك في كتاب السنة لابن ابي عاصم ج ١ ص ١٠٧ باب ٤٣ الاحاديث ٢٤١ ــ ٢٤٤ وقال الالباني عن بعضها : اسناده صحيح رجاله كلهم ثقات ونقل قول الحاكم عن روايته : صحيح على شرطهما و لا اعلم له علة .
وانظر شرح هذا الحديث في فيض القدير ج ٢ ص ٢٣٠ رقم الحديث ١٧٣٣ .

(٥) سورة الاعراف من الاية ١٥٧ .

(٦) سورة النساء من آية ١٧٤

(٧) سورة التغابن من آية ٨ .

وقال عليه السلام :

" تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى "(١)

وفى حديث اخر :

" من ابتغى الهدى من غيره اضله الله "(٢)

يعنى القران :

وقال الله تعالى :

" ... وان تطيعوه تهتدوا ... "(٣)

دليله من لم يطع الرسول فقد ضل .

فاذا تقرر هذا فالايمان بالوحى على ثلاثة اضرب كما تقدم فى سائر المقامات:

ضرب فى مقام الاسلام وضرب فى مقام الايمان وضرب فى مقام الاحسان

فاما الضرب الاول الظاهر فى مقام الاسلام :

فان يومن العبد ويصدق بان هذا القرآن والحديث المكتوب فى الاوراق وهى (٤) كتب الله وحديث رسول الله يسره الله بلسان

---

(١) اخرجه مالك فى الموطأ فى كتاب القدر الحديث رقم ٣ واخرجه الحاكم فى كتاب العلم ج ١ ص ٩٣ وانظر مشكاة المصابيح ج ١ ص ٦٦ باب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم الحديث ١٨٦ .

(٢) ورد فى حديث طويل فيه ذكر فضائل القرآن اخرجه الترمذى فى كتاب فضائل القران باب ما جاء فى فضل القرآن رقم الحديث ٢٩٠٦ ورواه الدارمى ج ٢ ص ٤٣٥ .
وقال ابو عيسى عنه : هذا حديث لا نعرفة الا من هذا الوجه واسناده مجهول وفى الحرث مقال ، وقال الالبانى : هذا حديث جميل المعنى لكن اسناده ضعيف فيه الحارث الاعور وهو لين بل اتهمه بعض الائمة بالكذب ولعل اصله موقوف على على رضى الله عنه فاخطأ الحارث فرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم / الطحاوية ص ٦٨ وانظر فضائل القران الملحق باخر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥ .

(٣) سورة النور من اية ٥٤ .

(٤) فى ظ ت : "هى " بدون الواو فتكون خبر ان وهو الاصح .

نبيـــه للذكر والعمل به •

فوجب على كل مؤمن (ان)(١) يعمل جميع (اعمال)(٢) الاســلام بالكتاب والسنة فان الايمان عمل بالجوارح وتصديق بالقلب ونطق باللسان ويجعل الانسان امام عمله الكتاب والسنة وما تفرع منهما وشهد له انـــه منهما ويجتنب الاراء والاقوال الفاسدة الضعيفه •

فهذا من الايمان بالوحي في مقام الاسلام •

واما الضرب الثاني في مقام الايمان :

فان يصدق بان هذا الكتاب والوحي هو الذي ظهر على لســـــان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه من الانبياء (٣) نزل من عنـد الله بواسطة الاملاك • ومن اللوح المحفوظ كما قال تعالى فيه انه :

" ••• تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة "(٤) •

" ••• في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون "(٥)

فان الكفرة قالوا فيه : " كما حكى الله عنهم ":

" ••• انما يعلمه بشر ••• "(٦)

" ••• ان هذا الا افك افـــتراه ••• "(٧)

---

(١) زيادة ليستقيم المعنى •

(٢) لم ترد كلمة " اعمال " في ع ،وردت في بقية النسخ وفي خ ، ت : بجميع اعمـــال " •

(٣) جملة " وانه من الانبياء " لم ترد في ظ ، ت •

(٤) سورة عبس الايات : ١١ ـ ١٦ •

(٥) سورة الواقعة الايتان ٧٨ ، ٧٩ •

(٦) سورة النحل من الاية ١٠٣ •

(٧) سورة الفرقان من الاية ٤ •

وغير ذلك مما كذبوا به فيجب على كل مؤمن أن يعتقد خلاف ما قالوا ويصدق انه من عند الله نزل على جبريل ثم على محمد ثم يسره الله بلسان نبيه عليه السلام •

وأما الضرب الثالث في مقام الاحسان :

فأن تصدق وتؤمن انه قائم بذات الله وصفة من صفاته يتكلم به ازلا وابدا •

فاذا نظر الناظر في اياته وتدبر في معجزاته وعجائبه تبين له انه كلام الله يقينا لا سيما اذا فهم معانية وكان البارى هو الذى يهديه فيه ويفهمه فحينئذ يرى في هذا المقام كيف خاطب به الوجود كله وكيف هو كلمة واحدة متحدة بذات البارى والوجود متكون بتلك الكلمة •(١)

وكيف هو – اعنى القران – مبين لجميع الاشياء ومبين لصفات البارى وما هو عليه مما يجب له ويجوز عليه ويستحيل•

وكيف هو تبيان لكل شىء وكيف احتوى على علم الاولين والاخرين كما قال تعالى :

" ••• ما فرطنا في الكتاب من شىء •••"(٢)

---

(١) قوله : كيف خاطب به الوجود •• الخ هذا بناء على مذهب المؤلف الذى وافق فيه قول الاشاعرة وهو ان كلام الله كلام نفسى ••• وقد تقدم الكلام على هذا القول والرد عليه بما يراه السلف فراجع ص ٤٧ ا وص ٨٨ ٥ وما

(٢) سورة الانعام من اية ٣٨•

لان القرآن هو تفسير وتبيين للصفات والاسماء اسماء البارى وتفسير وتبيين لكل شىء فهذا مقام العلماء الروحانيين والربانيين وهو هدى الله يهدى به من يشاء.

ومن زعم انه يصل الى معرفة الله وعبادته منفردا بعقله فقد (رد) (١) على الكتاب والسنة وعليه الدليل.

وليقال : فلان اهتدى بعقله دون الرسل والكتب ولو واحدا من الخلق وليس بجسده فان احتج محتج بابراهيم عليه السلام وانه نظر الى الكوكب (٢) والقمر والشمس وارتقى الى معرفة الله وملكوته بالنظر فان الله يقول قبل نظره.

" وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ... " (٣)

واعلمنا ان الله علمه واراه الايات (٤). وتعليمه (اياها) (٥) هو

---

(١) فى ع : فقد ربما وورد فى بقية النسخ رد.

(٢) فى ت : الى الكواكب.

(٣) سورة الانعام من الاية ٧٥.

(٤) غرض المؤلف : رحمه الله ، ان ابراهيم عليه السلام دعا قومه الى التوحيد قبل أن يحصل منه النظر فى الكواكب كما اخبر الله تعالى فى قوله فى سورة الانعام :
" فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الأفلين .. " الايات.
وهذا ما ذهب اليه الجمهور. انظر تحقيق ذلك فى روح المعانى للالوسى ج ٧ ص ١٩٨ ــ وانظر ايضا دعوة الرسل تأليف محمد العدوى ص ٤٣ ــ ٤٤. وانظر دقائق التفسير ج ٣ ص ١٨٧. وانظر الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١١١.

(٥) فى ظ ،ت : تعليمه (اياها) وهو أصح وفى بقية النسخ تعليمه اياه

الوحى حتى ان تعليم الانبياء فى المنام وحى وكذلــك ورد فــى الحديـــث :

" رؤيا الانبيــاء وحى ... "(١).

والفلاسفة هم اكيس النظار بالعقل المجرد ، وقد كفروا وابتدعــوا فى نظرهم فأى هدى يضاف الى عقل يوصل الى الكفر والبدعة ، ولقــد وصل بهم نظرهم الى حد تصور لهم الباطل فى صورة الحق وعضدوه بالبراهين وزعموا ان التنزيه الكامل والنور الساطع فيما ادركوه مــن الباطل مثل قولهـــم :

ان الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات بوجه وانه لو علمها لكـــان نقصا فى حقه جل جلاله ، والله تعالى يقول :

" .. وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ."(٢)

فمن زعم ان هذا النظر مصيب فليكفر بهذه الاية . وبكل اية مثلهــا وانما النقص الحقيقى ان لو كان ما قالوه حقا فان من غاب عن علمــه شىء وان دق فقد نقص علمه وتناهى وانما العلم الكامل : الــذى لا يتناهى ولا يعزب عنه شىء كبر او صغر.

فانظر كيف انقلب الباطل عندهم حقا والحق باطلا حتى عضــدوه بالبراهين فى زعمهم .

---

(١) من حديث رواه البخارى فى صحيحة فى كتاب الوضوء باب التخفيف فى الوضوء رقم الحديث ١٣٨ وكذا اورده فى كتاب الاذان باب وضوء الصبيان رقم الحديث ٨٥٩.

(٢) سورة الانعام من الاية ٥٩.

وهذه المسألة اول ما كفروا بها .(١)

فان قال قائل :

فان فى علوم النظار منهم ومن غيرهم ما هو حق ومبرهن عليه وحكم كثيرة تقبلها العقول السليمة .

قلنا نعم لكن ذلك من اقوال انبياء كانوا قبلنا (٢) فيهم وحكماء كانوا اتباعا لهم ثم حدثت بعدهم الاهواء وكثرت الاراء الفاسده كاراء المبتدعة فى شريعة محمد عليه السلام وكتحريف النصارى واليهود لشرائع انبيائهم فما وافق اقاويلهم الحق قبلناه كما قال معاذ بن جبل رضى الله عنه :

" تلق الحق اذا سمعته فان على الحق نور "(٣)

وما خالف الحق الذى هو الشرع رمينا به وجه الشيطان .

وقد ذكر المجوس انه كان فيهم انبياء وسموهم (٤)

---

(١) تقدمت هذه المسألة وغيرها ص ١٠٠ وانظر المنقذ من الضلال للغزالى تحقيق د / جميل صليبا وزميله ط ٩ ص ١٠٦ والرد على المنطقيين لابن تيمية ص ٥٢٣ .

(٢) كلمة " قبلنا " لم ترد فى ظ ، غ ، ت .

(٣) ذكره ابو نعيم فى الحلية جـ ١ ص ٢٣١ و ٢٣٢ والذهبى فى سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٤٥٧ .

(٤) المجوس هم عبدة النيران القائلون ان للعالم اصلين نور وظلمه وهم اقدم الطوائف وأصلهم من بلاد فارس نبغوا فى علم النجوم وهم ممن لهم شبهة كتاب .

انظر الملل والنحل للشهرستانى تحقيق احمد فهمى جـ ٢ ص ٥٤ وجـ٣ ص ٣ حيث جعلهم من اصحاب الديانات الذين هم : المجوس واليهود والنصارى والمسلمين وذكر ان المجوسيه افترقت على سبعين فرقة وادعو نبوة زرادشت وانظر الفصل لابن حزم جـ ١ ص ٩٨ .

وذكر اليونانيون ان امرأه منهم حاكمت زوجها الى بعضهم فاصابتــه مشغولا بالتقديس ـ يعنى الصلاة ـ فانتظرته مع زوجها حتى فرغ وقــال :

يا جاهله ـ بمقدار ما جنته على نفسها ـ اعترفى بذنبك واطمى زوجـك بجنــايتك عليه فان السكران الذى واقعك فى ليلة ـ كذا ـ وزوجـك قائم فى الهيكل يدعو لك بدوام البقاء والسلامة قد احبلك لما اســتترت عن اعين البشر لم تبق عين ترى عيبك (١) او لم تعلمى ان فـــى ملكوت السموات (منها) مالا يحصى عدده وانت فيهم كالمكفوفة بـــين المبصرين وستلدين بعد شهرين خلقا مشوها •

ثـم قال للزوج :

عقدت نكاح هذه المرأة على غير استقامة فحصدت منها اكثر مـــا زرعته فولدت شخص انسان له يدان ، ويدان فى صدره صغيرتــان •

وذكروا ان رجلا وافاه فقال :

يا نور الالباب انى دفنت مالا فى موضع من منزلى ونسيت مكانه فقــام معه وجاء الى منزله فأثاره ثم قال :

يا أيها الممتحن لى (٢) والشاك فى انه لابد ان يتلف منك ما اثرتــه لك من المال فى هذا الاسبوع ثم لااستخرجه لك بعدها فان حقــا على من لعـب بنعم الله ان يسلبه اياها فذهب المال •

---

(١) فى ع : عينــك وفى البقية عيبك وهو الاصح •

(٢) فى ع : الممتحن بى •

ومن نوادر حكمهم :

من غلب عقله هواه افتضح .

من غض طرفه اراح قلبه .

ايها الانسان اذا اتقيت ربك وحذرت الطريق المؤدية الى الشر (لم) تقع في الشر . (١)

لا تلم القضاء فيما جنيت .

شر يدفع خير من خير لا ينفع .

لا شيء اشد من ترك الشهوة .

تحريك الساكن ايسر (٢) من تسكين المتحرك .

من قل وفاؤه كثر اعداؤه .

احسن ان احببت ان يحسن اليك .

با لهمم العاليه والقرائح الزكية تصل القلوب الى تسليم العقل الروحاني وترمى في ملكوت الضياء والقدرة الخفية عن الابصار المحيطة بالاقطار وترتقى (٣) في رياض الالباب المصفات من الادناس .

وبالافكار يصفوا كدر الاخلاق المحيطة باقطار الهيا كل الجسمانيه فعند الصفو ومفارقه الكدر تميز الارواح التي لا يصل اليها انحلال ولا اضمحلال الحكمة حياة النفوس وزراعة الخير في القلوب ومثيرة الحظ وحاصده الغبطة وجامعة السرور ولا يخبو نورها ولا يكبو زنادها .

---

(١) وردت في النسخ : ثم تقع في الشر ولا معنى له وهو تصحيف من لم كما هو واضح .

(٢) في ت : اهون .

(٣) في ظ : وترتع .

الحكمة حلة العقل وميزان العدل ولسان الايمان وعين البيان وروضه الاداب ومستراح الهموم عن الانفس وأمن الخائفين وانس المستوحشين ومتجر الراغبين وحظ الدنيا والاخرة ، وسلامة العاجل والاجل .

كل شيء تتهيأ فيه حيلة الا القضا

ليس شيء اقرب الى تغير (١) النعم من الاقامة على الظلم .

فهذه (كلها حكم (٢) صدرت) عن الانبياء وعن اتباعهم من العلماء الاولياء الحكماء .

وكتب بعضهم الى ملك زمانه وقد مات ابنه :

ان الله تبارك وتعالى جعل الدنيا داربلوى وجعل الاخرة دارعقبى فيأخذ مايأخذ مما يعطى ويبلى (٣) اذا ابتلى ليجزى .

الذنوب الفاضحة تذهب الحجج الواضحة .

اعقلوا فى ستر من انتم فان كنتم لا تعقلون فاحذروا الدنيا فان كنتم لا تحسنون ان تحذروا الدنيا فاجعلوها(٤) شوكا وانظروا اين تضعون اقدامكم . واحذروا اكل الشهوات فان القلوب المعلقه بالشهوات محجوبه عن الله عز وجل .

فهذه الفاظ تذكر الغيب والاخرة التى جاءت بها الانبياء .

من اراد ان يقوى على طلب الحكمة فليكف عن تمليك النساء نفسه لا ضرا (٥) اضر من الجهل ولا شرا اشر من النساء .

---

(١) فى ظ : تغيير .

(٢) فى ع : أ : فهذه احكام صدرت .. والاصح حكم كما فى بقية النسخ .

(٣) فى ظ ويبتلى اذا ابتلى .

(٤) فى بعض النسخ : فاجعلوها شوكا ولعله هو الصواب .

(٥) فى أ ، ظ ، ت ، خ : لا ضرر .

من كانت الدنيا عنه سائره فلا يشك ان اعضاءه فانيه ومهجته عـــن الدنيا راحلة .

من حسن خلقه غفر ذنبه واقيلت عثرته ، ومن اساء (١) خلقه عوقـــب في حياته ولم يصفح عن زلته بعد مماته .

الدنيا وان رمقت خطوه من لحـظة ملتفت .

يحسن بالمرء التعلم (٢) ما دامت به الحياة .

وقال بعضهم :

ما احب ان النفس علمت كلما اوعدت (٣) به فقيل (له) (٤) لم ايـــه الحكيم ؟

فقال لانها لو علمت (لطالب لم ينتفع بها) (٥) .

ما عندى من فضيلة العلم الا علمى بأنى لست بعالم .

الاتكال على القضا اروح وقله الاسترسال احزم .

اذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه واذا طلبهم فاهرب منه .

هذه كلها حكاية (٦) حكم مقبوله لانها داله على الحق .

وما وجد فى كلامهم من الباطل علم بانها اراء فاسدة دخلت عليهـــم حين عدم الانبياء واتباعهم من الحكماء .

---

(١) فى ظ : ومن ساء .

(٢) فى ع ، أ : التعليم .

(٣) فى ظ ، ت : كلما وعدت .

(٤) الزيادة من ظ .

(٥) هكذا وردت فى ظ ، وفى البقية لم تكن واضحة فى البعض وفـــى ع : لطالت فلم ينتفع بها والمعنى غير واضح بهذه العبارة .

(٦) كلمة " حكاية " لم ترد فى ظ ، ت . خ .

وانما الغرض من ايلاف (١) اقوالهم : ان كل كتاب (٢) وافق الكتاب والسنة قبل وما لم يوافق طرح ولم يقبل فان الله تعالى يقول :

" ... وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ... " (٣) .

اى بغير علم من الله ومن رسوله كما قال فى آية اخرى

" فان لم يستجيبوا لك) ـ يا محمد ـ (فاعلم انما يتبعون اهواءهم . "

ـ اى اراءهـــم ـ

" ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ... " (٤)

فالهدى انما هو من الله وهداه هو الكتب المنزله على رسله لا يوصـــل الى الحق الا بها .

جعلنا الله من المهتدين بهديه (٥) المتمسكين بحبله المتبعـــــين لنبيه ورسوله .

ورزقنا الفهم عنه امين .

" وصلى الله على محمد واله وسلم " (٦)

---

(١) فى ظ : ايتلاف .

(٢) فى ظ ، خ ، ت : كل كلام .

(٣) سورة الانعام من الاية ١١٩ .

(٤) سورة القصص اية ٥٠ .

(٥) كلمة " بهدية " لم ترد فى خ .

(٦) جملة " وصلى الله على محمد واله وسلم ورد ت فى ظ فقط .

الشعبة السادسة والثلاثون : الايمان بالملئكة :

اما كون هذه الشعبة من الايمان فبين لا يحتاج الى دليل

قال الله تعالى :

" آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله ..." (١)

وفي حديث جبريل عليه السلام في سؤاله عن الايمان قال : ما الايمان ؟ قال :

" ان تؤمن بالله وملئكته .. " (٢)

وشواهد هذا الباب اكثر من ان تحصى .

واعلم رحمك الله ان الايمان بالملئكة واجب كالايمان بالرسل والجاحد للملئكة كافر لا يقبل ايمانه لانه مكذب بكتب الله ورسله (٣) وعددهم (لا يحصيه) (٤) الا الله تبارك وتعالى فان الملك كله ظاهراً وباطناً والصور بما حوى معمور بهم . لا يخلوا منهم مكان لانهم خدمة الملك كلهم ومتعبدون له في جميع اقطار العالم كله (٥) .

فمنهم ملئكة موكلون بالارض لا يحصى عددهم الا الله ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة البقرة من اية ٢٨٥ .

(٢) تقدم تخريجه

(٣) انظر كتاب الرد على المنطقيين ص ٤٨١ وص ٤٨٩ ـ ٤٩٨ وقد ذكر انكارهم للملئكة وتفسيرهم لهم بانهم : العقول والنفوس او انهم الصورة الخيالية التي ترسم في الحس المشترك ، وانظر الفصل لابن حزم ص ٦٩ ، وانظر العقائد الاسلامية للسيد سابق ص ١٠٩ .

(٤) في ع : لا يحصيهم .

(٥) في خ : كلهم .

" أن لا تستدبر القبله لبول او غائــط "(١) .

اكراما للمصلين اليها "(٢) .

وفى الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها انها قالـت :

قلت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم اشد من يـــوم احد قــال :

لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذا عرضت نفسى على ابن عبد (ياليل)(٣) بن عبد كلال فلم يجبنى الـى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهى فلم استفق الا وانا بقــرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا انا بسحابه قد اظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى فقــال :

ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليـــك ملك الجبال لتأمره بما شيــت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم علــى ثم قال : يا محمد هو ذلك بما شيئت ان شيئت ان اطبق عليهـم الاخـشبين فقال رسول الله عليه وسلم :

---

(١) فى ظ : ببول ولا غائط . وفى ت ، خ ولا غائــط .

(٢) الروايات الواردة فى ذلك كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم انظر : باب لا تستقبل القبلة بغائط او بول ... فى فتح البــارى ج ١ ص ٢٤٥ وما اورده الشارح فى الشرح من مذاهب واقوال العلمـاء فى حكـم استقبال القبله بذلك. وانظر جامع الاصول ج ٧ ص ١٢٠ استقبال القبلة واستدبارها ، وما اورده المؤلف تحت هذا العنوان مـــن الاحاديث .

(٣) فى ع ، عبد ليل وهو خطأ .

بل ارجو ان يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشـرك به شيئا .(١)

فأثبت للملك أنه موكل بالجبال والله اعلم بما بين يديه (٢) مـن الملئكـة . وانه شخص وأنه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم ملئكـة موكلون بالبحر وذكر ان منهم ملكا اسمه مهليهائيـل يسبح (الله) بهذا التسبيح .

سبحان الله العلى الدانى سبحان الله شديد الاركان سبحان مـن يذهب بالليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شـأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله فى كل مكان .

فقال : من قال هذا التسبيح مائه مرة لم يمت يرى مقعده مـن الجنة او يرى له .(٣)

ومنهم موكلون بالهواء وما بين السماء والارض .

ومنهم السباحون الذين يتبعون مجالس الذكر كما ورد فى صحيـح مسلـم (٤) عن ابى هريرة (رضى الله عنه) ان رسول الله صلـى الله عليه وسلم قال :

---

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق باب اذا قال احدكم آمين .. رقـم الحديث ٣٢٣١ والاخشبان جبلان بمكه انظر فتح البارى جـ ٦ ص ٣١٦ .

(٢) فى بقية النسـخ : بما تحت يديه .

(٣) لم اجده فى الامهات الست ومسند احمد .

(٤) رواه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء باب فضل مجالس الذكـر رقم الحديث العام ٢٦٨٩ .

" ان لله ملئكة سيارة (فضلا) (١) يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحط (٢) بعضهم بعضا باجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء والارض .. "

وذكر الحديث الى اخرة .

ومنهم الذين ينقلون الصلاة لمحمد صلى الله عليه وسلم ممن يصلى عليه (٣) .

فهذه كلها صفات اشخاص عالمه متكلمة بالاذكار .

---

(١) وردت في " ع " فضل وفي ظ : فضلاء وفي هامش صحيح مسلم ذكر الاوجه الخمسه التي وردت بها هذه الكلمة وهي " فضلا " فضلا فضلا فضل فضلاء جمع فاضل .
ثم قال : قال العلماء معناه على جميع الروايات انهم ملئكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق فهؤلاء السيارة السياحون في الارض لا وضيفه لهم وانما مقصودهم حلق الذكر ، وانظر فتح الباري ج ١١ ص ٢١١ ومشارق الانوار للقاضي عياض ج ٢ ص ١٦٠ .

(٢) قال القاضي عياض في مشارق الانوار ج ١ ص ١٩٣ : وحط بعضهم بعضا بأجنحتهم ... معناه اشار بعضهم الى بعض باجنحتهم للنزول لاستماع الذكر قول البخاري هلموا الى حاجتكم .
وفي رواية حط ... وفي رواية حض اى حث وفي بعضها : حف ... وانظر هامش صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٧٠ تعليق محمد عبد الباقي .

(٣) في مسند احمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان لله ملئكة في الارض سياحين يبلغوني من امتي السلام "
المسند ج ١ ص ٣٨٦ وسنن الدارمي ج ٢ كتاب الرقائق باب في فضل الصلاة على النبي وقال البنا في الفتح الرباني ج ١٤ ص ٣١١ : صححه الحاكم وابن حبان واورده الهيثمي وقال رجاله رجال الصحيح .

ومنهم ساكن في السموات السبع وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء • وذكر (١) ان تسبيح اهل سماء الدنيا :

سبحان ذي الملك والملكوت • من قالها له مثل ثوابهم وتسبيح اهل السماء الثانية :

سبحان ذي العزة والجبروت من قالها كان له مثل ثوابهم وتسبيح (اهل السماء) (٢) الثالثة :

سبحان الحي الذي لا يموت من قالها كان له مثل ثوابهم و وتسبيح اهل السماء الرابعة :

سبحان القدوس رب الملئكة والروح من قالها كان له مثل ثوابهم وتسبيح اهل السماء الخامسة :

سبحان من جمع بين الثلج والنار من قالها كان له مثل ثوابهم وتسبيح اهل السماء السادسة :

سبحان القدوس رب كل شيء من قالها كان له مثل ثوابهم وتسبيح (٣) اهل السماء السابعة :

سبحان خالق النور من قالها كان له مثل ثوابهم) (٤)

---

(١) لا يخلو ان يكون قوله " وذكر " للمعلوم فيكون معطوفا على قوله " وصفهم " وهذا الحديث لم يذكره ابن كثير في ما اورده من احاديث الاسراء في اول الجزء الثالث وان كان للمجهول ، والواو استئناف فان الرواية التي اخبر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم انه سمع تسبيحا في السموات ... ذكرها ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى (تسبح له السموات السبع .. " من سورة الاسراء الاية ٤٤ • لكن لم أجدها بهذا النص الذي أورده المؤلف •

(٢) كلمة " اهل السماء " سقطت من ع•

(٣) الجملة من تسبيح .. الى ثوابهم سقط من ع•

(٤) ذكر بعضه في حديث في الحلية عن سعيد بن جبير جـ ٤ ص ٢٧٧ •

ومنهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار ومنهم حملــــه العرش

ومنهم موكلون بالحجب ومنهم موكلون بالمطر حتى انه قــــد ورد :

انه لا تنزل قطرة من السماء الا ومعها ملك " (١)

ومنهم موكلون بالارحام وخلق النطف وموكلون بنفخ الارواح في الاجساد

وموكلون بخلقه النبات وتصريف الرياح وجرى الافلاك والنجوم ومنهم حفظة

على اعمال العباد ومنهم موكلون بحفظ بني ادم يحفظونه من امر الله

اى بأمر الله •

وعلى الجملة :

فانهم عامرون للملك كله حتى انه ليس في العالم موضع شبر الا وهـــو

معمور بالعباد الكريمين الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلــــــون

ما يؤمرون •(٢)

ويجمع لك ذلك كله على الاختصار ان تعلم ان العالم على ثـــــلا ث

مراتـــــب :

عالم الملك والشواهد (٣) الظاهر للحواس والجسد في مقام الاســـــلام

وعالم الملكوت الباطن الذى هو عالم الكرسي الذى وسع السمـــــــــوات

والارض وعالم النفس •

---

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره جامع البيان جـ ١٤ ص ١٤ في تفسير قولــــه تعالى من سورة الحجر من اية ٢١ • " •• وما ننزله الا بقدر معلـــوم " عن الحكم بن عتيبه : قال : وبلغنا انه ينزل مع المطر من الملئكة اكثـــر من عدد ولد ابليس وولد ادم يحصون كل قطرة حيث تقع وما

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر الملئكة وما اورده الشـارح لذلك جـ ٦ ص ٣٠٢ ، والمنهاج في شعب الايمان للحليمي جـ ١ الثالـــث من شعب الايمان وهو باب في الايمان بالملئكة •

(٣) في ظ ، خ : والشهادة •

والثالث : عالم العرش والحجب الذى هو عالم الروحانيين والمقربين من الاملاك . وعالم الروح .

والعالم كله مشحون بهم من اعلاه الى اسفله كما ورد فى القرآن والحديث قال الله تعالى :

" الذين يحملون العرش ومن حوله ... "(١)

فوصف ان الملئكة حافين بالعرش والملك كله ظاهرة وباطنه فالايمان بجميعهم واجب.

واعلم ان اوصافهم ستة اوصاف هى جامعة لكل فضيلة :

اولا : العلم الكامل كما شهد الله لهم بذلك فى قوله :

(شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة ... "(٢)

فثنى بشهادتهم بعد شهادته.

الثانى : العفة الكاملة عن الشهوات كما شبه الله نبيه يوسف فى قولـه :

" ... ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم "(٣)

الثالث : الاجتناب للمعصية كما اخبر الله عنهم فى قوله :

" ... لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون "(٤)

فليس فيهم من يعصى الله طرفة عين.

الرابع : الطاعة الكاملة والامتثال الكامل فى كل ما امر به المعبود جل جلاله كما اخبر عنهم فى قوله تعالى :

---

(١) سورة غافر من الاية ٧.

(٢) سورة ال عمران من الاية ١٨.

(٣) سورة يوسف من الاية ٣١.

(٤) سورة التحريم من اية ٦.

" ... ويفعلون ما يؤمرون " (١)

الخامس : الذكر الدائم المتصل الذى لا يداخله فتور ولا غفلة ولا يقطعه سهو ولا نوم كما اخبر عنهم فى قوله :

" يسبحون الليل والنهار لا يفترون " (٢)

السادس : الاخلاق الحسنة الكاملة فليس فيهم فيما بينهم تحاسد (٣) ولا شحناء ولا استطالة بعض على بعض ولا شىء يستقبح رحماء بالمؤمنين مستغفرون لهم ، اشداء غلاظ فى مواضع الشدة على من يجب ذلك عليه نافعون للخلق محسنون لهم بضروب المنافع والاحسان ثم مع هذا كله وهب الله لهم الاعمار (٤) الطائلة والذوات القوية على الخدمة ، ان هذا لهو الفضل المبين (٥) .

واعلم ان افضل الناس من تشبه بهم فى اوصافهم حتى يكون ادميا ملكيا وشر الناس من تباعد من اوصافهم حتى يكون آدميا شيطانيا (٦) .

فاذا فهمت هذا فاعلم :

ان الايمان بهم عليهم السلام على ثلاث اضرب :

---

(١) سورة التحريم من اية ٦ .

(٢) سورة الانبياء اية ٢٠ .

(٣) فى خ : تباغظ بدل تحاسد .

(٤) فى خ : الاعمال بدل الاعمار وهو خطأ .

(٥) فى خ : الفضل العظيم .

(٦) انظر عقيدة المؤمن للشيخ ابى بكر جابر الجزائرى ص ١٩٩ حيث استقرى من الاخبار الواردة فى الملئكة من الكتاب والسنة كثيرا من صفات الملئكة .

احدها : العمل باعمالهم من امتثال طاعة المعبود واجتناب معصيته

الثاني : التصديق بوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم .

الثالث : التشبه بهم في اوصافهم وافعالهم وعلومهم وهم في ذلك على مراتب ودرجات مرتبه فوق مرتبة ودرجه فوق درجة من الارض الى حملة العرش وسكان الحجب ، وعلى نحو هذه الدرجات ترتيب درجات المعراج الذى عرج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان كان قاب قوسين او ادنى والمعارج التى تعرج الملئكة (والروح اليه فيها)(١) وفى بعض احاديث الاسراء عن النبى عليه السلام وصف فيه مراتب الملئكة فى درجات المعراج قال :

" وكان المعراج ارسل من جنة الفردوس منضودا باللؤلؤ وما من مؤمن الا ويجعل له عند موته معراج اما ترون كيف يتبع بصره روحه والمعراج احسن شئ خلقه .. ثم قال فى الحديث :

" وما من درجة الا وعليها زمرة من الملئكة لهم زجل بالتسبيح "(٢) .

---

(١) ما بين القوسين لم ترد فى ع ووردت فى ت ، خ . وفى ظ والروح اليهما فيها وهو خطأ وانظر تفسير قوله تعالى " من الله ذى المعارج تعرج الملئكة والروح اليه .. " فى سورة المعارج ابن كثير ج ٤ ص ٤١٨ وروح المعانى ج ٢٩ ص ٦٦ ـ ٧٠ وغيرهما .

(٢) لم اجده ولم يذكره ابن كثير فى سرده لاحاديث الاسراء فى اول سورة الاسراء .

وقال الله تبارك وتعالى في ترتيب مراتبهم :

(وما منا الا له مقام معلوم •) (١)

فاحرص رحمك الله على الفكر والذكر ورفع الهمة عن هذا العالم الخسيس الادنى الى المحل الكريم محل الملئكة فانهم الملأ الاعلى (الذيـــن عكفوا بنفوسهم على خدمة العلى الاعلى) (٢) ومن فعل ذلك حصل لـه العلم واليقين بوجود الملئكة والعلم واليقين زائد على الايمان فانـــه اذا ارتفع الروح الى المحل الكريم الذى هم فيه فتحسن روحه بذواتهم فان الارواح تتشام فيجد الالهامات والخطرات المرضية تأتيه في قلبـــه من ذواتهم • وربما قوى الهام (٣) في حق قوم وربما كان الكشف لقـــوم على حسب ما يكون القرب منهم صلوات الله وسلامه عليهم • وافـــاض علينا من بركاتهم برحمته امين •

قال الله تبارك وتعالى :

" ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابـــوا ب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخـــياط ••• "

دليل الاية : ان من لم يكذب بأيات الله ولم يستكبر عن قبولهـــا والعمل بها تفتح له ابواب السماء ، ولما كان الملئكة على مراتب كمـــا تقدم : منهم من هو في عالم الحجب والعرش ومقاماتهم المحبة والانـــس

---

(١) سورة الصافات اية ١٦٤ وقال ابن كثير في تفسيرها :
اى له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادات لا يتجاوزه ولا يتعداه
ثم استشهد لذلك بأحاديث وآثار راجع جـ ٤ ص ٢٣ •

(٢) ما بين القوسين لم يذكر في ع وورد في بقية النسخ •

(٣) في ظ ، ت : الالهـــام •

(٤) سورة الاعراف اية ٤٠ •

واستماع الوحي (١) وغير ذلك من المقامات الرضوانية والروحانية
ومنهم من هو في عالم السموات والارض احوالهم الخوف والخشية والقلق
والحراسه والمراقبة كالكروبيين وحراس السماء وغير ذلك من احوالهم
الشريفة .

وكأحوال ملئكة الارض السفلى (٢) وخدمة النار و(٣)الغلاظ الشداد
على الاعداء ومنهم النازلون الى عالم الحس بالامور السماوية والصاعدون
وخدمة النبات والاجسام والعوالم (٤) كله بضروب الاجتهاد .

وكان (٥) للعبد ايضا ذوات ثلاث : جسد ونفس وروح . فليجتهد العبد
بجسده في طاعة ربه في الطاعة (٦) واجتناب المعصية وارتقاء الهمة
الى العلى . ونزوله بالتواضع الى السفلى .
لقلبه
وليكن في عالم النفس حارسا (وزمه) (٧) عن الخطرات الشيطانية
والهوى فيرجم العدو بشهب الاذكار ويتقوى على النفس بالغلظة والشدة

---

(١) في ظ ، ت : الاستماع للوحي .
(٢) كلمة " السفلى " لم ترد في خ .
(٣) لم تذكر واو العطف في ظ فيكون " الغلاظ " وصف لخدمة .
(٤) في ظ ، ت ، خ : والعالم .
(٥) في خ : وكما ان للعبد .
(٦) في ظ ، ت : لم ترد جملة " في طاعة ربه " .
(٧) في جميع النسخ " وشمه " ولا ارى لها معنى هنا ولعلها مصحفة
من " زمه " بمعنى منعه .

فى طاعة الله حتى يردها ويكفها فيتشبه بملئكة السموات وليكن ايضـــا بروحه وعقله مفكرا وناظرا الى العلو ومكتسبا لاحوال المحبة والرضـــى والشوق وغير ذلك من صفات الروحانيين .

اعاننا الله واياك على الفهم عنه والتقرب اليه بكل ما يحبه ويرضـــاه ولا جعلنا من اهل البعد عنه امين امين وصلى الله على محمد وآلـه وسلـم .

الشعبة السابعة والثلاثون : الايمان بالجن والشياطين :

أما كون هذه الشعبة من الايمان فدلايلها من القرآن (والسنة كثيرة منها قصة آدم مع ابليس وغير ذلك من الايات) (١) كقوله :

" ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا .. " (٢)

وكقوله في الجن :

" قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ... " (٣)

وقال الله تعالى :

" ... واجلب عليهم بخيلك ورجلك ... " (٤)

" وقال النبي عليه السلام لوفد الجن حين اسلموا على يديه :

" لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه اوفر ما كان لحما وكل بعرة علف لدوابكم " (٥)

فاثبت لهم اكلا ودوابا وخيلا ورجلا .

---

(١) ما بين القوسين من قوله " والسنة .. الى قوله " من الايات لم ترد في ع ووردت في بقية النسخ .

(٢) سورة فاطر من اية ٦ .

(٣) سورة الجن الاية (١) .

(٤) سورة الاسراء من اية ٦٤ .

(٥) رواه مسلم رحمه الله في كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة والقراءة على الجن رقم الحديث ٤٤٩ وفيه قال (اي الرسول صلى الله عليه وسلم) " اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا اثارهم واثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال : لكل كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم " .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم .

فوجب الايمان بانهم اشخاص وامم لا يعلم عددهم الا الله خلافــــــا لمن يقول انما هى اخلاط السوداء ومن زعم هذا يدخل عليه الكفــــر من حيث كذب القران والرسل عليهم السلام .(١)

وقد ثبت في الصحيح عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" ان عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع على صلاتى فامكنـــــنى الله منه فاخذته فدعته يعنى خنقته فاردت ان اربطه الى ساريــــة من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت قول اخـــى سلـــيمان :

" رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب "

---

(١) انظر : كتاب الطب النبوى لابن القيم ص ٥١ فصل فى هديه صلى اللـــه عليه وسلم فى علاج الصرع ، وانظر : " الجن العالم الثانى سيــد عبد الله حسين ط ٢ ص ١٧ وقد ذكر ان غالب المنكرين يستندون فى انكارهم الى ان طريقة معرفة وجود الجن هى النظر او السمــع مثلا فلم نبصر ولم نسمع جنيا ثم رد عليهم واستدل ببعض المكتشفات كالمكروب الحى الموجود الذى لا نراه وكالصور التى تنقل بواسطـــة التلفاز ولا نلمسها ..

الى اخر ما ذكره من الادلة العقلية ثم اورد الادلة النقلية الكثيــرة وانظر ايضا : عقيدة المؤمن للجزائرى ادلة وجود الجان والشيطان ص ٢٠٤ .

وانظر ايضا : العقائد الاسلامية للسيد سابق ص ١٣١ الجـــن من هم وطريق العلم بهم ... الــخ .

فرده الله خاسيا .(١)

فهل تربط الاخلاق وصفات الانفس بالسواري ؟ هل هذا الا زلل عظيم ممن يراه .

وثبت في الصحيح ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال :

" وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان (٢) فاتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فاصبحت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ما فعل اسيرك البارحة قلت :

قلت : شكى حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فعرفت انه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيعود فرصدته فجاء فجعل يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دعني فاني محتاج وعلي عيال لا اعود فرحمته وخليت سبيله فاصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابا هريرة ما فعل اسيرك قلت يا رسول الله شكى حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة باب الاسير او الغريم يربط في المسجد رقم الحديث ٤٦١ وأورده في كتاب العمل في الصلاة باب ما يجوز من العمل في الصلاة رقم الحديث ١٢١٠ .

ورواه مسلم في كتاب المساجد باب جواز لعن الشيطان في اثناء الصلاة .. رقم الحديث ٥٤١ .

وقوله " فدعته " : بالدال غير المعجمه : فمن قوله تعالى " يوم يدعون الى نار جهنم .. " اي يدفعون . فيكون المعنى : دفعته دفعا شديدا وقد ورد في اكثر الروايات " فذعته " بالذال المعجمة والمعنى خنقته انظر فتح الباري ج ٣ ص ٨١ ، ٨٢ والتعليق على صحيح مسلم ج ١ ص ٣٨٥

(٢) في ظ : بحفظ زكاة الفطر في رمضان وفي ت : زكاة شهر رمضان .

قال انه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء فجعل يحثو من
الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا آخر ثلاث مرات تزعم انك لا تعود ثم تعود قال : دعني اعلمك
كلمات ينفعك الله بها قلت وما هن؟ قال : اذا اويت الى فراشك
فاقرأ اية الكرسي : الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة
ولا نوم ..."(١) حتى تختم الاية فانك لن يزال عليك من الله حافظ
ولن يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فاصبحت فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل اسيرك البارحة فقلت
يارسول الله زعم انه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله
فقال ما هي ؟ قلت : قال لي اذا اويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي
من اولها حتى تختم الاية : الله لا اله الا هو الحي القيوم . وقال لن
يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح - قال ابو عبد الله
البخاري (٢) :

وكانوا احرص شيء على الخير - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
اما انه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب (٣) منذ ثلاث يا
ابا هريره قلت : لا . قال : ذلك شيطان ."(٤)

---

(١) سورة البقرة الاية ٢٥٥.

(٢) جملة " قال ابو عبد الله البخاري : " من كلام المؤلف : القصري فجزم هنا انه من كلام البخاري وفي الفتح قال ابن حجر في كلامه عن جملة : " وكانوا - اي الصحابة - احرص شيء على الخير " : قال : فيه التفات اذ السياق يقتضي ان يقول : وكنا احرص شيء على الخير ويحتمل ان يكون هذا الكلام مدرجا من كلام بعض رواته . حـ ٤ ص ٤٨٩ .

(٣) في ظ : من يخاطبك .

(٤) رواه البخاري في كتاب الوكالة باب اذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فاجازه الموكل فهو جائز ... رقم الحديث ٢٣١١ .

فانظر هذه الصفة هل هي الا صفة شخص من الاشخاص وهل تكـــون الاخلاط والصفات تأتي الى الطعام فتعرفه وتعلم المعلم •

ومثل هذا في القرآن الكريم والحديث الصحيح اكثر من ان يحصى فوجب الايمان بالجن والشياطين لا محالة •

والذى يزعم انها اخلاط السوداء وما شاكلها من صفات النفوس مع انكاره لعالم الشياطين كافر بالقران والحديث وجاحد لهما •

نسأل الله السلامة من الزيغ في جميع الامور بمنه وفضله بل الــذى في الانسان من الاخلاط السوداوية ، وصفات الاباية والاستكبار بغير حق ، والمكر ، والخداع ، دليل واضح على ما في الوجود من الجن والشياطين ولذلك من عرف نفسه عرف به سائر الموجودات وقال النبي عليه السلام :

" الشباب شعبة من الجنون "(١)

وفي حديث اخــر :

" يهـرم ابن ادم ويشب منه اثنان •• "(٢) وذكر الحديث

فهذه الاوصاف المركبه في جبلة الانسان وخلقته بها يستدل ان في العالم جنا وشياطين كما ان بما فيه من الصفات المحمودة والاخـلاق

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالحسن انظر تخريجه في فيض القدير حـ ٤ ص ١٧١ رقم الحديث ٤٩٢٨ وانظر كشف الخفاء ومزيل الالباس حـ ٢ ص ٤ رقم الحديث ١٥٣٠ •

(٢) رواه مسلم عن انس وتكملته : الحرص على المال والحرص على العمر كتاب الزكاة باب كراهة الحرص على الدنيا رقم الحديث ١٠٤٧ • ورواه البخاري في كتاب الرقاق باب من بلغ ستين سنه رقم الحديث ٦٤٢١ بلفظ يكبر ابن ادم ويكبر معه اثنتان : حب المال وطول العمر •

الحسنة يستدل على ما في العالم من الملئكة ملئكة الرحمة وبما فيـــــه من الغضب في الله والغيظ والغلظة والشدة والكبرياء بحق دليـــل على ما في العالم من الملئكة الغلاظ الشداد الذين لايعصون اللــه ما امرهم وبما فيه من صفات الرضى وطيب النفس والهنا دليـــــل على ملئكة الرضى كرضوان وخزنة الجنة •

وبما فيه من صفات الحزن والخوف والكروب والغمـــوم دليل علـــى الكروبيين واهل الخشية والقلق من الاملاك •

وبما فيه من الفطن والاذهان والالهامات دليل على ملئكة الوحـــي والتعليم وهكذا استقر صفات الانسان بفهم وعلم يحصل لك اليقــين بسائر الموجودات ان شاء الله •

فاذا فهمت هذه فاعلم ان الايمان بالجن والشياطين ايضا على ثلاثه اضـــرب :

ضرب في مقام الاسلام ، وضرب في مقام الايمان وضرب في مقام الاحســان

فاما الضرب الاول في مقام الاسلام :

فان للشياطين علوما واخلاقا وحيلا وصفات واعمالا بمقتضى اخلاقهـم وعلومهم • فيجتنب الانسان اعمالهم ولا يطيعهم بجوارحه ظاهرا فيكـون شيطانا من شياطين الانس ، ومن (اخوان الشياطين الا المؤمنين " (١) منهم فانهم بضد الكافرين ، ومنهم طائعون ومتصفون بالاحـــوال الشريفه التي امر الانسان بــها •

---

(١) كذا ورد في بقية النسخ وفي ع : (ومن الشياطـين الا المؤمنـون) وهو خطــأ •

واما الضرب الثانى فى مقام الايمان فهو :

التصديق بوجودهم وانهم عالم كبيرغيب عنا كما ان الانسان عالـــــم لا يحصى عددهم الا الله فى عالم الدنيا ،
والهروب من اوهامهم (١) ومهرقة خواطرهم واوحيتهم (٢) وتسويلهـــم الا الـــمؤمنـــين منهم .

واما الضرب الـــثالث فى مقام الاحسان فهو :

التخلق بضد اخلاقهم مثل الاباية والعناد والكبر وترك الاتصـــــاف باوصافهم لان من اتصف باوصافهم فقد اشبههم ولذلك سماهم اللـــه :
" ... اخوان الشياطين ... " (٣)
لانهم اشبهوهم واخو الشيء شبيــه اخيه لولا شبه فيه منه لما قـــرن به بل سماهم شياطين فقال :
" ... شياطين (٤) الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخـــرف القول غرورا ... " (٥) .
فحقيقة الايمان بهم التصديق بهم والبعد عن صفاتهم وافعالهم واذا لـم يبتعد العبد من اوصافهم وافعالهم انحط الى عالمهم وصارت ذاتـــه الباطنه فى افقهم فلا يسمع باطنه الا كلامهم وزخرف القول من وحيهـــم

---

(١) فى بقية النسخ بدل " اوهامهم " : وساوسهم .
(٢) فى بقية النسخ ووحيهم .
(٣) سورة الاسراء من الاية ٢٧ .
(٤) جملة " فقال : شياطين ، سقطت من ع واثبتها بقية النسخ .
(٥) سورة الانعام اية ١١٢ .

وتشكيكهم وامرهم بالمنكر والفحشاء والامنية والابعاد والوسوسة والخواطر الردية كلها وذلك اصل كل كفر وشر في الوجود من اوله الى اخـــره الا المؤمنون منهم فافهم فهمنا الله واياك واعاننا على البعد مـــن كل كافر منهم بكل وجه وبكل معنى ولا جعلنا منهم ولا من اخوانهـــم في الدنيا ولا في الاخره امين وصلى الله علـى محمد وعلى الـــه وسلـــم (١) .

---

(١) في النسخ أ ، ت ، خ : ينتهى الجزء الاول ـ كما سبق بيانه فـــى الدراســة .

الشعبة الثامنة والثلاثون :
===============

الكف عمن قال : لا اله الا الله (ولا يكفر بالذنوب) (١)

اما كون هذه الشعبة من الايمان فدلايله كثيرة جدا من القرآن والسنة

واجماع اهل السنة تغني عن الاستشهاد على ذلك.

قال الله تعالى في ذلك :

" ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .. " (٢)

ولو كان كافرا ما غفر له ومن عذب (٣) اخرجه بايمانه من النار

وقال الله تعالى :

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ..." (٤)

فسماهم مؤمنين

وقال النبي عليه السلام :

(اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ...) (٥)

فسماهم مسلمين.

وقال ايضا عليه السلام في النساء.

---

(١) جملة " ولا يكفر بالذنوب " وردت في خ ، ظ فقط.

(٢) سورة النساء من اية ٤٨ ومن اية ١١٦.

(٣) في بقية النسخ : ومن عذبه.

(٤) سورة الحجرات من اية ٩.

(٥) رواه البخاري في كتاب الايمان باب (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ..) رقم الحديث ٣١ وفي كتاب الفتن باب اذا التقى المسلمان بسيفهما رقم الحديث ٧٠٨٣.
ورواه مسلم في كتاب الفتن باب اذا تواجه المسلمان بسيفهما رقم الحديث ٢٨٨٨.

" ... يكفرن قيل يكفرن بالله ، قال : يكفرن الاحسان ويكفرن العشير "

فهذا كفر دون كفر.(١)

وقال ايضا عليه السلام :

" ... سباب المسلم فسوق وقتاله كفر .. "(٢)

وروى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ثلاثة من اصل الايمان الكف عمن قال لا اله الا الله ولا يكفر بذنب ولا يخرج من الاسلام بعمل .. " وذكر الحديث (٣)

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف جماعة رقم الحديث ١٠٥٢ وفى باب النكاح باب كفران العشير رقم الحديث ٥١٩٧ وفيه :
" ورأيت اكثر اهلها النساء قالوا بم يا رسول الله ؟ قال يكفرهن قيل : يكفرن بالله قال : يكفرن العشير ويكفرن الاحسان ..." الحديث.
ورواه مسلم فى كتاب الكسوف باب ما عرض على النبى "ص" فى صلاة الكسوف من امر الجنة والنار رقم الحديث ٩٠٧ .
وفيه :
" ... قيل ايكفرن بالله ؟ قال : يكفر العشير ويكفر الاحسان .." .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الايمان باب خوف المؤمن من ان يحبط عمله وهو لا يشعر رقم الحديث ٤٨ ، ورواه مسلم فى كتاب الايمان باب بيان قول النبى صلى الله عليه وسلم : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر رقم الحديث العام ٦٤ .
والسباب مصدر سب يقال سب سباً وسبابا .
والفسوق : الخروج فهو فى الشرع : الخروج عن طاعة الله ورسوله
وجملة سباب المسلم فسوق : هى مقصود المؤلف لما تتضمنه من تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بغير حق بالفسق .
اما جملة " وقتاله كفر " فظاهرها تقوى مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعاصى وقد اجاب ابن حجر على هذا الظاهر بوجوه احسنها :
ان ظاهره غير مراد لكن لما كان القتال اشد من السباب لانه مفض الى ازهاق الروح عبر عنه بلفظ اشد من لفظ الفسق وهو الكفر ولم يرد حقيقة الكفر التى هى الخروج عن الملة بل اطلق عليه الكفر مبالغة فى التحذير معتمدا على ما تقرر من القواعد ان مثل ذلك لا يخرج عن الملة ... فتح البارى ج ١ ص ١١٣ .

(٣) تقدم فى اول الشعبة الثالثة والثلاثون .

فجعل الكف عن اهل التوحيد)(١) اصلا من اصول الايمان (٢)وما كان من (اصوله)(٣) فهو شعبة منه بل هو من أعظم شعبه والحمد لله .

ومن لا يرى ذلك فهو من اهل الزيغ والضلال الذين يقولون بالتكفير بالذنوب غلوا في تعظيم الذنب حتى خرجوا عن الحد (٤)

وانما القول العدل في ذلك :

ان من ارتكب الذنب متأولا فحسب (٥) وهو يرى انه عاص بركوبه اياه غير مستحل له فهذا يحكم له بحكم الاسلام ويؤمر بالتوبة منه والرجوع عنه فان تاب لحق بالطائفين وان بقي على حالة فامره (مخوف)(٦) بركوبه طريق الاخرة لكنه في المشيئة بين المغفرة والعذاب(٧) . ثم ان دخل النار فلابد ان يخرج منها بايمانه .

---

(١) نقص من ع : من قوله (ولا يخرج .. الى قوله : التوحيد .

(٢) في ظ من اصوله .

(٣) في ع : من اوصافه وفي بقية النسخ " اصوله " وهو الصواب فاثبته .

(٤) الذين يقولون بتكفير مرتكبي الكبائر هم الخوارج
راجع ذلك في الفرق بين الفرق جـ ١ ص ١٧٢ والفصل لابن حزم جـ ٣ ص ٢٢٩ . وكتاب الايمان لابن تيمية ص ٢٠٢ ، وشرح الطحاوية ص ٣٥٥ ـ ٣٦٤ في شرح قول الطحاوي : ولا نكفر احدا من اهل القبله بذنب ما لم يستحله ...

(٥) كذا وردت في جميع النسخ .

(٦) كلمة " مخوف " نقصت من ع ووردت في بقية النسخ .

(٧) في : ت والعقاب بدل العذاب .

فالتكفير ساقط عنه بكل وجه ـ والحمد لله ـ لخروجه (١) من النار اذ لا يخلد في النار الا كافر بهذا شهد الكتاب والاخبار.(٢)

واما من ارتكب الذنب من غير تأويل يقصد فيه الحق وهو عند الله على خلاف ذلك ومن غير ان يرى نفسه عاصيا بل ركبه ركوب استحلال ، وترك الواجب عليه ترك عناد وجحود فهذا هو الذي يطلق عليه التكفير لانه كفر بآيات الله وكتبه ورسله من اجل ان الكتاب اوجب الواجبات(٣) وأحل الحلال وحرم الحرام فاذا حرم هذا (٤) ما احل الله واحل ما حرم الله او انكر ما اوجب الله فقد كذب الله ورد عليه .

قال الله تعالى :

" ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته.."(٥)

وقال :

" ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب.."(٦) الاية .

وقال في اية اخرى :

" قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم ام على الله تفترون "(٧)

---

(١) في ظ ، ت : بخروجه .

(٢) في ظ : الكتاب والسنة .

(٣) في خ ، ت : الواجب وفي ظ : الواجب .

(٤) في ظ ، خ ، ت : فاذا حرم هو .

(٥) سورة الانعام اية ٢١ .

(٦) سورة النحل اية ١١٦ .

(٧) سورة يونس اية ٥٩ .

وقد نسب الله من فعل هذا للكفر.

وقال في سورة براءة :

" انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم ".

ثم قال :

" والله لا يهدى القوم الكافرين "(١)

ولو ان كل من واقع ذنبا وقع عليه الكفر (٢) لما دخل الجنة احد من خلق الله وبقيت الجنة خالية لان النبي عليه السلام قال :

" ما من نبي الا وقد عصى او هم بالمعصية "(٣)

فما ظنك بسائر الخلق دون الانبياء.

والعجب كل العجب من القائلين بالتكفير بالذنوب وهم اكثر خلق الله ذنوبا لانهم يكفرون الائمة ويخرجون عليهم بالسيف ويقتلون عباد الله

---

(١) سورة التوبة اية ٣٧.

(٢) في أ ، ت ، ظ ، التكفير.

(٣) لم أجد حديثا بهذا اللفظ في الامهات الست وفي مسند احمد وانظر مبحث عصمة الانبياء من المعاصي قبل النبوة في الجزء الثاني من كتاب الشفاء للقاضي عياض ص ١٤٧ وقد ذكر قبل ذلك الاجماع على عصمة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم من المعاصي بعد النبوة وانظر ايضا ارشاد الفحول للشوكاني ص ٣٣.

بغير حق ويبيحون ما حرم الله ولا يرون ذلك كله ذنبا بل يرونـــه حسنا حقا واجبا (١) هى هذا الا ان الله زين لهم سوء اعمالهـم (كما قال تعالى فى الاية المتقدمة :

" ... زين لهم سوء اعمالهم ..." (٢)

وكما قال فى اية اخرى :

" . افمن زين له سوء عمله فرآه حسنـا ..." (٣)

هذا هو القول المعدل فى ذلك :

والايمان ثابت عند المتصف به لا يحبطه الا ضده وهو الكفر الا ان الذنوب تنقصه وتضعفه وتخف وزنه ولو ارادوا بالاحباط هذا المعنى لكـان خفيفا اعنى نقصان الايمان وضعفه فان القران شهد بزيادة الايمـان ونقصانه ، وكذلك شهدت به السنة ،

ولا معنى لقول من يقول : أن الزيادة والنقصان لا يوصف بها الايمـان فانما الزيادة والنقصان فى الاعمال التى هى فروع الايمـان .

فان البارى تعالى يقول فى قلة الايمان :

" .. فلا يؤمنون الا قليلا " (٤)

والقليل انقص من الكثير بلا شك .

---

(١) القائلون بذلك هم الخوارج وهم الذين خرجوا على امير المؤمنين علـي رضى الله عنه حين جرى امر التحكيم وهم طوائف وسائر فرقـهم متفقون على ان العبد يصير كافرا بالذنب وهم يكفرون عثمان وعليا رضى الله عنهمـا وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم ...
راجع : اعتقادات فرق المسلمين للرازى ص ٥١ . وانظر الفصل لابن حـزم حـ ٤ ص ١٨٨ : ذكر شنع الخوارج .

(٢) تقدمت قريبا وهى من سورة التوبة اية ٣٧ ، وقد سقطت الجملة من قوله : كما قال : الى قوله : " اعمالهم " من ع . ظ واثبتها من بقية النسخ .

(٣) سورة فاطر من اية ٨ .

(٤) سورة النساء من اية ٤٦ ومن اية ١٥٥ .

وقد ثبت في الصحيح عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

" يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ثم يقول الله : اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان .."(١)

وفي الصحيح ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" يخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من ايمان ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه ذرة من ايمان .."(٢)

فوصف النبي عليه السلام درجات النقصان من الذرة الى ما فوقها وكذلك ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم :

" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن ".

---

(١) رواه البخاري في كتاب الايمان باب تفاضل اهل الايمان في الاعمال رقم الحديث ٢٢.

(٢) كذا ورد في ع واوردته بقية النسخ وفيها تقديم وتأخير وحذف والنص كما في الصحيحين كذا.

" ... فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيره ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة .

اورده البخاري في كتاب الايمان باب زيادة الايمان ونقصانه رقم الحديث ٤٤ وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى " لما خلقت بيدي رقم الحديث ٧٤١٠ ومسلم في كتاب الايمان باب أدنى اهل الجنة منزلة فيها .. رقم الحديث العام ١٩٣ والرقم الخاص ٣٢٥.

والمراد بقوله " من خير " اى " من ايمان " انظر فتح الباري حـ ١ ص ١٠٣ و ١٠٥.

الحديث الى اخره (١) .

انما اراد عليه السلام (وهو مؤمن) ايمانا كاملا . (٢)

وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه فى زيادة الايمان ونقصانه .

" ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله " (٣) .

فقد كشف رضى الله عنه للعقل حقيقة السر فى زيادته فان البياض النورى له درجات لا اخر لها فى القوة النورية فان نور الثوب الابيض ليس كنور السراج ولا نور السراج كنور الكوكب ولا نور الكوكب كنور القمر ولا نور القمر كنور الشمس ولا نور الشمس كالذى تستمد منه (الشمس

وقد ورد فى وصف حور العين :

---

(١) رواه البخارى فى كتاب المظالم باب النهبى بغير اذن صاحبه .. رقم الحديث ٢٤٧٥ . ومسلم فى كتاب الايمان باب نقصان الايمان بالمعاصى رقم الحديث ٥٧ .

(٢) قال النووى : هذا الحديث مما اختلف العلماء فى معناه فالقول الصحيح الذى قاله المحققون ان معناه لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الايمان ... الخ .

راجع صحيح مسلم بشرح النووى المجلد الاول ص ٢٤١ ط الشعب وانظر شرح السنة للبغوى ج ١ ص ٨٩ .

(٣) استشهد به ابن تيمية فى كتاب الايمان ص ١٨٧ : عن ابى عبيد فى كتابه " الغريب " وهو بلفظ : " ان الايمان يبدو كلمظة فى القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة ..

واستشهد به الازهرى فى تهذيب اللغة وقال : قال ابوعبيد : قال الاصمعى قوله : " لمظة هى مثل النكته او نحوها من البياض ج ١٤ ص ٣٨٨ وانظر كتاب الايمان لابن ابى شيبة ص ٥ ضمن رسائل اربع .

لو برزت لطمس نورها نور الشمس (١)

وفي القدرة :

ان الله يزيد الشمس في نورها وبقوبها مائة الف ضعف مما هي عليه واكثر من ذلك الى غير نهاية ان شاء ،

كذلك يخلق الله في قلب عبد من الايمان وانواره وضعفه اذا شاء اضعافا مضاعفة على غيره فيكون قلب واحد يتلألأ كما تتلألأ الشمس واخر كالقمر واخر كالنجم واخر اقل منه .

وقد ورد في قلوب المشتاقين :

" ان السماء تضيء بنور (٢) قلوبهم "(٣)

فهكذا درجات الايمان في القلوب فانه ليس قوة ايمان من يصدق بالله واليوم الاخر وهو (منهمك)(٤) في المخالفات كقوة ايمان من تعفف عن بعض المعاصي دون بعض ، ولا قوة ايمان من تعفف عن بعضها كقوة ايمان من تعفف عن جميعها ، ثم ان واقع شيئا منها سارع بالخروج منها .

ولا قوة ايمان من رغب في الدنيا كقوة ايمان من ظهرت له (اعلام)(٥)

---

(١) ورد " هذا المعنى في حديث اورده ابن المبارك في كتاب الزهد ص ٧٧ ورقم الحديث ٢٢٦ .

وفي صحيح البخاري كتاب الجهاد رقم الحديث : ٢٧٩٦ ورد في هذا المعنى :
" .. ولو ان امرأة من اهل الجنة اطلعت الى اهل الارض لاضاءت ما بينهما .. الحديث .

(٢) في ظ ، خ : ان السموات تضيء بانوار قلوبهم .

(٣) لم اجده في الامهات الست والمسند .

(٤) هكذا ورد في ظ ، خ وفي البقية مهمل .

(٥) كذا ورد في ت ، خ ، والبقية : اعمال .

الاخرة فشمر اليها واستنار قلبه بانوارها • ولا قوة ايمان هذا كقوة ايمان من استنار قلبه بنور مولاه فأثره على من سواه (١) وكذلك في الايثار له والقرب منه درجات بعضها فوق بعض • ولا يحيط بتفصيل درجاتها الا العليم بها : هم درجات عند الله •

وهذا هو مذهب الصحابة والائمة الفقهاء رضي الله عنهم •

قال ابن ابي مليكة :

" ادركت ثلاثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل " (٢)

وروى ابن وهب عن مالك وقد سأله عن الايمان : ايزيد وينقص؟ قال : قد ذكر الله تبارك وتعالى/ زيادته ونقصانه في غير اية من القران ،

والايمان يزيد

فقلت : فبعضه افضل من بعض ؟ فقال نعم •

وقال ابراهيم بن ابي الورد : سمعت مالكا يقول :

الايمان قول وعمل يزيد وينقص •

وقاله ابن ابي جريج ومعمر وسفيان (٣)

وقال ابن نافع عن مالك سمعته يقول :

---

(١) في ظ ، ت : على ما سواه •

(٢) تقدم في الشعبة الثامنة عشرة •

(٣) انظر ما نقل عن الائمة في ان الايمان قول وعمل واعتقاد ويزيد الطاعة وينقص بالمعصية في عقيدة السلف واصحاب الحديث للشيخ اسماعيل الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية جـ ١ ص ١٠٥ •

وفي كتاب : شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة لابي القاسم اللالكائي تحقيق احمد سعد اخر الجزء الثاني ص ٧٩٥ وما بعدها •

وفي كتاب الشريعة الاجري ص ١٣٠ •

" وانا مؤمن والايمان قول وعمل يزيد بالاعمال "(١) ٠

وقال اللــــه :

" ٠٠٠ ليزدادوا ايمانا مع ايمانهـــم ٠٠٠ "(٢)

فذكر زيادة في ايمانهـم ٠

وقـال :

" ٠٠ رب ارني كيف تحي الموتى ٠٠٠ الى قوله : ٠٠ ليطمـــــئن قلــبي ٠٠ "(٣)

فذلك زيادة في دينة فهذا ابراهيم عليه السلام فما ظنك بغيـــره والذي لا يقول (٤) بزيادته ولا نقصانه يجعل ايمانه كايمان ابراهـــيم وجبرين ومحمد وأبي بكر ويرى الكل سواء٠

ولو كان الإيمان في قلوب الخلق على السواء لاستووا في الاحوال والاعمـــال

---

(١) نقل المؤلف هنا روايتين عن مالك رضي الله عنه قال في الاولـــى بزياده الايمان ونقصانه وقال في الثانية بزيادته وقد اشار ابن تيميـــه الى ذلك في كتاب الايمان ص ١٨٦ حيث قال :
" ٠٠ ولهذا كان اهل السنة والحديث على انه يتفاضل (اي الايمان) :
وجمهورهم يقولون : يـزيد وينقص ،
ومنهم من يقول يزيد ولا يقول : ينقص كما روي عن مالك في احــدى الروايتـين ٠٠

(٢) سورة الفتح من اية ٤ ٠

(٣) سورة البقرة من اية ٢٦٠٠

(٤) في ع : ولا يقول فسقط الاسم الموصول " الذي " ٠

والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة فان القوة التي في الايمان اثمرت الاحوال الشريفة والاعمال الرضية .

والضعف فيه اثمر الكسل والرغبة في الفاني والزهد في الباقي واتباع الهوى وغير ذلك .

ولو كان الايمان في قلوبهم على السواء فما بالهم اختلفوا في الطاعة والعصيان والاقبال والادبار هل ذلك الا من سبب النقص والكمال والضعف والقوة .

ولكن الكل مسلمون مؤمنون والحمد لله هذا (هو) (١) مذهب اهل السنة .

ومن لا يقول بزيادته ونقصانه من اهل العلم فلقوله معنى يرجع الى هذا .

وذلك ان معنى قوله يرجع الى العدد (اعني تعديد) امور (٢) الايمان ومثال ذلك قول :

لا اله الا الله حروفها عشرة لا يزاد فيها حرف ولا ينقص منها ولو زيد فيها حرف او نقص منها حرف لانخرمت الكلمة والخرم معناها فكذلك جميع امور الايمان قد عددها الشرع عموما وخصوصا فقال :

امنوا بالله وكتبه ورسله وبالملئكة و بالغيوب على اختلاف انواعه وكذا وكذا وكذا حتى استقرت جميع المؤمنات (٣) في قلوب المؤمنين فكانت عقيدة لا يزاد فيها ولا ينقص هذا المعنى هو الصحيح .

---

(١) الضمير " هو " ورد في ظ .

(٢) كلمة " اعني " لم ترد في ع وورد فيها بدل كلمة " تعديد " : تقدير امور .

(٣) في بقية النسخ : جميع امور المؤمنات .

واما زيادته فى نفسه بمعنى النشؤ والعظم فلا شك فيه كما ورد فى بعض الاخبار :

" اذا مدح المؤمن ربا الايمان فى قلبه " (١)

يعنى المؤمن العارف بنفسه الذى يرى المدح من فضل الله فى حيان المدح ويرى ستر الله لقبائحه فيتولد فى قلبه الشكر على ما اظهر من الجميل . والشكر يشرح الصدر ويوجد معه طعم الايمان بل هو ايمان جديد .

وكذلك نقصانه اذا مدح العبد واعجب بنفسه نسى مولاه وقل شكره ونسى قبائحه ووجد طعم نفسه الامارة بالسوء وضعف الايمان فى نفسه . وهكذا فى ارتكاب المعاصى والانهماك فيها حتى ان من الخلق من يكون وزن ايمانه مثقال حبه خردل لكن اسم الاسلام والايمان ينطلق على الجميع .

ولا يذهب الايمان بالكلية الا ضده وهو الكفر .

واذا تقرر هذا فأعلم :

ان هذا المقام على ثلاثة اضرب :

ضرب فى مقام الاسلام وضرب فى مقام الايمان وضرب فى مقام الاحسان

فأما الضرب الاول فى مقام الاسلام :

فان تكف عن اهل الذنوب لسانك بالتكفير ولا يطلق عليهم وتقطع بذلك

---

(١) اورده العجلونى فى كشف الخفاء وقال رواه الطبرانى والحاكم عن اسامه بسند ضعيف . وكذا قال السيوطى فى الجامع الصغير .
وانظر فيض القدير ج ١ ص ٤٤٠ رقم الحديث ٨٥٥ .

وكذلك تكف جوارحك الظاهرة عن (مقاتلتهم) (١) بما يقاتل به الكفرة فتكون كالخوارج الذين يكفرون بالذنوب ويستحلون دماء المسلمين واموالهم وسبي نسائهم وذراريهم . وقد عابوا على علي بن ابي طالب رضي الله عنه بتركه ذلك فقال ابن عباس :

ما الذي نقمتم على علي ؟

فقالوا : ثـــلاث :

حكم في دين الله الرجال ومحى اسمه من امير المؤمنين وقاتل ولـــم يسب فقال لهم ابن عباس :

افتسبون امكم عائشة رضي الله عنها . (٢)

بل تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر كما امرك الله ولا تقطع (٣) بهم .

---

(١) كلمة " مقاتلتهم " وردت في خ وهو الصواب وفي بقية النسخ : " مقاماتهم "

(٢) بعد حادثة التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما خرج الخـــوارج وانحازوا الى حروراء فخرج اليهم علي وناظرهم ولذا قال الغزالي فـي الاحياء ج ١ ص ٩٦ : ان اول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلـــة الى الحق علي ابن طالب رضي الله عنه اذ بعث ابن عباس رضـــي الله عنهما الى الخوارج فكلمهم فقال : ما تنقمون على امامكم ؟ قالـوا : قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال : ذلك في قتال الكفار أرأيتم لو سبيت عائشة رضي الله عنها في سهم احدكم اكنتم تستحلون منها مـــــا تستحلون من ملككم وهي امكم في نص الكتاب ؟ فقالوا : لا فرجـــع منهم الى الطاعة بمجادلته الفـان ...

وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٥٧ ـ ٥٨ ط ١ . وانظر فـــتح الباري ج ١٢ ص ٢٨٤ ، وتلبيس ابليس ص ٩٠ ـ ٩٤ .

(٣) في خ : ولا تفضح وهو الاصـــح .

واما الضرب الثاني في مقام الايمان :

فان لا تعتقد فيه الكفر بقلبك وتكف عنه ظنونك السوء كما كففت
جوارحك وتعتقد له الرأفه والرحمة وان اظهرت به (١) الغلظه .
وتبغض (منه)(٢) ما امرك الله ان تبغض ولا تصل بحين الازدراء له
والعجب بنفسك الا ان تعتقد فيه الكفر .

واما الضرب الثالث في مقام الاحسان :

فان (بذلك)(٣) يتهيأ لك جميع (المراد)(٤) في هذا الباب
وذلك ان تنظر بفكر عقلك وروحك الى ما سبق له في علم الله وفي
التقدير الازلي فلا تدري بما يختم له ولعله ان يكون عند الله من
الفايزين وانت بضد ذلك فان الاعمال بالخواتم (٥) فيدخلك في
الخوف على نفسك وترى عيوبك فتشتغل بها عن غيرك لنظرك في مقام
الاحسان الى علم الله الازلي القائم بذات الله في غيب الغيب وارفع
الدرجات الروحانية الاحسانية فلا تدري ما سبق فيه لك ولغيرك .
ونسأل الله الكريم ان يحبب لنا الايمان ويزينه في قلوبنا ويكره لنا
الكفر والفسوق والعصيان ويجعلنا من الراشدين آمين .
وصلى الله على محمد واله وسلم .

(١) في خ ، ت : اظهرت له وهو الاصح .
(٢) الزيادة من خ .
(٣) كذا في خ ، ت وفي البقية فان ذلك .
(٤) في ع : المراد .
(٥) في خ : الخواتيم .

الشعبة التاسعة والثلاثون والشعبة الموفيه (اربعين) (١)

في النية والاخلاص :

اما كون النية من الايمان فلا يحتاج الى دليل عليه لان اعمال الايمان كلها ظاهرها وباطنها (٣) مربوطة بها وتابعة لها فلا يصح عمل الا بها ٠ وكذلك الاخلاص ايضا لانه من التوحيد وضده من الشرك والتوحيد هو الايمان (٤) ٠ وفي الخبر :

" من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان " (٥)

فجعل الاخلاص في الاعمال كمال الايمان ٠

والشواهد على كونه من الايمان كثيرة جدا ٠

وقد جعل قوم الاخلاص والنية شيئا واحدا وفرق بينهما آخرون وهو الصحيح :

---

(١) في ع : اربعون وهو خطأ وفي ت : والشعبة الاربعون ٠

(٢) في ظ ، ت : لم يرد حرف الجر " في " ٠

(٣) في ظ ، ت : ظاهرا وباطنا ٠

(٤) في ت : والتوحيد من الايمان ٠

(٥) رواه ابو داود في كتاب السنة باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه رقم الحديث ٤٦٨١ عن ابي امامه عن رسول الله " ص " ٠ورواه الترمذي واحمد عن معاذ بن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ واحمد جـ ٣ ص ٤٣٨ ٠ والترمذي في كتاب صفة القيامة رقم الحديث ٢٥٢١ وعندهما زيادة " وانكح لله " وقال الترمذي : هذا حديث حسن ٠

وانما جعلهما شيئا واحدا من جعلهما من اجل انهما قرينان لا يفترقان ابدا ولا يصح وجود احدهما دون الاخر اعني النية الصحيحة فـان العمل يحتاج الى النية والنية تحتاج الى اخلاصها للمعمول لـه لتكون صحيحه صادقة فلما ارتبط هذا الارتباط جاز ان يعبر بالواحد عن الاخر (١) فجعلتهما في باب واحد •

فالاخلاص روح النية والنية روح العمل الا ترى كيف وقع الاسم على النيات كلها بلفظ واحد في حق المؤمن والكافر والمرآي والمخلص والطائع والعاصي واختلف لفظ الاخلاص والرياء والشرك والسمعه والتزين وهذه كلها اسامي تصحح النية اوتفسدها فيقال للمؤمن في اعماله كلها : نيات وللكافر : نيات في اعماله وللمرآي في اعماله نيات • وكذلك صفات الخلق فاشتركوا في اسم النية واختلفوا في صحة النية وفسادها ، فسمي (٢) من صحح نيته بالاخلاص مخلصا ومن افسد نيته بالرياء مرائيا ومن ربطها بالطمع طامعا ومن ربطها بالشرك مشركا •

والنية من اعمال السر تدركها الملئكة عليهم السلام •

والاخلاص سر السر لا يدركه احد الا الله او من اطلعه عليه دليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم :

" ••• من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنه ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة •••" (٣) •

---

(١) في ت : أن يعبر عن احدهما بالاخر•

(٢) في خ : فيسمى •

(٣) ورد ذلك في حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري في كتاب الرقاق باب من هم بحسنة او بسيئة رقم الحديث ٦٤٩١ • ومسلم في كتاب الايمان باب اذا هم العبد بحسنة •• رقم الحديث العام ١٣١ • ورواه احمد في المسند ١/٢٢٧ •

فالهمة يعنى (١) ابتداء النية (٢) . والملئكة مطلعون عليهما كما ورد في الخبر :

" ان الملئكة تقول عبدك فلان هم بحسنة فيقول ارقبوه فان هو عملها فاكتبوها له عشرا ..." الحديث (٣) .

فوصف في هذا الحديث ان الملئكة مطلعون على الهمة الصالحة والفاسدة والهمة هي : النيـة .

واما الاخلاص فقد ورد في حديث السبعة الاملاك الذى رواه معاذ بن جبل :

ان الملئكة تصرب بالعمل وجه صاحبه عند كل سماء من اجل الآفة التى دخلت العمل الا الاخلاص والرياء فانهم لا يطلعون عليهما حتى يصل العمل الى الله فيقبله او يرده .

من اجل الاخلاص او ضده الذى هو سر السر (٤) .

---

(١) في ظ ، ت خ : فالهمه هى ابتداء .. وهو الاصح .

(٢) قال ابن حجر : الهم ، ترجيح قصد الفعل تقول : هممت بكذا اى قصدته بهمتى وهو فوق مجرد خطور الشيء بالقلب . راجع فتح البارى جـ ١١ ص ٣٢٣ .

(٣) رواه مسلم في كتاب الايمان باب اذا هم العبد بحسنة .. رقم الحديث العام ١٢٩ ولكن بلفظ :

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالت الملئكة : رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه ... الحديث .

(٤) اورده الغزالى بنصه في الاحياء جـ ٣ ص ٢٩٥ في بيان ذم الرياء وخرجه العراقى فقال : حديث معاذ الطويل رواه ابن المبارك في الزهد وفي اسناده من لم يسم ورواه ابن الجوزى في الموضوعات .

" وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى "(١) .

اى واخفى من السر . (٢)

(فكذلك) (٣) النية سر العمل واخفى منه (٤) الاخلاص لها اوضده

وقد سأل جبريل رب العزة عن الاخلاص (فاجاب بانه : سر من سره ، روى الحسن البصري رضى الله عنه قال :

سألت حذيفة عن الاخلاص ما هو ؟ قال :) (٥)

سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ما هو ؟ قال :

سألت جبريل عن الاخلاص ما هو ؟ قال (سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو ؟) (٦)

قال هو سر من سرى استودعته قلب من احببت من عبادى (٧) .

---

(١) سورة طه اية ٧ .

(٢) جملة " اى واخفى من السر " لم ترد فى ع ووردت فى بقية النسخ .

(٣) فى ع : فذلك .

(٤) فى ظ ت : واخفى منها .

(٥) ما بين القوسين من قوله : فاجاب الى قوله : قال : ورد فى ظ ، ت وسقط من البقية .

(٦) ما بين القوسين ورد فى ظ ، ت : وسقط من البقية .

(٧) اورده الفتنى فى تذكره الموضوعات وقال روى مسلسلا عن الحسن عن حذيفة قال :

قال : ابن حجر هو موضوع والحسن ما لقى حذيفة

راجع : تذكره الموضوعات ص ١٨ ، والفوائد المجموعة فى الاحاديث الموضوعة للشوكانى فى كتاب الفضائل باب فضائل العلم رقم الحديث ٣٢ ص ٢٨٤ .

وانظر فتح البارى لابن حجر جـ ٤ ص ١٠٩ ومدارج السالكين لابن القيم جـ ٢ ص ٩١ .

فالنية الصحيحة بالاخلاص قد اقترنت مع الاخلاص اقتران الجوهر بالعرض
اعنى انه لا يفارقها كما لا يوجد جوهر الا بعرض ولا عرض الا بجوهر
فلذلك عبر من عبر عن الاخلاص بالنية وهذا فى لسان العرب جائز
يسمى الشىء باسم الشىء اذا جاوره او شاكله .

فأما اذا وقع التفصيل فان حد النية هو قصد الباطن الى الفعل او همة
الباطن ان يفعل او ارادته ان يفعل (او وده ان يعمل) (١) كما
قال الله تعالى :

" ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا .. " (٢)

وكما قيل : ان نية الفقير بمجردها خير من عمل الغنى كله وذلك ان الفقير
يود ويتمنى رخص الاسعار ورخص جميع السلع كلها .

فهو يتمنى الخير لجميع العالم ويوده ضرورة .

ومن تجديد النية بالتمنى والود ايضا ما روى فى الاسرائيليات :
ان رجلا فقيرا مرفى مجاعة بكثبان من رمل فقال فى نفسه :
لو كان لى مثل هذا الرمل طعاما لقسمته على (فقراء) (٣) الناس
فأوحى الله (الى نبيهم ان قل له) (٤) ان الله قد قبل صدقتك
وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به " (٥)

---

(١) ما بين القوسين ورد فى ظ ، ت ، خ .

(٢) سورة البقرة من اية ١٠٩ .

(٣) كلمة فقراء وردت فى خ .

(٤) ما بين القوسين ورد فى ظ ، ت ، خ وفى ع : فاوحى الله الى نبى ان ينقل له ان الله ..

(٥) أورده السمرقندى فى تنبيه الغافلين فى باب العمل بالنية ص ١٧٤

فهذا انما ود وتمنى ان يكون له فاعطى ما تمنى وود لان نيته اقترنت

بالاخلاص لله • ولو اقترنت بالرياء والسمعة وليقال انه (١) سخى

اوكريم لما قبلت نيته • فحد النية ارادة الباطن للفعل •

وحد الاخلاص افراد الارادة للمعمول له دون من سواه •

اوقل :

النية : تمنى القلب اوهمة القلب اوقصد القلب للفعل

والاخلاص : افراد الهمة والقصد والتمنى •

اوقل : توجيه الارادة والتمنى والقصد للمعمول له •

واعلم ان العمل الظاهر بالجوارح (تابع) (٢) للنية لان النية

فعل الباطن والباطن هو المحرك للجوارح •

فاول ما يفعل الباطن العمل صورة روحانية فى نفسه ثم يحرك الجوارح

[illegible] فتعمله على صورة ما صوره كما قال سهل رحمه الله :

" النية مقدمة العمل "

فالموفقون المسددون الذين صحت اعمالهم هم الذين اذا ارادوا فعل

شيء فكروا فى عاقبته فان كان رشدا صححوا النية التى هى فعل

القلب بالاخلاص فقامت صورة العمل فى النفس صورة روحانية مجردة

من الافات ، ثم اظهروه بالجوارح على صورة ما تصور فى القلب فان

طرأت آفة عليهم اماطوه بالكراهة له حتى يتم العمل كما تصور

باطنا صحيحا •

---

(١) فى ظ : وليقال هو سخى •

(٢) كلمة " تابع " وردت فى ظ ، ت ، خ •

وهكذا ايضا من نوى شرا او ما يصوره فى نفسه صورة ثم يعمله ظاهرا بجوارحه ولذلك ورد فى الخبر :

" اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار قلنا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال :

انه كان حريصا على قتل صاحبه "(١) ·

معناه انه نوى قتله واوردهـ بباطنه فلم يقدر على تنفيذه على حسب ما اراده ظاهرا كما قدر صاحبه القاتل فكان كالقاتل لانه فى الباطن قاتل ·

وهكذا الامر فى جميع الاشياء لا يخطر فى باطن العبد شئ يريده الا تصورت صورته كاملة فى باطنه ،

فمن ذلك ما يعفى عنه ومن ذلك ما يؤاخذ به ·

وهذا سر عظيم فمن (فهمه اشرف على بحار من العلم لا اخر لها)(٢) واسرار من العلوم الربانية لا مثل لها وكيف يخلق الله اعيان الموجودات عن الارادة القديمة دون نصب ولا تعب بل كما قال :

" ·· وما مسنا من لغوب ·"(٣)

وانظر الى قوله تعالى :

" ··· ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ···"(٤) ·

اى تتمنى (٥) ·

---

(١) تقدم تخريجه فى اول الشعبة الثامنة والثلاثين ·

(٢) ما بين القوسين سقط من ع وورد فى بقية النسخ ·

(٣) سورة ق من اية ٣٨ ·

(٤) سورة فصلت من اية ٣١ ·

(٥) فى ظ : اى ما تمنته ·

وانظر الى حال الذى نوى وقال للجبل تحرك فتحرك كيف انفصل التحريك بارادته ثم التسكين ٠

وكذلك خرق العوائد كلها من مشى على الماء او اى نوع كان من هـذا الباب لمن فتح الله له بصيرته ٠

ولنرجع الى ما كنا بسبيله ٠

اعلم ان تصحيح النية والعمل وفسادهما يتضح بمعرفة العوالم الثلاثة : عالم الملك والملكوت والجبروت التى هى على عدد المقامات الثلاثة : مقام الاسلام والايمان والاحسان

وبمعرفة هذه العوالم الثلاثة تتضح (١) معرفة الانسان بنفسه ان شاء الله فالعالم الظاهر كله يسمى عالم الملك ومثاله من الانسان الجسد الظاهر واعمال الجسد هى الاسلام فيحتاج فى كل عمل الى نية واخلاص وعالم الملكوت هو باطن الملك الظاهر وهو عالم الكرسى الذى وسع السموات والارض وما فيهما ٠

ومثاله من الانسان : نفسه وأعماله :ـ الايمان والعقود كلها ويحتاج فى جميعها الى نية صالحة واخلاص كما ورد فى الحديث :

" من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة "(٢) ٠

وعالم الجبروت هو موضع تدبير الملك ظاهرا وباطنا وهو عالم العرش قال الله تعالى :

---

(١) كذا ورد فى ظ ، خ وهو الاصح وفى البقية تصح ٠

(٢) اورده العجلونى فى كشف الخفاء رقم ٢٥٦١ جـ ٢ ص ٢٩٦ وقال رواه البزار والطبرانى عن ابى سعيد الخدرى ورواه ابن النجار عن انس وزاد : قيل فسره لا ابشر الناس قال : انى اخاف ان يتكلوا ورواه الطبرانى وأبو نعيم عن زيد بن ارقم لكنه زاد : قيل : وما خلاصها ؟ قال : أن تحجزه عن محارم الله ٠

واورده السيوطى فى الجامع الصغير ورمز له بالصحة ،

وانظر فيض القدير جـ ٦ ص ١٨٩ رقم الحديث ٨٨٩٦ ٠

" .. ثم استوى على العرش يدبر الامر .. "(١)

وامر البارى تعالى جبر (٢) محض ، لانه لاراد لامره

ومثاله من الانسان روحه :

" .. قل الروح من امر ربى .. "(٣)

واعمال : المواجيد والاحوال والعلوم (العقلية والاسرار الربانية ويحتاج في ذلك كله الى نية صالحة)(٤) واخلاص صحيح .

فقد عمت النية والاخلاص المقامات الثلاثة .

---

(١) سورة يونس من آية ٣ .

(٢) في أ : ت : خير محض .

(٣) سورة الاسراء من آية ٨٥ .

(٤) ما بين القوسين سقط من ع ، أ .

فصـــــل :
========

اعلم ان اول ما يبدوا الامر (من) (١) عالم الجبروت حرا (٢) مـــن خاطر اوغيره من الغيب فيظهر للعقل الذى هو وصف الروح فامـــا يقبله اويرده بالكراهة بواسطة النفس ، فان قبله صار نية وعقـــدا مزموما فى خزانة ملكوت النفس وعالم النبات ،

ثم بعد ذلك يأخذ القوى فى اخراجه الى عالم الجسد بالحركـــات والسكنات فمن ايده الله بتوفيقه واراد تصحيح نياته وقبول اعمالـــه ايد الروح بنور العقل حين ظهور (٣) الامر والخاطر فينظـــر الى الامر فان كان من امور الاخرة ورآه صافيا بالاخلاص عقد عليـــه وحرك النفس لقبوله والعقد عليه فيكون نية صالحة فان كان ممـــا لا يخرج (٤) الى عالم الجسد ويقع فى عالم الملكوت ظهر للامــــلاك وكتب له عمل صالح وان كان مما لا يتم الا باخراجه الى عالم المـــلك والشهادة اخرجه الى عالم الملك الذى هو الجسد فتم .

وان كان من امور الدنيا نظرة ايضا فان كان ممـــا يعود عليه (٥) فيه نفع فى دينه اودنياه عقـــــــد عليه ان كان محتاجا اليـــه وامضاه ايضا لان امور الدنيا معينة للاخرة لانها ركاب لها .

---

(١) حرف " من " سقط من ع ، أ وورد فـــي بقيـــه النسخ .

(٢) فى ت : جبرا وهو خطـــأ .

(٣) فى ظ : حين ظهر .

(٤) فى ظ ، ت : مما يخرج وهو خطأ .

(٥) فى بقية النسخ يعود اليه .

وان كان الامر لغير الله اولدنيا مذمومة اومعصية اظهر (١) قبحه للعقل فنفر عنه وكسل النفس عن قبوله فيرده بالكراهه ، فان زاد الجبر حتى تقبله (٢) النفس وجب عليه (فسخه) (٣) والتوبه منه وعقد النية على تركه فكتب له ايضا عمل صالح .

فمثل هذا تكون اعماله كلها من دين اودنيا صالحة لان نيته فيها كلها لله والدار الاخرة .

وهذه صفة اهل التثبت والتوقف في اسرارهم كما قال بعضهم :

" كنت بواب قلبي سبع سنين "

يعني انه كان عقله واقفا على باب قلبه في عالم السر ، فكل خاطر اراد دخول قلبه نظره (٤) فان كان من قبيل الخير قبل (٥) وعقد عليه ونواه وان كان من قبيل الشر والهوى اغلق الباب في وجهه وطرده ولم يمكنه من الدخول قال الله تعالى في وصف اهل الكهف

" ... وكلبهم باسط ذراعية بالوصيد .. " (٦)

يعني حارسهم باسط ذراعية على عتبة الباب وفناء الكهف ومن كان هذا وصفه لم ينفك من عمل صالح في كل نفس من انفاسه وساعة من ساعاته فان اوقاته في ليله ونهاره لا تخلو من اربعة أقسام :

---

(١) في ظ ، ت : ظهر .

(٢) في / ظ : حتى تفعله .

(٣) كلمة " فسخه " وردت في أ ومكانها بياض في ع .

(٤) في أ : نظر .

(٥) في خ : قبله .

(٦) سورة الكهف من الاية ١٨ .

ساعة يؤدى فيها ما افترض الله عليه وهى اجل الطاعات.
وساعة يعمل فيها فضيلة والفضائل ترفع العبد الى الدرجات العلى
وساعة يصنع فيها مباحا من اكل اوكسب اوغير ذلك من انواع المباح
والمباح اذا قصد به الاستعانة على الطاعة كان طاعة لا محالة .
وساعة يكون خاليا كسلانا غير نشيط لا يجد نشاطا لذكر ولا شكر
ولا غير ذلك فلينو العبد حينئذ انتظار الفرج وانتظار الفرج بالصبر
عبادة ولينو انتظار اوقات الفرائض ايضا فيكون طائعا كما ورد في
الحديث :

" ان العبد في صلاة ما انتظر الصلاة "(١)

فهذه اوقات العبد في ليله ونهاره فليس (٢) فيها قسم خامس
فاذا كانت نيته صالحة كانت انفاسه كلها واثاره طاعة وذلك بحسن
النية فان النية هى التى تحسن الاعمال وبها تزكوا وتكثر ولذلك
كانت النية خيرا من العمل كما ورد في الخبر.

" نية المؤمن خير من عمله "(٣) .

لان من (٤) حسن شيئا واصلحه وكثره فهو احسن من ذلك الشىء
واصلح منه لانه سبب صلاحه وخيره بل كل خير صدر في العمل عن
النية صدر فهى خير من العمل وهى ايضا ابلغ من العمل لان نية

---

(١) ورد ذلك في روايات كثيرة منها ما روى البخارى في كتاب الاذان باب فضل صلاة الجماعة رقم الحديث ٦٤٧ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الرجل في الجماعة تضعف عن صلاته في بيته ... الحديث الى ان قال :
ولا يزال احدكم في صلاة ما انتظر الصلاة .

(٢) في ت : " ليس فيها " .

(٣) تقدم في الشعبة الخامسة " الصلاة " .

(٤) في ظ ، ت : لان ما حسن . وهو الاصح .

المؤمن الصالح اذا عمل عملا لله عزوجل يود ويتمنى ان لوكـــان العمل اصلح ما هو واصفى ويتمنى ايضا ويود ان لوكان اطاع اللـــه بجميع (١) انواع الطاعة (٢) . ويتقرب اليه بانواع (٣) القـرب (٤) لكن لا يقدر بجوارحه على ذلك .

وكذلك يود ان لو (٥) اطاعه الخلق كلهم ولم يعصوه طرفة عـــين ويحزن على ما وقع في الامة والدين من فساد حتى قال بعضهم :

" وودت ان هذا الخلق اطاعوا واني قرضت بالمقاريض "(٦)

فمثل هذه النية تبلغ اهلها مالا تبلغهم اعمالهم .

وكذلك ايضا تبلغ في المآل مالا يبلغه العمل ، فان نية المؤمـــن ان لا يكفر بالله ابدا ولو عمر في الدنيا ابد الابدين فاعطـــى ثوابا على هذه النية (ان لا يخلد في النار ابد الابدين ونيتـــه البقاء والثبات على الايمان ابدا لابدين فاعطى ثوابا على هذه النية "(٧)

---

(١) في ت : في جميع .

(٢) في خ : انواع الطاعات .

(٣) في ظ : الى الله بانواع .

(٤) في بقية النسخ : القربات .

(٥) في ظ : يود ايضا لو اطاعه .

(٦) ذكر ابن المبارك في كتاب الزهد في باب الاخلاص والنية ص ٦٩ رقـم النص ٢٠٨ عن سفيان قال : كان ابو البختري يقول :
" لو ودت ان الله تعالى يطاع واني عبد مملوك " .

(٧) الجملة ما بـــين القوســـين وردت في ظ ، ت ، خ : وسقـطت من ع ، أ .

الخلود في الجنه دار الثواب أبد الآبدين .

ولولا انه نوى العصيان في بعض الاوقات وفسدت نيته بعض الفساد

في طاعة الله لما دخل النار وقتا من الاوقات.

والاعمال لا تبلغ هذا المبلغ ولا تدركه فانه لو خلد العبد في الجنة

على قدر اعماله لم يبق/ فيها الا مقدار سبعين سنة أو ستين سنة وعلى مقدار

ما يكون[1] عمره الذي اطاع الله تعالى فيه.

---

(١) كلمة "ما يكون" لم ترد في ت: ففيها: على مقدار عمره.

فصـــل :

وأما الاخلاص فحده كما تقدم (١) :

افراد النية وتصفيتها من الخلط لله عز وجل فى حين العمل من أوله الى آخره ثم اخفاء العمل عن التحدث به مع الخلق ونسيان النفس له أن تطلع عليه بعد تمام العمل ، قال الله تبارك وتعالى .

(.. فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (٢)

يعنى فى حال العمل .

وقال فى كتمانه بعد تمام العمل :

(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ..) الاية (٣)

ففرض الاخلاص الواجب فى أعمال البر كلها على العمال : أن يستوى فى قلبه بنو آدم مع اشخاص العالم كله (٤) من أرض وحيوان ونجوم وأفلاك وملئكة وغير ذلك ، فكما أنه لا يرآى بعمله لشخص من أشخاص العالم كله فكذلك ينبغى أن يكون مع بنى آدم أيضا .

فأن قلت : ان بنى آدم ينفعون أو يضرون فان اشخاص العالم كله اكثر (منفعه) (٥) لك من بنى آدم كالشمس مثلا فانها نافعة لهذا العالم بأسره بتنويرها وتسخيرها (٦) فى كل نفس من الانفاس وكذلك كل شخص فى الوجود غيرها ولا يرآى العامل بعمله لشى (٧) منها .

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم جـ ٢ ص ٨٩ — ٩١ منزلة الاخلاص وما أورده فى حد الاخلاص من أقاويل .

(٢) سورة الكهف من آية ١١٠

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٤

(٤) فى ظ : كلها

(٥) كذ أورد فى ظ ، ت ، خ : وهو الأصح وفى ع ، أ : اكثر شفقة

(٦) فى ظ ، ت : وتسخينها وهو الأصح

(٧) فى ت خ : شيئا منها .

فان قلت : ان اشخاص العالم (ليس بيدها شيء تملكه انما الأمر فيها بيد الله فكذلك أيضا بنو آدم) (١) لا يملكون ضرا ولا نفعا هو يصرف القلوب ويقبضها ويبسطها وان اعتقدت غير ذلك، وقعت في الشرك، الأكبر والرياء هو الشرك، الأصغر .

واعلم انه لا تنقطع أصول الرياء من القلب حتى تنقطع أسبابه وأسبابه خمسة أشياء :

أحدها الطمع في (نيل منفوع (٢))

الثاني : الرغبة في دفع مضرة

الثالث : حب الثناء والمدح

والرابع : كراهية الذم

الخامس : ضعف اليقين وهو أصل الكل فانه اذا ضعف اليقين قل نظر العبد ومشاهدته لربه وقوى نظره الى الخلق ورآهم الفاعلين باستيلاء الغفلة عليه فيطمع فيهم لرؤية صدور الأفعال عنهم فيخافهم ويرجوهم ويفرح بمدحهم ويحزن بذمهم فيدخل عليه التصنع (٣) والرياء ضرورة لأجل هذه العلة الكامنة في باطنه فمتى قويت هذه الأشياء الخمسة في القلب قوى الرياء (لأنه) (٤) فرع عنها ومتى ضعفت ضعف ، ومتى انقلعت (٥) بالكلية انقلع الرياء بالكلية ولا ينقلع بالكلية حتى يكون بنو آدم عنده بمنزلة أشخاص

---

(١) الجملة ما بين القوسين سقطت من ظ.

(٢) كلمة " نيل منفوع" سقطت من ع ووردت في البقية وفي خ : نيل منفعه

(٣) في ظ. " الطمع " بدل التصنع

(٤) كذا ورد في " ت " وهو الأصح وفي البقية : لأنها

(٥) في ت : ومتى انقطعت

العالم كله ــ كما تقدم ــ فيكون العامل واقفا مع الله فردا لفرد ، ويشاهد أشخاص العالم كله كل شخص واقفا مع الله في عباده فردا لفرد ليس فيها شيء برأى في حركة واحدة من حركاته لشخص آخر وهذا هو (في الحقيقة) (١) عمل السر الذى وردت الأخبار بتفضيله وان كان صاحبه في العلانية او في السر فانه لا يسمع أحدا ولا يراه بل جعل سمع الله في مقابلة سمع الخلق وبصره في مقابلة بصر الخلق فكان في غيب الغيب وسر السر عن أبصار الخلق وأسماعهم (٢) ومن ضعف عن هذه الدرجة امر بطلب اسبابها وهو الهروب من بني آدم الى الخلوة فيعمل (٣) في السر منهم حيث لا يسمعونه ولا يرونه فيسمع سمع خالقه ويتزين لبصره جل جلاله ، فان الرياء انما هو لهاتين الحاستين اعنى السمع والبصر ومنهما اشتقت السمعة والرياء ، فالسمعة للسمع والرياء للبصر ، والتزين يجمعهما جميعا يتزين لسامعه ويتزين لرآيه والى هذا (المعنى) (٤) المذكور ندب النبي عليه السلام في قوله :

(الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) (٥)

فأول ما يدخل العامل في العمل ينبغي ان يسبق الى سره قبل كل شيء هذا المعنى وذلك أن ينظر الى ربه ويصفي سره لنظره ثم يسمعه ويتزين له

---

(١) كذا في ظ ، ت وفي غيرهما في الخليقة

(٢) في أ ، ظ ، ت : وسمعهم

(٣) في خ : فيفعل

(٤) كلمة " المعنى " وردت في ت

(٥) تقدم ص ١٧٨

واذا كان هكذا يتمنى العامل ويود أن لا يطلع أحد من خلق الله على عمله ويجد الراحة والنشاط في العمل وهما علامة (١) المخلص (التبرم) (٢) في الجماعة والنشاط في الخلوة الا مع أقوام توجد الزياده معهم من الأشياخ والاخوان ،أو رجل يظهر أفعاله الاقتداء به كي يكون له أجر من اقتدى به وتلك حالة من استوى وكمل من الأنبياء والأولياء .

وعلامة المرآى الكسل فى الخلوة والنشاط فى الجمع وقد ينشط المرآى أيضا في الخلوة اذا كان العمل يظهر منه في المستقبل كالذى يجتهد في درس العلم والتعلم ليظهر فى المحافل ويثنى عليه فى المجالس . فهذا أيضا أفعاله ظاهره وباطنه كله رياء (٣)

وكل من لم يقنع فى أفعاله كلها بنظر الله لها وسمعه دخل الرياء لا محالة عليه واعلم ان اسباب الاخلاص خمسة أشياء على عدد أسباب الرياء :

أولها : وهى (٤) الأصل قوة (اليقين) (٥) بالله والمشاهدة له جل جلاله

ويتفرع عن (اليقين) (٥م) اربعة فروع

أولها الطمع فيما عنده من الثواب

والثاني : الرغبة فى دفع المكاره كلها عنه لانه شاهد الكل بيده وانه الضار النافع .

الثالث : طلب الحظوة (٦) عنده وحب المدح والثناء من الله

(١) فى ظ : وهما علامتا
(٢) كذا ورد فى : أ ، ت ،خ وفى البقية " المتبرم "
(٣) فى ظ ،ت ،خ . . أفعاله ظاهرة وباطنة كلها رياء
(٤) فى ظ ،ت، وهو ...
(٥) ورد فى ع : بدل كلمة " اليقين " فى الموضعين " النفس " وهو خطأ
(٦) كذا ورد فى ظ ،ت ، وفى البقية : الحظوظ قال الليث : الخظوة : المكانة والمنزله.تهذيب اللغه ٥/٢٠٣

لأن مَن أثنى الله عليه بكلامه بوصف من الأوصاف لا يقدر أحد قدر ما أعطى .

الرابع: كراهة السقوط من عين الله والذم من الله فان من ذمه الله بكلامه وسقط من عينه ذمه الكل وسقط عند الكل أعنى فى الآخرة فمن حصلت (له) (١) هذه الأشياء الخمسة فى قلبه جعل نظر الله اليه عوض نظر الخلق وسمع الله عوض سمع الخلق وطمع فيما عند الله عوضا ما عند الخلق ، ورغب اليه ان يحرسه من كل مكروه عوضا من الخلق وطلب الجاه عند الله لا عند الخلق ، وكره السقوط عند الله لا عند الخلق فمن كان هكذا كان (عبدا) (٢) مخلَصا لله ــ بفتح اللام ــ وهو من المخلِصين على اخلاصه ــ بكسرها ــ فان العبد لا يكون مخلصا على الحقيقة حتى يخلصه الله لنفسه من الاستعباد للأشياء فيكون مخلصا منها فحينئذ (٣) تصفوا عبادته من رق الأشياء كما اثنى الله على أهل هذه الحال فقال :

(ــ الا عبادك منهم المخلصين ..) (٤)

بالفتح والكسرة (٥)

لما لم يتملكهم العدو بشىء ولم يدخلوا تحت لواء سلطانه يئس منهم فقال :

(... الا عبادك منهم المخلصين .) (٤م)

---

(١) كلمة " له " وردت فى : ظ

(٢) كلمة " عبدا " وردت فى : ظ ، ت ، خ

(٣) فى أ ، ظ : فعند ذلك

(٤) سورة الحجر آية ٤٠

(٥) قال الشوكانى فى فتح القدير فى معنى القرآتين : قرأ أهل المدينه وأهل الكوفه بفتح اللام : اى الذين استخلصتهم من العباد ، وقرأ الباقون بكسر اللام/ اى الذين أخلصوا لك العباده فلم يقصدوا بها غيرك . حـ ٣ ص ١٣١

فأضاف عبادتهم لله وحده دون من سواه وبذلك اثنى الله عليهم أيضا سبحانه في قوله

(... انه من عبادنا المخلصين ..) (١)

قرئت بكسر اللام وفتحها (٢)

فأضافهم الى اسمه المضمر دون من سواه فقال : (من عبادنا)

وعن مثل هذه الحال أخبر الله جل جلاله عن أسرار الأبرار في قوله :

(.. انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ..) (٣)

اذا تفهمت الآية (٤) وجدت فيها هذه المعاني الخمسة المتقدمة وبذلك وصفهم أيضا في قوله :

(وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ..) (٥)

فهذا أتى ماله طلب التزكية عند الله والطهارة للقرب منه والنظر اليه وأن لا يبقى في مقام التخلف والذم لا ليطلب على أعماله ثوابا من أعراض الدنيا ولا جاها ولا محمدة في الدنيا فاذا خلص العمل من أن يطلب عليه ثوابا دنياويا من الخلق فهو مخلص .

وهذه أول درجات الاخلاص فان من عمل للآخرة وليثيبه الله في الآخرة فهو من المخلصين لكن عمله للنفس لاجل الجزاء والجزاء حظ من حظوظ النفس وفوق ذلك ان يعمل لاجل الله لانه أهل أن يعبد ويشكر بالعباده (على وجوده) (٦)

---

(١) سورة يوسف من الآية ٢٤

(٢) في فتح القدير للشوكاني جـ٣ ص ١٨ : المعنى على القراءة الأولى اى الكسر : أن يوسف عليه السلام كان ممن أخلص طاعته لله .
وعلى الثانية ـ اى الفتح : أنه كان ممن استخلصه الله للرسالة
وقد كان عليه السلام مخلصا مستخلصا ....

(٣) سورة الانسان آية ٩

(٤) في ت : اذا فهمت هذه الآية

(٥) سورة الليل الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

(٦) جملة " على وجوده " لم تذكر في ع ووردت في بقية النسخ

سبحانه كما عمل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا المقام حين عوتب في كثرة العبادة فقال :

((. . . افلا اكون عبدا شكورا ؟)) (١)

وبذلك أمر الله نبيه عليه السلام في قوله :

(. . لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (٢)

اي كن من الشاكرين على أن رضيناك لعبادتنا وعلى ان جعلناك أهلا أن تعبدنا وهذه اعلى رتبة في الاخلاص وليس ورآها مرمى (٣) الا ترك الركون الى الاخلاص وأن يرى العبد نفسه مخلصا (فان ذلك شرك خفي) (٤) قال الله تعالى في عثمان بن عفان رضي الله عنه :

(أمن هو قانت أناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) (٥)

فأخبر عن سره أنه لا يرجو الا رحمة ربه مفردا حين صفا سره عن الركون الى العمل وقطع اليأس عن النجاة الا بالله وبذلك أمر الله نبيه عليه السلام أيضا في قوله :

---

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل رقم الحديث ١١٣٠ ورواه مسلم في كتاب صفات المنافقين باب اكثار الاعمال رقم الحديث ٢٨١٦

(٢) سورة الزمر الآيتان ٦٥ ، ٦٦

(٣) قال القاضي عياض في مشارق الانوار : مرمى أي نهاية أو شيء تطمع اليه الامال والرغبة وأصله من التسابق بالسهام.

(٤) كذا ورد في خ وهو الصواب حيث ورد في بقية النسخ شركا خفيا بالنصب

(٥) سورة الزمر من آية ٩

(.. ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ..) (١)
لا على عباداته، فان النفس ان طالعت اخلاصها كثر عندها عملها وذلك شرك
خفي منها لأنها اضافت لها فعلا وهو كذب فان (٢) الله خالق كل شـــيء
ولن ينال العبد هذه المرتبة في الاخلاص حتى يرى القلب (٣) بالمشاهدة
كثرة عمال الله وخدامه في ملكه وملكوته على مر الدهور والأزمان وانهم لم يفتروا
قط طرفة عين عن عباداته .

ويرى مقدار ما تقع عباداته (من) (٤) عبادة العابدين وهل يحس أو يسمع
لها ذكرا في عبادة العابدين (٥) فيستحي العبد من أن ينظر حينئـــذ
الى اخلاصه ويبقى فردا مع الفرد الحق لا يرجو الا هو ولا ينظر الا اليه ولا يتوكل
الا عليه ويصير العمل واحدا من الخلق لا يركن اليه كما لا يركن الى شخص مـــن
أشخاص الخلق (لان العمل خلق الله كما ان الشخص خلق الله) (٥) .

(والله خلقكم وما تعملون .) (٦)

فهذا مقام الاحسان الروحاني والايماني .

بلغ الله بنا وتاب علينا من جميع الآفات (كلها) (٧) جليها وخفيها آمين
آمين وصلى الله على محمد واله وسلم.

---

(١) سورة هود آية ١٢٣
(٢) في ت : فعلا فهو كذب لان الله ...
(٣) في أ : حتى يرى العبد
(٤) كذا ورد في أ ظ وهو الاصح وفي البقية "عن عباده .."
(٥) ما بين القوسين سقط من ع وورد في بقية النسخ
(٦) سورة الصافات آية ٩٦
(٧) كلمة "كلها" وردت في : ت

انتهى النصف الأول من كتاب الشعب بعون الله يتلوه في أول النصـــــف الثاني باب التوبة ان شاء الله . (١)

---

(١) كذا ورد في ع ،أ


« الفهارس »

فهـرس الاحاديـــــــث

الحديـــــث	الصفحـــــة

الحديـــــث	الصفحـــــة
تابع (آ)	
ان لله فى كل ليلة من رمضان عتقاء من النار ٠٠٠٠٠٠	٢٩٦
ان الطائف بالبيت يخوض فى الرحمة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٦
انظروا الى عبيدى شعثا غبرا ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٩
ان أعمال البر كلها فى الجهـــاد ٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٢١
انا برىء من اهل ملتسين تترآى ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٣٩
٠٠ الا ان من قبلكم افترقوا ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٥١/٣٤٨/٣٤٥
اصحابى كالنجوم ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٥١
انا مدينة التقـــوى ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٥٣
احسن الناس صوتا بالقرآن ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٦٦
ان الله خلق كل انسان من بنى ادم على ستين ٠٠	٣٧٠
اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعـة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٨٨
اربع من كن فيه كـــان منافقا ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤٠٦
ان الله خلق الارواح ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤١٠
ان الله خلق الخلق وقضى الاقضية ٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤١٠
اذا كانت سنة ثمانين ومائة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤١٩
اى الاعمال احب الى الله ؟ قال : الصلاة لوقتها ٠٠	٤٢٠
٠٠ الك ابوان ؟ قال : نعم ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤٢١
٠٠ انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤٢٦
ان الله يقعده ــ اى محمدا ــ على العرش ٠٠٠٠٠	٤٢٧
أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤٣١
اى الاسلام خير قال : تطعم الطعام ٠٠٠٠٠٠٠	٤٤٩
افيكم ابي ؟ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤٦٧
انى لا نسى لا ســـن .	٤٧٤
ان الله يغـــار ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤٨٨/٤٧٧
٠٠٠ انه لغيور وانا اغير منه والله اغير منى ٠٠٠	٤٧٧
٠٠٠ انه قد اذن لكن ان تخرجن لحاجتكن ٠٠	٤٨٠

الحديث	رقم الصفحة
(ف) فسبي يسمع وبي يبصر	١٤١
فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة	٢٦٤
الفتنة ها هنا واشار الى المشرق	٢٩٩
الفرار من الفتن من الايمان	٣٤٠
فضل العلم احب الي من فضل الجهاد	٥١٤

****

الحديث	رقم الصفحة
(ق) قام النبي (ص) بذى الحليفة وبات بها	٣١٦
القدرية مجوسي هذه الامة	٤٧٠
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار .	٥٢٥
قال الله تعالى للجنة : انت رحمتي	٥٣٣
القناعة كنز لا يفنى	٥٣٥
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تستدبر القبلة لبول أو غائط	٦٦١/٦٦٠
ورد انه لا تنزل قطرة من السماء الا ومعها ملك	٦٦٥

****

الحديث	رقم الصفحة
(ك) كان خلقة القرآن	٦٥
كنت سمعه وبصره	٤٥٥/١٤١/٦٧
كان الله ولا شيء معه	١١٢/١٠٨
وكيف لو رأيت اسرانيل	١٣٥
كتب الله مقادير الخلائق	هـ ١٤١
كتب في الذكر كل شيء	١٤٩
كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك	٤١٧/٣٦٠
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته	٣٧٩
اذا اتاكم كريم قوم	٥٠٨

الحديـــث	رقم الصفحـــة

الحديث	رقم الصفحة

فهـــرس الأعـــلام

=======

يتضمن هذا الفهرس بعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب المحقـــق والحرف " ت " اذا وضع بجانب الرقم يدل على الترجمه :

فهرس المراجـــــــع

القـــــرآن الكريـــــم

(١) الايمان / شيخ الاسلام تقى الدين احمد بن تيمية / منشورات المكتب الاسلامى للطباعة والنشر بدمشق ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

(٢) اصول الديـــن : تأليف الامام الاستاذ ابى منصور عبد القاهـــــــ البغدادى د /دار الكتب العلمية بيروت الطبعـــــة الثانية ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

*****

(٣) احياء علوم الدين : تصنيف الامام ابى حامد محمد الغزالى طبعـــة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

*****

(٤) اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة :
تأليف الشيخ ابى القاسم هبة الله .. اللالكائـــــــى
تحقيق د / احمد سعد حمدان " مخطوط ".

******

(٥) أحاديث القـــصاص :
تأليف شيخ الاسلام احمد بن تيمية / تحقيق محمـــــد الصباغ / المكتب الاسلامى الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ.

******

(٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين
للامام فخر الدين الرازى / ومعه كتاب المرشد الأمين
تأليف طه عبد الرؤوف ومصطفى الهوارى الناشـــــــر / مكتبة الكليات الازهرية القاهرة ١٣٩٨ هـ.

(٧) ابو زرعة الرازى وجهوده فى السنة مع تحقيق كتابه .. الضعفاء
دراسة وتحقيق د / سعيد الهاشمى الطبعة الاولى ١٤٠٢
المجمع العلمى بالجامعة الاسلامية .

******

(٨) الاعتصـــــــــام :
للعلامة الامام ابى اسحاق ابراهيم .. الشاطبى دار المعرفة
بيروت ١٤٠٢ هـ.

******

(٩) اظهـــار الحـــق :
تأليف رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى تحقيـــــق
عمر الدسوقى توزيع مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء

******

(١٠) الاعتقاد علـى مذهب السلف اهل السنة والجماعة :
للامام ابى بكر احمد بن الحسين البيهقى صححه احمد مرسى
١٣٨٠ هـ ١٩٦١م.

******

(١١) الأسمـــاء والصفـــات :
للامام ابى بكر البيهقى تحقيق محمد زاهد الكوثـــــرى
مطبعة السعادة ١٣٥٨ هـ.

******

(١٢) الاملاء عن اشكالات الاحياء للامام الغزالـــى
ملحق باخر كتـــاب الاحياء السابق

******

(١٣) الاقتصاد فى الاعـــتقاد :
للامام الغزالى الطبعة الاولى ١٤٠٣ دار الكتب العلميـــة
بيــــروت .

******

(١٤) الاعـــــلام قاموس تراجـــم :
تأليف خير الدين الزركلي الطبعة الثالثة /والخامسة •

******

(١٥) ابطال وحدة الوجـــود والرد على القائلين بها :
لشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية ضمن مجموعـــة
الرسائل والمسائل الجزء الاول ص ٦١ •

******

(١٦) الايمـــــــان :
للحافظ محمد بن اسحاق بن منده تحقيق الدكتور علـــى
محمد الفقيهي الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م نشر
المجلس العلمي واحياء التراث الاسلامي بالجامعة الاسلامية

******

(١٧) اجوبة الحافظ ابن حجر العسقلاني عن احاديث المصابيح :
ملحق باخر كتاب مشكاة المصابيح ج ٣ص ١٧٧٣ •

******

(١٨) الابانـــة عن اصول الديانة :
تأليف ابي الحسن الاشعري تحقيق عبد القادر الارنـاؤوط
الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م توزيع مكتبة دار البيان •

****

(١٩) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به :
لامام المتكلمين القاضي ابي بكر الباقلاني تحقيق محمـــد
الكوثري الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م مؤسسة الخانجي •

******

(٢٠) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول :
تأليف محمد بن علي الشوكاني الطبعة الاولى ١٣٥٦ هـ
مطبعة البابي الحلبي •

******

(٢١) أوضح المسالك الى الفية ابن مالك :
تأليف الامام ابي محمد عبد الله بن يوسف ومعة كتاب ارشاد السالك

(٢٢) اعلام الموقعين عن رب العالمين :
تأليف شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكــــر
المعروف بابن قيم الجوزية دار الجيل ١٩٧٣م٠

****

(٢٣) اعجاز القــرآن والبلاغة النبوية :
تأليف مصطفى صادق الرافعي الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ
دار الكتاب العربي بيروت٠

****

(ب)

(٢٤) بيـــان موافقة صريح المعقول الصحيح المنقول لابن تيمية بهامش
" منهاج السنة "٠

******

(٢٥) البيهقي وموقفه من الالهيـــات :
تأليف الدكتور احمد بن عطيه الغامدي الطبعة الثانيــة
١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م٠

******

(٢٦) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية او نقض تأسيـــس
الجهمية لابن تيمية رحمه الله الطبعة الاولى مطبعـة
الحكومة مكة المكرمة ١٣٩٢هـ٠

****

(ت)

(٢٧) تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر٠٠
العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون طبعــــة
١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م مؤسسة جمال للطباعة والنشر٠

******

(٢٨) تاريخ قضاة الأنـــدلس :
الشيخ ابو الحسن النباهي الاندلسي منشورات المكتـــب
التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت٠

******

(٢٩) تنبيه الغافلـــين :
للفقية الزاهد الشيخ نصر محمد السمرقندي ملتزم الطبـــع
والنشر عبد الحميد احمد حنفي٠

(٣٠) تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون :
عمر فروخ الطبعة الثانية ١٩٨١م دار العلم للملايين

****

(٣١) تبسيط العقائد الاسلامية :
حسن محمد ايوب ١٣٩١ ١٩٧١م مكتبة الثقافة العربية الكويت .

******

(٣٢) التاريخ الاندلسي :
للدكتور عبد الرحمن على الحجى الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١م دار القلم بيروت .

******

(٣٣) تأويل مختلف الحديث :
تأليف الامام ابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه صححه محمد زهرى النجار دار الجيل بيروت ١٣٩٣ هـ .

****

(٣٤) تاريخ الادب العربي :
كارل بروكلمان نقله الى العربية د / عبد الحليم النجار الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر .

******

(٣٥) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام :
لمؤرخ الاسلام شمس الدين الذهبي ، المجلد الثامن عشر القسم الاول وفيات ٦٠١ ـ ٦١٠ هـ . تحقيق د / بشار عواد معروف الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ .

****

(٣٦) تفسير الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن :
للامام ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى دار المعرفة بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ .

****

(٣٧) تفسير غرائب القرآن :
الحسن النيسابورى بهامش جامع البيان للطبرى .

(٣٨) تفسير القـــرآن العظيم :
للامام ابو الفداء اسماعيل بن كثير يطلب من الكتبة التجارية الكبرى بمصـــر.

****

(٣٩) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل :
لعلاء الدين على بن محمد الشهير بالخازن الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ البابى الحلبى بمصر.

****

(٤٠) التفسير الكبيــر :
فخر الدين الرازى الطبعة الثانيـــة دار الكتـــب العلمية طهران.

****

(٤١) تهذيب اللغـــة :
لابى منصور محمد بن احمد الازهرى حققه عبدالسلام محمد هارون المؤسسة المصرية العامة للتأليـــــف والنشــــر.

******

(٤٢) تذكرة الموضوعـــــــات :
للعالم محمد طاهر بن على الهندى الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ دار احياء التراث العربى بيروت.

****

(٤٣) تهافت الفلاسفـــة :
للامام ابى حامد الغزالى تحقيق سليمان دنيــــا الطبعة الرابعـــة دار المعارف بمصر.

****

(٤٤) التعرف لمذهب اهل التصـــوف :
ابو بكر الكلاباذى حققه محمود امين الطبعة الاولـــى ١٣٨٨ هـ الناشر مكتبة الكليات الازهرية.

(٤٥) التشوق الى رجال التصوف :
لابى يعقوب يوسف بن يحي ، مخطوط بدار الكتب المصرية فى قسم التاريخ رقم ٢٤٠٩٠

******

(٤٦) تحذير الخواص من اكاذيب القصاص :
الامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى تحقيق محمد الصباغ المكتب الاسلامى ١٣٩٢ هـ٠

******

(٤٧) تفسير اسماء الله الحسنى :
املاء ابى اسحاق ابراهيم الزجاج تحقيق احمد يوسف الدقاق الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ٠

******

(٤٨) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل :
تأليف الحافظ امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة راجعة محمد خليل الهراس ط ١٣٩٨ هـ٠

******

(٤٩) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة :
لابى الحسن على بن محمد بن عراق الكناف حققه عبد الوهاب عبد اللطيف وزميلة الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ٠

******

(٥٠) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية :
تأليف الاستاذ فالح بن مهدى ال مهدى الطبعة الاولى ١٣٨٦ هـ٠

******

(٥١) تهذيب الاثار وتفصيل معانى الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخبار ٠ تأليف الامام محمد بن جرير الطبرى تحقيق د / ناصر بن سعد الرشيد ٠٠ مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ

(٥٢) التحف في مذاهب السلف ضمن مجموعة : الرسائل السلفية في احيــاء سنة خير البرية (ص) شيخ الاسلام محمد بن الشوكانــي دار الكتب العلمية بيروت ٠

****

(٥٣) تلبيس ابليس او نقد العلم والعلماء : للامام ابي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي عني بنشــرة محمود مهدي الاستانبولي ١٣٩٦ هـ ٠

******

(٥٤) تخريج احاديث مختصر المنهاج للحافظ العراقي : تحقيق الاستاذ صبحي البدري السامرائي ضمن العــدد الثاني من مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي بمكــة المكـرمة عام ١٣٩٩ هـ ٠

******

(٥٥) تنزيه الله تعالى عما اوجبه علـيه المعتزلة رسالة دكـــتوراة اعداد احمد البناني عام ١٤٠٣ هـ ٠

******

(ج)

(٥٦)

(٥٦) جامع الاصول في احاديث الرسول : تأليف الامام ابن الاثير الجزري : تحقيق عبد القـــادر الرناؤوط طابعة ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩م ٠

(٥٧) الجامع في شعب الايمان : للحافظ ابي بكر البيهقي " مخطوط " ٠

(٥٨) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله : للامام ابي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي طبعـــة دار الفكر ٠

(٥٩) الجن العالم الثاني ٠٠٠٠ ادلته من القرن والسنة ٠٠٠ تأليف سيد عبد الله حسين الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ٠

(ح)

(٦٠) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء
للحافظ ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني دار الفكـــر.

(٦١) الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية:
بقلم الامير شكيب ارسلان منصـورا ـدار مكتبة الحياة.

(٦٢) الحسنة والسيئـــة :
لشيخ الاسلام ابن تيمية تحقيق د / محمد جميل غـازى مطبعة المدنـــى.

(خ)

(٦٣) خلق أفعال العباد :
للامام محمد بن اسماعيل البخارى تحقيق د / عبد الرحمن عميره / دار المعارف السعودية الرياض ١٣٩٨ هـ.

(٦٤) خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم :
تأليف محمد ابو زهره الطبعة الاولى ١٩٧٦ م دار الفكـر العربى.

(٦٥) الخوارج في المغرب الاسلامى :
للدكتور محمود اسماعيل دار العودة بيروت ١٩٧٦م.

(د)

(٦٦) دقائق التفسير الجامع لتفسير الامام ابن تيمية :
جمع وتحقيق د / محمد السعيد الجليند الطبعـــــة الاولى ١٣٩٨ هـ.

(٦٧) دعـوة التوحيد :
تأليف د / محمد خليل هراس الطبعة الثانية.

(٦٨) دعوة الرسل الى الله تعالى :
تأليف محمد احمد العدوى مطبعة مصـطفى البابـــــى الحلبى ١٣٥٤ هـ.

(٦٩) ديوان العباس بن مرداس السلمي :
تحقيق يحي الجبوري طبع في بغداد ١٩٦٨م .

(٧٠) الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب :
تأليف الامام برهان الدين ابراهيم بن علي بن فرحـــــون
المالكي / دار الكتب العلمية بيروت .

(ر)

(٧١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم :
للعلامة ابي الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي
دار الفكـــــــر .

(٧٢) راسالة في اثبات الاستواء والفوقية ...
للشيخ العلامة ابي محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد امام
الحرمين ، وهي من ضمن مجموعة الرسائل المنيرية بيـــروت
١٩٧٠م جـ ١ ص ١٧٤ .

(٧٣) رسالة التوحيـــــد :
الاستاذ الامام محمد عبده الطبعة الرابعة دار الفكر .

(٧٤) رسالة المسترشدين :
لابي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي حققه وخـــــرج
احاديثه عبد الفتاح ابو غده الطبعة الثانية .

(٧٥) الرسالة القشيرية :
للامام ابي القاسم القشيري تحقيق د / عبد الحلـــــــيم
محمود دار الكتـــب الحديثه .

(٧٦) الـــــروح ...
لابن القيم تحقيق محمد اسكندر الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ
دار الكتب العلمية بيروت .

(٧٧) روضه التعريف بالحب الشريف :
لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب تحقيـــــــق
محمد الكتاني الطبعة الاولى بيروت ١٩٧٠م .

(٧٨) الرد على المنطقيين :
للامام شيخ الاسلام تقى الدين احمد بن تيميـــة
ادارة ترجمان السنة لاهور باكستان ١٣٩٦هـ.

(٧٩) رحلة الى المغرب العربي :
بقلم احمد حسين شرف الدين ١٣٩٧هـ دار الثقافـة
بالقاهـرة.

(٨٠) الرد على الجهمية :
للامام الحافظ ابن منده تحقيق الدكتور على بن محمـد
ناصر الفقيهى الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ.

(٨١) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة :
للامام محمد بن جعفر الكتانى الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ
دار الكتب العلمية بيروت.

(ز)

(٨٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر وبهامشة كتاب الاعلام بقواطع الاسلام :
للامام ابن حجر المكى ، الطبعة الاولى بالمطبعـة
الازهرية المصرية سنة ١٣٢٥ هـ.

(٨٣) الزهر النضر في نبأ الخضر :
تأليف الحافظ ابن حجر : ضمن مجموعة الرسائل المنيرية
ج ٢ ص ١٩٥.

(٨٤) زكاة الحلى دراسة فقهية ..
تأليف الشيخ عطيه محمد سالم مطبعة المدنى ١٣٩١ هـ.

(٨٥) الزهـــد :
للامام ابى عبد الله احمد بن حنبل دار الكتب العلميـة
بيروت ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨م.

(٨٦) الزهد ويليه كتاب الرقائق :
للامام شيخ الاسلام عبد الله بن المبارك تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي دار الكتب العلمية .

(س)

(٨٧) كتاب السنة :
للحافظ ابي بكر عمر وبن ابي عاصم الشيباني ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم الشيخ محمد ناصر الدين الالباني الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ المكتب الاسلامي .

(٨٨) سنن النسائي :
بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي دار الكتاب العربي بيروت .

(٨٩) سنن ابن ماجه :
الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر .

(٩٠) سنن الترمذي " الجامع الصحيح "
لابي عيسى محمد بن عيسى .. تحقيق احمد محمد شاكر دار احياء التراث العربي .

(٩١) سنن ابي داود :
للامام ابي داود سليمان بن الاشعث راجعة محمد محي الدين عبد الحميد نشر دار احياء السنة النبوية .

(٩٢) سنــن الدارمي :
الامام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي طبــــع بعناية محمد احمد دهمان دار احياء السنة النبوية ٠

(٩٣) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :
لأبي محمد عبد الملك بن هشام راجعة محمد خليل هراس الناشر مكتبة الجمهورية ٠

(٩٤) السراج الوهاج شرح الغمراوي على متن المنهاج للنووي :
مطبعة البابي الحلبي واولاده ١٣٥٢ هـ ــ ١٩٣٣م ٠

(٩٥) سير اعلام النبــــلاء :
الامام شمـــس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي تحقيق شعيب الارناؤوط وزميله الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ وترجمة المؤلف في الجزء الثالث عشر ، لم يطبع بعــــد " مخطـــوط " بالمكتبـــة المركزية بجامعة ام القــــرى بمكة المكرمـــة ٠

(ش)

(٩٦) شرح العقيدة الطحاويــــــة :
تخريج محمد ناصر الدين الالباني الطبعة السادســـة ١٤٠٠ المكتب الاسلامي بيروت ٠

(٩٧) شرح حديث **النزول** :
تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية الطبعة الثالثة ١٣٨١ هـ المكتب الاسلامي ٠

(٩٨) شرح الزرقاني على موطأ الامام مالك :
طبعة ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨م دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

(٩٩) شرح السنة :
للامام البغوي تحقيق شعيب الارناؤوط وزهير الشاويش توزيــــع المكتب الاسلامي ٠

(١٠٠) شرح المواقف فى علم الكلام :

للسيد الجرجانى الموقف الخامس فى الالهيات تحقيق أحمد المهدى الناشر مكتبة الأزهر.

(١٠١) شرح القصيدة النونية :

للامام ابن قيم الجوزية تأليف الدكتور محمد خليل هراس مطبعة الامام بمصر.

(١٠٢) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية

تأليف محمد خليل هراس مطبعة دار نشر الثقافة

(١٠٣) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب

للمؤرخ عبدالحي بن العماد الحنبلى دار احياء التراث العربى بيروت .

(١٠٤) الشريعة :

للامام أبى بكر محمد بن الحسين الآجرى تحقيق محمد حامد الفقى دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى .

(١٠٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى

للعلامة أبى الفضل عياض اليحصبى .دار الفكر بيروت .

(١٠٦) شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية

تأليف الشيخ محمد بن محمد مخلوف ،دار الفكر

(ص)

(١٠٧) صحيح مسلم بشرح النووى

تحقيق واشراف عبدالله أحمد أبو زنية طبعة كتاب الشعب

(١٠٨) صحيح مسلم

للامام أبى الحسين مسلن بن الحجاج تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقى دار احياء التراث .

(١٠٩) صحيح البخارى : انظر فتح البارى .

(١١٠) صحيح ابن خزيمة

للامام الائمة ابى بكر محمد بن خزيمة تحقيق د / محمد مصطفى الأعظمى المكتب الاسلامي .

(١١١) صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان

تأليف محمد بشير الهندى الطبعة الخامسة ١٣٩٥هـ

(١١٢) صفة الصفوة

للامام جمال الدين أبى الفرج ابن الجوزى خرج أحاديثه د / محمد رواس الطبعه الثانية ١٣٩٩ دار المعرفة

(١١٣) صلة الصلة : وهو ذيل الصلة البشكواليه فى تراجم أعلام الاندلس:

لجامعه الشيخ ابى جعفر أحمد ابن الزبير المطبعة الاقتصادية ١٩٣٨م.

(١١٤) الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقه

تأليف أحمد بن حجر الهيثمى خرج أحاديثه . . عبدالوهاب عبد اللطيف الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ

(١١٥) الطب النبوى :

لشمس الدين . . . ابن قيم الجوزيه خرج أحديثه محمود فرج دار الباز للطباعة والنشر .

(١١٦) كتاب طبقات علماء افريقية ، وكتاب طبقات علماء تونس .

للمؤلفين / محمد بن احمد بن تميم ، ومحمد بن الحارث ، ومحمد التميمى ثلاثة كتب فى مجلد واحد منشورات دار الكتاب اللبناني بيروت .

(١١٧) طبقات المفسرين :

للامام جلال الدين السيوطى الطبعه الأولى ١٤٠٣ دارالكتب العلمية .

(١١٨) طبقات المفسرين :

الحافظ محمد بن على بن أحمد الداوودى تحقيق على محمد عمر الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ مطبعة الاستقلال .

(١١٩) ظهر الاسلام :

تأليف احمد امين = الجزء الثالث " فى الاندلس" دار الكتاب العربى بيروت .

(١٢٠) العقائد الاسلاميه :

تأليف السيد اسبق ، الناشر دار الكتاب العربى بيروت .

(١٢١) عقيدة المؤمن

لابى بكر جابرالجزائرى الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م

(١٢٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث

للامام المحدث أبى عثمان اسماعيل الصابونى المتوفى ٤٤٩ هـ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .

(١٢٣) كتاب العلم

تأليف الحافظ أبى خيثمة حققه محمد ناصر الدين الالبانى ضمن مجموعة : من كنوز السنه ـ رسائل أربع .

(١٢٤) العلل المتناهيه فى الأحاديث الواهيه

لابى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى ادارة ترجمان السنه لاهور

(١٢٥) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية

تأليف ابو العباس احمد بن احمد الغبرينى تحقيق عادل نويهض لجنة التأليف والترجمة بيروت .

(غ)

(١٢٦) غذاء الألباب لشرح منظومة الأداب

تأليف محمد السفاريني مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩٣هـ

(١٢٧) غاية المرام في علم الكلام

لسيف الدين الآمدى تحقيق حسن محمود لجنة احياء التراث

الاسلامي القاهره ١٣٩١هـ .

(ف)

(١٢٨) الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل ومعه كتاب بلوغ الأمانى

تأليف احمد عبد الرحمن البنا الساعاتى الناشر دار الحديث

القاهره .

(١٢٩) الفصل فى الملل والأهواء والنحل

للامام ابى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى الطبعة الثانية

١٣٩٥هـ دار المعرفـــه

(١٣٠) الفقه الاكبـــر

للامام أبى حنيفه النعمان مع شرحه للامام الملا على القارى دار

الكتب العلمية ١٣٩٩هـ

(١٣١) فتح البارى شرح صحيح البخارى

احمد بن حجر العسقلانى ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى " الناشـــر

دار المعرفة بيروت .

(١٣٢) الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة :

لشيخ الاسلام محمد بن على الشوكانى تحقيق عبد الرحمن بن يحى

المعلمى اليمانى الطبعة الاولى ١٣٨٠

(١٣٣) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير
تأليف محمد على الشوكانى ، مصطفى البابى الحلبى

(١٣٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيـد .
الشيخ عبد الرحمن بن حسن ال الشيخ تحقيق محمد حامد الفقى
الطبعة الثامنة ١٣٨٦هـ

(١٣٥) فلسفة ابن رشـد
لابن رشد منشورات دار الأفاق الجديده بيروت الطبعة الاولى
١٣٩٨هـ.

(١٣٦) الفرق بين الفرق وبيان الفرقه الناجية منهم
تأليف عبد القاهر بن طاهر البغدادى الطبعة الاولى ١٣٩٣هـ
دار الأفاق الجديده بيروت .

(١٣٧) الفلسفة الاسلامية وملحقاتها .
عمر رضا كحالة مطبعة الحجاز بدمشق ١٣٩٤هـ

(١٣٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير
للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوى الطبعة الثانية ١٣٩١هـ دار
المعرفة بيروت .

(١٣٩) فضائل الصحابه
للامام ابى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ
مؤسسة الرسالة .

(١٤٠) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
لشيخ الاسلام ابن تيميه تصحيح محمود عبد الوهاب فايـد
مطبعة على صبيح ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م

(١٤١) فاس عاصمة الأدارسة ورسائل أخرى

تأليف محمد المنتصر الكتانى دار ادريس للتأليف والنشر الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ

(١٤٢) فضائح الباطنية

لابى حامد الغزالى تحقيق عبد الرحمن بدوى مؤسسة دار الكتب الثقافيه الكويت .

(ق)

(١٤٣) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن

الشيخ نديم الجسر توزيع دار العربيه

(١٤٤) القاموس المحيط

تأليف محمد بن يعقوب الفيروز آبادى

(١٤٥) قطر الولى على حديث الولى أو ولاية الله والطريق اليها

للامام الشوكانى تحقيق د / ابراهيم ابراهيم هلال مطبعة حسان

(ك)

(١٤٦) الكشف عن مناهج الأدله لابن رشد انظر " فلسفة ابن رشد "

(١٤٧) كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفه المخلوق

للدكتور محمد رمضان البوطى الطبقه السادسه

(١٤٨) كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين . . .

تأليف الحسين بن عبد الرحمن الأهدل اليمنى تحقيق احمد بكير محمود .

(١٤٩) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية

تأليف عبد العزيز المحمد السلمان ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

(١٥٠) كشاف القناع عن متن الاقناع

للشيخ منصور بن يونس البهوتي مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩٤هـ

(١٥١) كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس

الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الطبعة الثالثة ١٣٥١ هـ دار احياء التراث العربي .

(١٥٢) كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج

احمد بن بابا بن أحمد التنبكتي ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف رقم ٤٦

(ل)

(١٥٣) اللمع

لابي نصر سراج الطوسي تحقيق د / عبد الحليم محمود .... دار الكتب الحديثه بمصر ١٣٨٠هـ

(١٥٤) لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الاصول

لابي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي تحقيق د / فوقية حسين الطبعة الاولى ١٩٧٧ م دار الانصار .

(١٥٥) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة :

للامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الطبعة الثالثه ١٤٠١هـ دار المعرفـه

(م)

(١٥٦) معارج القبول بشرح مسلم الوسول الى علم الاصول فى التوحيد
تأليف الشيخ حافظ بن أحمد حكمى المطبعة السلفية

(١٥٧) المنقذ من الضلال والموصل الى ذى العزة والجلال
أبى حامد الغزالى حققه / جميل صليبا الطبعة التاسعة ١٩٨٠
دار الاندلس

(١٥٨) مجموع فتاوى ابن تيمية
جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم طبعة مكتبة المعارف
الرباط ، المغرب .

(١٥٩) المنهاج فى شعب الايمان
الشيخ ابى عبد الله الحسين بن الحسن الحليمى تحقيق حلمي
محمد فوده الطبعة الاولى ١٣٩٩ دار الفكر .

(١٦٠) مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفيه
ملتزم الطبع فرج الله زكى الكردى مطبعة كردستان العلمية مصر
١٣٢٩هـ

(١٦١) مجموعة الرسائل والمسائل
تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية تخريج محمد رشيد رضا ، لجنة
التراث العربى

(١٦٢) منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية
لابن تيمية ، دار الكتب العلمية بيروت

(١٦٣) مختصر العلو للعلي الغفار
للحافظ الذهبى اختصره محمد ناصر الدين الالبانى الطبعة
الاولى ١٤٠١هـ المكتب الاسلامى

(١٦٤) المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في "الاحياء" من الاخبار
للعلامة عبد الرحيم بن الحسين العراقي مطبوع بذيل كتاب
"الاحياء" للغزالي .

(١٦٥) مفتاح دار السعادة ...
للعلامة ابن قيم الجوزيه دار الكتب العلمية بيروت

(١٦٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي الطبعة الثالثه ١٤٠٢هـ

(١٦٧) مشكل الحديث وبيانه
تصنيف الحافظ ابي بكر محمد بن الحسن بن فورك، دار الكتب
العلميه بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م

(١٦٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
وضعه محمد فؤاد عبد الباقي

(١٦٩) مشارق الانوار على صحاح الاثار
الامام القاضي عياض .. طبع ونشر المكتبة العتيقه تونس ودار
التراث القاهره

(١٧٠) مختصر شعب الايمان
للامام ابي جعفر القزويني صححه وعلق عليه محمد منير الدمشقي

(١٧١) الملل والنحل
محمد بن عبد الكريم الشهرستاني صححه وعلق عليه أحمد فهمي
محمد الطبعة الاولى ١٣٦٨هـ مكتبة الحسين التجاريه .

(١٧٢) المواقف في علم الكلام
عضد الدين عبد الرحمن الايجي عالم الكتب بيروت

(١٧٣) مختصر منهاج القاصدين

للامام احمد بن قدامه المقدسى علق عليه شعيب الارناؤوط طبعة ١٣٩٨هـ بيروت

(١٧٤) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية

احمد بن محمد الخطيب القسطلانى دار الكتب العلمية

(١٧٥) محاضرات فى النصرانية

محمد أبو زهره الطبعة الثالثة ١٣٨٥هـ مطبعة يوسف

(١٧٦) المسيحية

د / احمد شلبى الطبعة الرابعة ١٩٧٣م مكتبة النهضة المصرية

(١٧٧) مختصر سنن أبى داود المنذرى ، ومعالم السنن للخطابي ، وتهذيب ابن القيم :

تحقيق محمد حامد الفقى ، مكتبة السنة المحمديه

(١٧٨) مشكاة المصابيح

تأليف الخطيب التبريزى تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ المكتب الاسلامي

(١٧٩) الموافقات فى أصول الشريعة

لأبى اسحاق الشاطبى شرح الاستاذ عبدالله دراز دار المعرفة للطباعه والنشر بيروت .

(١٨٠) المسند

للامام عبدالله بن الزبير الحميدى تحقيق حبيب الرحمن الاعظمى عالم الكتب بيروت .

(١٨١) المنتقى من منهاج الاعتدال وهو مختصر منهاج السنة

اختصره الحافظ ابو عبد الله محمد الذهبي تحقيق محب الدين

الخطيب مكتبة دار البيان دمشق ؛

(١٨٢) مصرع التصوف أو تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي

تأليف برهان الدين البقاعي تحقيق عبد الرحمن الوكيل ؛

(١٨٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال

تأليف محمد بن احمد الذهبي تحقيق على محمد البجاوى الطبعة

الاولى ١٣٨٢هـ.

(١٨٤) معاني القرآن

تأليف أبي زكريا يحى الفراء الطبعة الثانيه ١٩٨٠م عالم الكتب

بيروت

(١٨٥) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع " الموضوعات الصغرى "

للامام على القارى الهدى تحقيق عبد الفتاح ابو غده الطبعة

الاولى ١٣٨٩هـ

(١٨٦) المنار المنيف في الصحيح والضعيف

للامام ابن القيم تحقيق عبد الفتاح ابو غدة الطبعة الثانيــة

١٤٠٢هـ مكتب المطبوعات الاسلاميه .

(١٨٧) المصنــف:

للحافظ عبد الرزاق تحقيق حبيب الرحمن الاعظمى الطبعة الاولى

١٣٩٢هـ المكتب الاسلامي بيروت .

(١٨٨) الموطـــأ

للامام مالك بن أنس رضى الله عنه رقمه محمد فؤاد عبد الباقــي

كتاب الشعب

(١٨٩) المستدرك على الصحيحين

للامام الحافظ ابى عبد الله الحاكم النيسابورى دار الكتاب العربى

(١٩٠) مسند الامام احمد بن حنبـــل

الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ المكتب الاسلامي بيروت

(١٩١) منتخب كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال

تأليف على بن حسام الدين المتقي " بهامش مسند الامام احمد "

(١٩٢) مدارج السالكين

للامام ابن القيم تحقيق محمد حامد الفقى دار الرشاد الحديثه

الدار البيضاء المغرب

(١٩٣) مناهل العرفان فى علوم القرآن

محمد عبد العظيم الزرقانى دار احياء الكتب العربية

(١٩٤) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع وهو مختصر معجم البلدان لياقوت

لصفى الدين عبد المؤمن البغدادى تحقيق على البجاوى دار

المعرفة بيروت .

(١٩٥) معجم المؤلفين

عمر رضا كحاله مطبعة الشرق بدمشق ١٣٧٧هـ

(١٩٦) المدخل

لابن الحاج الطبعة الثانية ١٩٧٢م دار الكتاب العربى

(١٩٧) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة

تأليف الامام ابن قيم الجوزية اختصره محمد بن الموصلـــــــى

مكتبة الرياض الحديثـــه .

(ن)

(١٩٨) النبـــــوات :

لابن تيمية دار الفكر . بيروت

(١٩٩) النبوة والانبياء في ضوء القرآن

أبو الحسن الندوى الطبعة الرابعه ١٣٩٤هـ المختـــــار

الاسلامى .

(٢٠٠) النبوة والانبيـــاء

محمد على الصابونى الطبعة الأولى

(٢٠١) نيل الأوطار شرح منتقى الاخبار

محمد بن على الشوكانى الطبعة الاولى دار الكتب العلميـــة

بيروت .

(٢٠٢) نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنـــه

تأليف ابو الحسن محمد . . شرحه الشيخ محمد عبده مطبعة

الاستقامـــة

(٢٠٣) نيل الابتهاج

تأليف أحمد بابا التنبكتى ، بهامش الديباج المذهب

(٢٠٤) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب

تأليف احمد بن محمد المقرى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

دار الكتاب العربى بيروت .

(٢٠٥) هذا دينـنـــا :

محمد الغزالى الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ دار الكتب الحديثـــه

(و)

(٢٠٦) الوحي المحمـــدي

محمد رشيد رضا الطبعة السادسة ١٣٨٠

(ى)

(٢٠٧) اليهوديـــة

لأحمد شلبي ط (٣) ١٩٧٣م مكتبة النهضة المصريـة

فهـــارس القسم الأول

الموضـــوع	الصفحـــة

فهارس القسم الثاني : الكتاب المحقق

الموضـــوع	الصفحـــة

---

(١) حرف " هـ " في الفهرس يرمز الى ان ما بعده ورد في الهامش .

الموضـــــــــوع	الصفحـــــة

الموضـــــوع	الصفحـــــة

الموضـــــــــوع	الصفحــــــة

****

الموضـــــوع	الصفحـــة

الموضوع	الصفحة

التصويبـــــــات

هـ : يرمز الى أن الخطأ وقع فى الهامـــــش

م : يرمز الى أن العد يكون من أسفل الى أعلا

رقم الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
٥	٦	يتبـع	ومن يبتغ
١١	٦	القت	الفت
٢٠	١	أبو بكر	أبى بكر
٢٠	١٣	أبو يوسف	أبى يوسف
٢١	١٥	فقد اقدم	من اقدام
٢٨	٢	وما ٴهم	د ما ٴهم
٢٩	هـ١	الكتاب	الكتب
٣١	هـ٣	بدعونها	يدعونها
٣٤	٥	فى ترجمة . . . يضاف	فى ترجمة محمد بن عبد الله أبى بكر حيث قال فـــى هذه الترجمة حدث عنه :
٤٠	آخر سطر	ثبات	ثابت
٤٥	قبل الأخير	الغالية	المغالبة
٤٩	٦	والخط الثانى	والخطأ الثانى
٥٠	١٢	نان	ثان
٥١	١٣	بينهما	بينها
٥٢	٦	وجود	وجوه
٥٥	٣	مبررا	مبرر
٦٣	١	بضمها	بعضها
٦٦	٧	بالحره	بالحمره
٦٦	م/٤	الوزارة	الوزازة
٦٧	١٤	٣٣٨٠	-٣٨٠

القسم الثاني : التحقيـــــــق

الصفحة	السطـر	الخطـأ	الصواب
١	هـ٢	على كرمه ووجوده	على كرمه وجوده
٢	هـ - ٧	اما الان	اما لأن
٣	هـ ٣	الطحاوية جـ ١ ط ٦	الطحاوية ط ٦
٦	هـ ٩	والخيز	والحيز
٧	٥	متكلم .. زاجر	متكلم آمرناه زاجـر
٨	هـ٦	نقائض	نقائص
١٠	١	وقال :	تحذف كلمة (وقال) لتكررها
١٦	٧	موجود	موجده
٢١	٣	وهو الجوهر	وهو والجوهر
٢٧	هـ/٤/م	والأرض من اختلاف	والأرض واختلاف
٢٩	٢	بضعها	بعضها
٣١	٢	أبدا فيه حركته	أبدا فيه × حركته
٣٣	٥	فـتـخل	فتخل
٤٢	١٠	وكانت	وكانت وبالا
٤٢	٣/م	أقوى فما	أقوى مما
٥١	٢	النفيسى	النفيس
٥٢	٢	اتحاز	انحاز
٥٢	هـ ٣	ص	ص ٥٠
٥٣	٣	المكان وللجسم	المكان للجسم
٥٨	هـ ٣	والآخر	والآخره
٥٨	٥/٣/م	فان خطر خاطرا	فان خطر خاطر
٦٠	هـ ١	اقتران	اقتراف
٦٤	هـ ١	بكيفية ولا ..	ولا حد
٦٧	هـ ١١	المتقى	المنتقى
٧٠	هـ ٤	ص	١٧٥
٧١	هـ/٣	فى : .. مقرين	فى خ مقرين
٧٣	هـ ٢	جوابا السؤال	جوابا لسؤال
٧٧	هـ ٣	من النبويه	من النوبه
٨٠	هـ ٥	عليهلما	عليهما
٨٠	٩	ابهذا	بهذا
٨٦	هـ ٨	وصقعوه	وصفعوه
٨٩	٣	كل مرأة	كل مرآة
٩٤	٢	اعلم	واعلم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٩	هـ ٩	المكلاق	المكلاتى
١٠١	٢	اختراع	اخترع
١٠٦	هـ/٣/م	بها هنا	بها
١٠٩	هـ ٢	روايا	رويا
١١٠	هـ ٧	أنضبط	لضبط
١١٠	هـ ٨، ٩	من يحفظ	من لم يحفظ
١١٧	٤	ملا	ما لا
١١٨	هـ ١٠	البينا	البنا
١٢٠	٢	والفرع	والفزع
١٢٥	١٤	موحدا	موجدا
١٢٨	١١	نبيه	بنيته
١٣٦	١	الليهل	الليل
١٣٩	٦	بحال	محال
١٤١	هـ ٣	هذين اللفظين	هذان اللفظان
١٤٣	٦	أو بخير	أو بخير
١٤٣	٩	والعظيمة	العظيمة
١٤٨	هـ/٨/م	شرح ..	شرح النونيه
١٤٩	٢م	لابد	لأن
١٥١	هـ٢م	أكان	كان
١٥٣	٨	فيحق	فبحق
١٥٤	٢	سخرات	مسخرات
١٥٥	هـ/٢/م	ص	٢٣١
١٥٧	هـ ٨	وان ودقت	وان دقت
١٥٧	هـ/١/م	الذين	الذى
١٥٨	هـ ١٢	الغنون	القنوت
١٥٩	٥	لما امهموا	لما افهموا
١٥٩	٣٥/م	لتغلق	للتغلق
١٦٠	هـ ١١	تحول	قول
١٦٢	١	لا يعتذر	لا يقدر
١٦٤	هـ٣م	ابن حباه	ابن حيان
١٧١	هـ٢م	وكلام	وكلا
١٧٢	هـ/٥/م	شان كان	شاف كاف
١٧٣	١٧هـ	لديه	لربه
١٧٣	١٩ هـ	علملنا	علمنا
١٧٣	٢٠هـ	واثبتا	واثبتنا
١٧٤	٢	هذا الرحب	هذا الرجل

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٠	هـ ٧	صحيحة صحيحه	تحذف احداهما
١٨٣	هـ/١٠/م	فى مهادى	مهاوى
١٨٥	هـ ١	لذه	لذى
١٨٦	م/٢	الحا ...	الحادثات
١٩٣	هـ/٨	اهل الاناد	أهل الاتحاد
١٩٣	هـ ٥	ص	١١٠
١٩٣	هـ ٤ م	..	وبذى النون
١٩٥	هـ ٨	بدور	ندور
١٩٦	٩	امتلأ	امتلاء
٢٠٤	١٢	وتبسعون	وسبعون
٢٠٥	هـ ٣	ص	ص ٢٠٠
٢٠٥	هـ ٦ م	ص	ص ٤
٢٠٩	هـ ٦	فواضع	مواضع
٢١٢	١٠	ولا والد	ولا ولد
٢١٧	هـ ١	تكرر السطر الأول	ـــــــــ
٢١٨	هـ ٤	من مان	من كان
٢١٩	١٢	من الدهمية	من الدهرية
٢٢٢	٢و ٤	على	علا
٢٢٨	١١	نص	قص
٢٣١	هـ ٣	اد ماء	او ماء
٣٣٣	هـ ٣	٤١٦	٤١٦ الاتى
٢٣٥	٤	اما الاسلام	ما الاسلام
٢٤٤	هـ١/م	بعد كلمة (مرات) يضاف :	وكلمة ثلاث سقطت من (ع)
٢٤٥	١	من توضأ وضئوئى	نحو وضوئى
٢٤٥	م٢	قط الماء	قطر الماء
٢٤٩	هـ ١١		جـ ١ ص ٢٩٣
٢٤٩	هـ ١٤	منكر	منكرا
٢٥٢	٤	ومنها سبق	ومنها ستن
٢٦٣	٥	منة	منه
٢٦٤	هـ ٤	المنادى	المناوى
٢٦٦	٢	ركين	ركن
٢٦٧	هـ ٥	للبهوى	للبهوتى
٢٦٩	٤	الشأن ..	الضأن والمعز
٢٧٥	م ٤	الموجود	الوجود
٢٧٧	٣	فتسك	فمسك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٧٨	هـ ١	السادس عشره	في ظ السادسة عشرة وهو الأصح وتحذف كلمة (السادسة عشرة)
٣٧٨	٧	والله	ولله
٣٨٠	٥ م	الشعبى	الشعب
٣٩٠	٣ م	بالمومنات	بالمؤمنات
٣٩٧	١	وحجد ها	وجحد ها
٣٩٨	٢	وستره	وسره
٤٠٦	هـ ٥ م	اسم	اثم
٤٠٦	هـ ٣ م	اسم	اثم
٤٠٧	٧	الرض	المرض
٤٠٧	١١	اما المؤمنون	انما المؤمنون
٤٠٧	٥/١/م	الظالم	الظلم
٤٠٧	١٢	لم يعرف	لم يوف
٤٠٨	١٢	وعهد الرس	وعهد الرسل
٤١٤	٥	وسلام	سلام
٤١٥	هـ ٣	ص	ص ٦٧
٤٢٤	٢	ولا يحد	ولا يحد د
٤٢٥	٤		بالد ينار
٤٣٥	٨		انا براء منكم
٤٣٥	م٣	متعاون	متعاونا
٤٣٨	٨	ويسا	وينسأ
٤٣٩	هـ ٤	تنص	تتقى
٤٤٣	١	فجاء الـه	فجاء اليه
٤٤٤	هـ ٦	واذانبهم	واذا بهم
٤٥٠	٥	ومنتها وثلاثة	ومنتهاه ثلاثة
٤٥٢	٣	والتجبيل	والتبجيل
٤٥٥	٨	حزوله	هروله
٤٥٥	٣/م	فى الحلل	فى الحال
٤٥٠	٣ م	متلف	متلق
٤٦١	٣	تميه	فيه
٤٦١	٤ م	نوع منا	نوع منها
٤٦٣	٢ م	با مسكين	يا مسكين
٤٦٨	٣	لمعول	المعول
٤٦٩	٤	بقطع	يقطع
٤٦٩	٥/م/٣	خرخه	خرجه
٤٧٠	١	الاسخين	الراسخين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٧٢	هـ ١	رحمة	رحمه
٤٧٢	هـ ١٣	عليه الشأن	عليه ولكن الشأن
٤٧٤	هـ ٤	وقال	مقال
٤٧٨	٦ م	الغيرة والمذ مومه	الغيرة المذ مومة
٤٧٩	١	ولا يجدت	ولا يجدن
٤٧٩	٢	وإن يرحها	وإن ريحها
٤٧٩	٥	وأما خرجت	وأما اذا خرجت
٤٧٩	٣ م	قد خلت فقال	قد خلت فقالت
٤٨٠	٩	فلا يؤذيك	فلا يؤذ يـــن
٤٨٠	هـ	٥ - في خ . :	النساء
		٦ - في ع :	الأولى وهو خطأ
٤٨٢	٧	وقد ور	وقد ورد
٤٨٤	هـ ٣	العمرى	لعمرى
٤٨٥	هـ ١	الصوفية	الصوفية بكاملها
٤٨٥	هـ ٣	عباس بن مريم	عن ابن عباس ان عيســـى ابن مريم
٤٨٩	٧	ان عند	أى عند
٤٨٩	١٣	نظره مره	نظرت مرة
٤٩١	١٠	ما لا يعنى	ما لا يعنينى
٤٩٢	٤	بحساب	يحاسب
٤٩٢	هـ ١	لمادة	لمعاده
٤٩٢	٦	أو جرمه	أو مرمة
٤٩٢	١١	ما سالكم	ما سألكم
٤٩٢	٢م	ظاهره	ظاهر
٤٩٦	٧	اتخذع	انخدع
٥٠٣	٤	الناس	النار
٥١٦	هـ ٣ م	نبيل	نيل
٥١٧	٤	فبها	فيها
٥١٨	هـ ١	قال ذلك	قال ذلك صلى الله عليـــه وسلم
٥١٨	٩	أو مراما	أو حراما
٥٢١	هـ ١	الخيرية	الخبرية
٥٢١	هـ ٢	معرفة السلف	معرفة رأى السلف
٥٢٢	٢ م	لك غيبه	لك غيه
٥٢٣	٤	ومحـــد	ومحمد
٥٢٦	٣	منعـهم	منعم
٥٣٠	هـ ٣ م	واخرجه	وأخرج

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٣٥	٤	:كن وربما	كن ورعا
٥٣٦	١	واشبهها هما	وأشبا هـهـما
٥٣٨	٢	وكانه	وكان
٥٤٢	٥	اظفروا	ظفروا
٥٤٢	هـ ١	غى كتاب	فى كتاب
٥٤٢	١٥	لقناعه	لقناعته
٥٤٥	٣ م	وولا ئله	ود لا ئله
٥٤٨	هـ ٦	التونية	النونيه
٥٥٠	٣	ود ليله	ود ليل
٥٥٢	هـ ٤ م	حكموا	حكوا
٥٥٦	٤	فما ثبت	فأثبت
٥٥٦	٨	بترهن	تبرهن
٥٦٣	٢	فصمته	قصمتـه
٥٦٨	٣	جعلوا الله	جعلوا لله
٥٧٢	هـ ٥	فد يش	قد يش
٥٧٢	هـ ٦	تفسيرا	تفسير
٥٧٢	٨	فهيا	فيها
٥٧٧	هـ/٣/م	هل	هي
٥٧٨	هـ ١٣	قام	قال
٥٨١	٣	وطـــرد ها	وطروها
٥٨٧	هـ ٥ م	ص	ص ١٤٧
٥٨٩			
٥٩٢	هـ ٥	اوثبها	أو يثبتها
٥٩٥	هـ ٥	فى ص	فى ص ٥٩١
٥٩٥	٥	يستخبر	يستخير
٦٠١	هـ ٥ م	بـنزلة	بمنزلة
٦٠٢	٤م	صلصال عا	من صلصال من حمـا
٦١٥	هـ ٤ م	والمثوبة	والمشوبة
٦٢٨	٥ م	شررا أو رقه	ضررا أو رقة
٦٣٧	٦	انا وحينا	انا أوحينا
٦٥٤	٢ م	وما خالق	وما خالف
٦٥٧	١٣	فاجعلوها	فاجعلوا
٦٦٢	١٠	لم يمت يدى	لم يمت حتى .يرى
٦٦٣	هـ ١٠		ويعضده
٦٦٥	هـ ٤	تقع وما	وما تنبت
٦٦٥	٨	الحمله	الجملة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٧٥	هـ ٤	التفارت	التفات
٦٧٨	٤	ومهرفة	ومعرفة
٦٨٩	هـ ١ م	الاجر	للآجرى
٦٩١	٥ م	والخرم	وانخرم
٦٩١	١٢	ذلم	ذلك
٦٩٢	هـ ٢	شعيف	ضعيف
٦٩٣	هـ ٣	حرواراء	حروراء
٦٩٤	هـ ٤	المراد	الموارد
٧٠١	٣	بسبفيهما	بسيفيهما
٧٠١	٦	وأورده	وأراده
٧٠٤	٢	يبدوا	يبدو
٧٠٤	١٠	فيه صالحه	نية صالحه
٧٠٤	٣ م	نظرة	نظره
٧٠٦	هـ ٥	ولا ينوال	ولا يزال
٧٠٧	٧	فرضت	قرضت
٧٦٦	٣	٦٤	٦٥